

89
S

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



Kitāb 'Awārif al-Ma'ārif

by

Shihāb ad-Dīn as-Sahrawardī

Cairo

1358 AH.

1939 A.D.

53169 B

كتاب

عوارف المعارف

للمعارف بالله تعالى الامام السهروردي أبو حفص

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن (عمويه)

الصديق القرشي التميمي البكري

الشافعي الملقب بشهاب الدين

نفعنا الله به

(آمين)

(يطلب من)

المكتبة العالمية

أبجود الأوز

* (١٣٥٨ هـ) (لصاحبها : عبد القادر علام) (١٩٣٩ م) *

893.7991

Su36

السهروردي ﴿ شهاب الدين ﴾

٥٣٩ - ٦٣٢ (٥)

531698

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن - عمويه - الصديقي القرشي
التميمي البكري الشافعي الملقب (بشهاب الدين)

ولد بسهرورد ونشأ في حجر عمه أبي النجيب وأخذ عنه التصوف والوعظ
والحديث والفقه

كان شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه
كثير من الصوفية في المجاهرة والخلوة قرأ الأدب وعمل مجلس الوعظ سنين
وكان شيخ الشيوخ ببغداد

قال ابن النجار كان شيخاً وقته في علم الحقيقة وانتهت إليه الرئاسة في تربية
المريدين ودعاء الخلق إلى الله وتسليك طريق العبادة والزهد ، صحب عمه الشيخ
أبا نجيب عبد القاهر وسلك طريق الرياضات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف
والعربية وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة وداوم الصوم والذكر والعبادة ،
قال ثم تكلم على الناس عند علو سنه وعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجله
(السبكي) كانت وفاته ببغداد

(١) جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب تصوف مطبعة البهاء حلب ١٣٢٨
(ص ٣١)

(٢) عوارف المعارف تصوف يشتمل على ثلاثة وستين باباً كلها في سير القوم
وأصول سلوكهم وأعمالهم مصر ١٢٩٤ وبهامش احياء علوم الدين لانغزالي

(٥) ابن خلكان ١ - ٤٨٠ طبقات السبكي ٥ - ١٣٤ طبقات الأسدي
ودقة ٤٩ مفتاح السعادة ٢ - ٢١٤ عن معجم سر كيس ص ١٠٦٠

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

53169B 6/11/48 MS/114

الحمد لله العظيم شانه القوي سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه
المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة في الآباد والآزال لا يصوره
وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم
الديمومى والقدره الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء
وصفها نطق الكائنات بأنه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق الخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وأزم فصيحيات
الألسن وصف المحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة
طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طمخ البصيرة تعظيما
واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا
والعقل عليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته
لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكبينه ثم ألبس قلوب الصقوة من
عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بمخائص الاحسان فصارت
ضمايرهم من مواهب الأنس مملوة ومرائى قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت
لقبول الامداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من
الأنفاس العطرية بالأذكار جللا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى
حراسا وأشعلت فى ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا
ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت
واستفرشت بلعومها بساط المكوت وامتدت إلى المعالى أعناقها وطمحت
إلى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملاء الأعلى مسامرا ومحاورا ومن
النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا أجساد أرضية بقلوب سماوية وأشباح
فرشية بأرواح عرشية نفوسهم فى منازل الخدمة سيارا وأرواحهم فى قضاء
القرب طيارة مذاهبهم فى العبودية مشهورة وأعلامهم فى أقطار الأرض منشورة

يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سميت أحوالهم فلم يدركوا وعلا
مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجئان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثنان لأرواحهم
حول العرش تطاف ولقلوبهم من خزائن البرأسعاف يتنعمون بالخدمة في
الدياجر ويتلذذون من وهج الطلب بظما الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات
وتعوضوا بمحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم
على مكنون سرأثرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق
منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمعتقين قدوة فلا يزال تظهر في الخلق
آثارهم وتزهر في الآفاق أنوارهم من اقتدي بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل
واعتدي بالله الحمد على ما هياً للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد
والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الأكرمين الأجداد ثم ان ايشاري
لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقته المبنية على
الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حداني ان ذهب عن
هذه العصابة بهذه الصباية وأؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معرفة عن وجه
الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر
المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستر بزيمهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق
إلى قلب من لا يعرف أصول سفلهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقية فيهم وطعن
ظنا منه ان حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصيصهم عائدا إلى مطلق اسم ومما
حضرني فيه من النية ان أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والاشارة
إلى أحوالهم وقد ورد من أكثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم
صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من
الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف
وستين بابا والله المعين

(الباب الأول) في منشأ علوم الصوفية (الباب الثاني) في تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع (الباب الثالث) في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى
أنموذج منها (الباب الرابع) في شرح حال الصوفية واختلاف طريقته فيها

(الباب الخامس) في ذكر ماهية التصوف (الباب السادس) في ذكر تسميتهم بهذا الاسم (الباب السابع) في ذكر المتصوف والمتشبه (الباب الثامن) في ذكر الملامى وشرح حاله (الباب التاسع) في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم (الباب العاشر) في شرح مرتبة المشيخة (الباب الحادى عشر) في شرح حال الخادم ومن يتشبه به (الباب الثانى عشر) في شرح خرقة المشايخ الصوفية (الباب الثالث عشر) في فضيلة سكان الربط (الباب الرابع عشر) في مشابهة أهل الربط بأهل الصفة (الباب الخامس عشر) في خصائص أهل الربط فيما يتعاهدونه بينهم (الباب السادس عشر) في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام (الباب السابع عشر) فيما يحتاج المسافر إليه من الفرائض والنوافل والفضائل (الباب الثامن عشر) في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه (الباب التاسع عشر) في حال الصوفى المتسبب (الباب العشرون) في حال من يأكل من الفتوح (الباب الحادى والعشرون) في شرح حال المتجرد من الصوفية والمتأهل (الباب الثانى والعشرون) في القول في السماع قبولا وإيثارا (الباب الثالث والعشرون) في القول في السماع ردا وإنكارا (الباب الرابع والعشرون) في القول في السماع ترفعا واستغناء (الباب الخامس والعشرون) في القول في السماع تأدبا واعتناء (الباب السادس والعشرون) في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية (الباب السابع والعشرون) في ذكر فتوح الأربعينية (الباب الثامن والعشرون) في كيفية الدخول في الأربعينية (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق (الباب الثلاثون) في ذكر تفاصيل الأخلاق (الباب الحادى والثلاثون) في الأدب ومكانه من التصوف (الباب الثانى والثلاثون) في آداب الحضرة لأهل القرب (الباب الثالث والثلاثون) في آداب الطهارة ومقدماتها (الباب الرابع والثلاثون) في آداب الوضوء وأسراره (الباب الخامس والثلاثون) في آداب أهل الخصوص والصوفية فيه (الباب السادس والثلاثون) في فضيلة الصلاة وكبر شأنها (الباب السابع والثلاثون) في وصف صلاة أهل القرب (الباب الثامن والثلاثون) في ذكر آداب الصلاة وأسرارها (الباب التاسع والثلاثون)

في فضل الصوم وحسن أثره (الباب الرابعون) في أحوال الصوفية في الصوم
 والافطار (الباب الحادى والرابعون) في آداب الصوم ومهامه (الباب الثانى
 والرابعون) في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة (الباب الثالث
 والرابعون) في آداب الاكل (الباب الرابع والرابعون) في ذكر آدابهم في
 اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه (الباب الخامس والرابعون) في ذكر فضل قيام
 الليل (الباب السادس والرابعون) في الاسباب المعينة على قيام الليل (الباب
 السابع والرابعون) في آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل (الباب الثامن
 والرابعون) في تقسيم قيام الليل (الباب التاسع والرابعون) في استقبال النهار
 والادب فيه (الباب الخسون) في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات
 (الباب الحادى والخسون) في آداب المرید مع الشيخ (الباب الثانى والخسون)
 فيما يعتمده الشيخ مع الاصحاب والتلامذة (الباب الثالث والخسون) في حقيقة
 الصحبة وما فيها من الخير والشر (الباب الرابع والخسون) في آداء حقوق
 الصحبة والاخوة في الله تعالى (الباب الخامس والخسون) في آداب الصحبة
 والاخوة (الباب السادس والخسون) في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات
 الصوفية من ذلك (الباب السابع والخسون) في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها
 (الباب الثامن والخسون) في شرح الحال والمقام والفرق بينهما (الباب التاسع
 والخسون) في الاشارة إلى المقامات على الاختصار والايجاز (الباب الستون)
 في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب (الباب الحادى والستون) في
 ذكر الاحوال وشرحها (الباب الثانى والستون) في شرح كلمات من اصطلاح
 الصوفية مشيرة إلى الاحوال (الباب الثالث والستون) في ذكر شىء من البدايات
 والنهايات وصحتها * فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض
 علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم
 وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها
 أبناء عن وجدان واعتزاء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء
 كنهه صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنابع حقانية استنزها صفاء السرائر

وخلوص الضائر فاستعصبت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة وتمهاتها
الأرواح بدلالة التشام والائتلاف وكرغت حقائقها من بحر الألفاظ وقد
اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد
قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في
حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحى
التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم
الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين
﴿الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد
السهروردي املاء من لفظه في شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف
نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال أخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد
المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي
الكشميهني قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الغريري قال أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن
أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل آتى قوما فقال يا قومي انى
رأيت الجئش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه
فأدجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجئش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من
عصانى وكذب بما جئت به من الحق (معنى اجتاحهم أى استأصلهم ومن ذلك
الجماعة التى تفسد الثمار) وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثنى الله به من الهدى
والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبثت
الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخذت الماء فنفخ الله تعالى بها
الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا
تبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل

من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به * قال الشيخ أعد
 الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى
 النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التركيبة في تفاوت النائدة والنفع فمن
 القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التي أنبتت الكلاً والعشب الكثير وهذا مثل
 من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه إلى الطريق التويم من
 متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات أي
 الغدران جمع أخاذة وهو المصنع والغدير الذي يجتمع فيه الماء فنفس العلماء
 الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد النائدة
 فصاروا أخاذات * قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فوجدتهم كأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت
 من صفاء الفهوم (أخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير احمد بن اسمعيل
 القزويني اجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلي قال أنبأنا القاضي أبو سعيد محمد
 الفرخزاذي قال أنبأنا أبو اسحق احمد بن محمد الثعالبي قال أنبأنا بن فنجويه قال
 حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا أبي قال حدثنا ابراهيم بن
 عيسى قال حدثنا علي بن علي قال حدثنا أبو حمزة الثمالي قال حدثني عبد الله بن
 الحسن قال حين نزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لعلي سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئاً
 بعد وما كان لي أن أنسى * قال أبو بكر الواسطي آذان وعت عن الله تعالى
 أسراره وقال أيضا واعية في معادنها ليس فيها غير ما شهدته شيء فهي الخالية عما
 سواه فما اضطراب الطبائع إلا ضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لأنهم
 زهدوا في الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالثقوى زكت نفوسهم وبالزهد
 صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم
 وسمعت آذان قلوبهم وأطأنهم على ذلك زهدهم في الدنيا فعلماء التفسير وأئمة
 الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علماً بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام
 وردوا الحوادث المتجددة إلى أصول من النصوص وحى الله بهم الدين وعرف

علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب في اللغة وغرائب النحو
والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة و صنفوا في ذلك الكتب
فالتسع بطريقتهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح
والحسنان وتقدروا بمعرفة الرواة وأسماى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل
ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقتهم طريق
الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في
المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب
الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم
الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء
من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر
والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيف وتفرع
وتأصل الهدى النبوى المصطفى فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلاء والعشب
بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى (أنزل من السماء ماء
فسالت أودية بقدرها) قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء العلم والأودية
القلوب (قال أبو بكر الواسطى) رضى الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها
بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية
بقدرها فصفا القلوب من وصول ذلك الماء إليها * وقال ابن عطاء أنزل من
السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك إذا سال السيل فى الأودية لا يبقى
فى الأودية نجاسة إلا كفسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذى قسمه الله
تعالى للعبد فى نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة أنزل من السماء ماء يعنى قسمة
النور فسالت أودية بقدرها يعنى فى القلوب الانوار على ما قسم الله تعالى لها فى
الأزل (فأما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جنوة
(وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال
بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه
فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب

الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بمحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفاً صالحاً ولم يحظ بمحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات * قيل للحسن البصرى هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فتيتها قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظاً من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فصار الانذار مستفاداً من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقى الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد العلم والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء أتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قل الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فبالتفرق في الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القاب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى مجراً مواجاً ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم ورية فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل إلى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتمت نضارة وامتلاً ربا بعنه الله تعالى إلى الخلق فأقبل على الأمة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبل جداول القهوم وجرى من بحرهم في كل جدول قسط ونصيب وذلك

القسط الواصل إلى الفهوم هو الفقه في الدين * روى عبد الله بن عمر رضي الله
 عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل
 من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد
 وعماد هذا الدين الفقه * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب املاء قال
 حدثنا سعيد بن حفص قال حدثنا أبو طالب الزيني قال أخبرتنا ريمة بنت أحمد
 ابن محمد المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربري قال أخبرنا البخاري
 قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال
 سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد
 الله به خيراً ينقعه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي * قال الشيخ إذا وصل
 العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق وأبطل وتبين له الرشد من الغي
 ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فن يعمل منقال ذرة خيرا
 يره ومن يعمل منقال ذرة شرا يره قال الاعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقه الرجل * وروى عبد الله بن عباس أفضل العبادة الفقه
 في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون
 بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل
 من كان أفقه كانت نفسه أسرع اجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا
 من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة
 والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال مثل ما بعثني الله به
 من الهدى والعلم أخبر أنه وجد القلب النبوي العلم وكان هاديا مهديا وعلمه
 صلوات الله عليه منهما ورائة معجونة فيه من آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم
 حيث علم الأسماء كلها والأسماء سمة الأشياء فسكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى
 (علم الانسان ما لم يعلم) فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفضيلة
 والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والنم والرضا والغضب
 والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى
 بالنور الذي وهب له فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى الامة بالنور الموروث

والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله (أتيتنا طوعاً أو
كرهاً قالتا أتينا طائعين) نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء
ما يحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سررة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجب
من الأرض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت
الأرض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين والكائنات
تبع له وإلى هذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً وآدم بين الماء
والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي أمياً لأن مكة أم القرى
وذرت أم الخليفة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة
حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحي فوقت
جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذى تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكياً مدنياً حينه إلى مكة وتربته بالمدينة والإشارة فيما ذكرناه
من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قاله الله تعالى (وإذ أخذ ربك من
بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ورد
في الحديث أن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج
الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة
فأضاف الفعل إلى المسبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما تحصى
الأرض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعيان واد بجانب عرفة بين مكة والطائف فاما
خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد في ورق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم
الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الحبيبة من الأرض
والعلم والهدى فيه معجونات فبعث بالعلم والهدى موروثاً له وموهوباً وقيل لما
بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض فأبت حتى بعث الله تعالى
عزرائيل فقبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار
بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضع أقدامه فخلقت النفس مما
مس قدم إبليس فصارت مأوى الشر وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فمن تلك

التربة أصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسه قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس فوَقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الاول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعملوا وعملوا كالأخاذ الذي يسقى منه ويزرع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بأحكام أساس التقوي ولما تزكت النفوس انجلمت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى فأنجلي فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانَت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلي بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وانما يعرف للمتوسمين وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يترجون بزى الصوفية ولا مشاحة في الالفاظ فيعلم انا نعتي بالصوفية المقربين فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم في الطبقات وغير ذلك من الكتب كأنهم كانوا في طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأجزاء فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداها ممن تميز بزى ونسب اليهم فهو مشتبه وفوق كل ذي علم عليم

﴿الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو منصور المقرئ قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا

أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود السجستاني قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى
 عن شعبة قال حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن
 ابن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول نظر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من
 هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقير أساس كل خير حسن الاستماع قال
 الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير في السماع
 أن يسمع العبد بغناء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو
 علمهم أهلا للسمع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوسواس وغلب على باطنه
 حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا أن
 كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى
 بحرا من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليله وخفيه وبابا من
 أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الذي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله
 تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ما عندهم الاستعداد للاستماع ورأوا أن
 حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا
 أن الوسواس أذخنة نائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقتام يتراكم من نعث
 الشيطان وأن الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية التي هي مناط الهوى ومنازل
 الردي بمثابة الحطب الذي تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا
 الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس أخطأها وفترت نيرانها وقل
 دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيئوا مواردها بصفاء القهوم
 فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
 وهو شهيد (قال الشبلي) رحمه الله موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل
 عنه طرفه عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال
 الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه
 بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا

لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الافهام
الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التي أقعدتك عن الطاعة وقال بعضهم لمن كان
له قلب سليم من الأغراض والأمراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب
لا يخطر فيه إلا شهود الرب وأنشد

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبجر الحكم

(وقال) ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع إليه عما
سواه وقال الواسطي أي لذكري لقوم مخصوصين لالسائر الناس لمن كان له
قلب أي في الأزل وهم الذين قال الله تعالى فيهم (أو من كان ميتاً فأحييناه) وقال
أيضاً المشاهدة تذهل والحجبة تفهم لأن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له وخضع
وهذا الذي قاله الواسطي صحيح في حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا
لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فوضع الفهم
محل المحادثة والمكاملة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع
حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره
ومن هو في حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه في بصره لتملكه ناصية الحال
وفهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الإلهام والسمع
والإلهام والسمع يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منذاً انشاء
ثانياً للتمكين في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى عند لمعان نور
المشاهدة لمن جاز على ممر النناء إلى مقار البقاء * وقال ابن سميون إن في ذلك
لذكري لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أشياء
فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد
ثلث الأدب ومن افتقر إلى مالم يجد من الأدب بعد الاشتغال بما وجد فقد
وجد ثلثي الأدب والثالث امتلاء القلب بالذي بدأ بالفضل عند الوفاء تفضلاً فقد
وجد كل الأدب * وقال محمد بن علي الباقر موت اقلب من شهوات النفس
فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها فالسمع للأحياء وللأموات قال الله
تعالى إنك لا تسمع الموتى * قال سهل بن عبد الله القلب وقيق تؤثر فيه الخطرات

المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) فالقلب عمال لا يفتر والنفس يقظة لا ترقد فان كان العبد مستمعا إلي الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس فكل شيء سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفي حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذي يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد وإذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالى والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه فقلب الصوفي مجرد عن الآكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدي الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تقاربت الناس في الاستماع وقال ان الباذر خرج ببذرة فملا منه كفه فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختمته ووقع منه شيء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفا لم تجد مساعا تنفذ فيه فيبس ووقع منه شيء في أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلاح فنبت الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن

يحتفظه من قلبه فينساها ومثل الذي وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تقضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوي أن يعمل به فإذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوي عمله لغلبة الشهوة كالزراع يخنق بالشوك ومثل الذي وقع في أرض طيبة مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذي جانب الهوى واتهج سبيل الهدى هو الصوفي لأن للهوى حلاوة والنفس إذ تشربت حلاوة الهوى فهي تركز إليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي يحنق النبات كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الالهية بداعية الحب تستمتع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لكونها لا ترتقي عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة في الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة في أرض النفس فإذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكلمته ويقول

أشم منك نسما لست أعرفه أظن لمياء جرت فيك ارادتا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقولون

إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب * قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذي في سائر المؤمنين احد وعشرون سهما فسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على

مقادير حقائق إيمانهم * قيل في هذه الآية اظهر فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأحسن ما يأتى به لانه لما وقعت له صفة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار فى الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله سبق فى جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الاول فى الفضل فى محل القدس ودل تعالى يأيتها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاءكم لما يحبيكم * قال الجنيد تنسموا روح مادعاهم إليه فأسرعوا إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة وأحسنوا الادب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا همهم عن التفتل إلى مذكور سوى وليهم خيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال (وقال الواسطى) رحمه الله تعالى حيا بها تصفية عن كل معلول لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسر أترككم وللرسول بظواهركم خياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه أولها اجابة التوحيد والثانى اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسماع من حيث التفهم والنهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه النهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) فآله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلماته التى ينفد البحر دون نفاذها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الازلي (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنبأنا الرئيس أبو على بن نهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن بن عبدالعزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من القرآن

آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب ان قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أو لها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح الله تعالى على كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم فظاهر ذلك اخبار عنهم وباطنه عظة وتنبية لمن يقرأ ويسمع من الأمة وقيل ظاهره تنزيه الذي يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلاً) وبطنه التدبير والتفكير فيه قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) وقيل قوله لكل حرف حد أي في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام وفي التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها وهذا محذور على الناس كافة القول فيه لا بالسمع والآثر وأما التأويل فصرف الآية إلى معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى (قال أبو الدرداء) لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبد الله ابن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصفي موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فالصوفي بكال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيق وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلى العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر في معاني الخطاب فن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم يتناوبان فيه وهذا العمل

آ نفا انما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القلوب وأعمال القلوب للظن
وصداقتها مشاكلة للعلوم لأنها نيات وطويات وعلقات روحية وتادبات قلبية
ومسامرات سرية وكلها أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم وادخلوا
على مطلع من فهم الآية جديد ويخارج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف
بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية ولكن المطلع أن يطلع عند
كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه ولدت من نعوتها
أفتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماها ويصير له مرآة منبئة عن عظيم الجلال
ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال لقد يحلى الله تعالى لعباده
في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد
الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود المتكلم * وقد نقل عن جعفر
الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال ما زلت أردد
الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى
سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخاض عما سوى الله تعالى صار بين يدي
الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى عليه السلام
حيث أسمع الله منها خطابه إياه بأني أنا الله فإذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه
إلى الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله
وأوله آخره ومعنى ذلك أن الله تعالى خاطب الدر بقوله ألسنت بر بكم فسمعت
النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقاب في الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام
قال الله تعالى (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) يعنى تقاب ذراتك في
اصلاب أهل السجود من آباءك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين
أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبالعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم
ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبء حسن الاستماع بأن يصيره
صوفيا صافيا لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخاض من مضيق عالم
الحكمة إلى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجع الحكمة فيصير سماعه
ألسنت بر بكم كشافا وعيانا وتوحيد وعرفانه تبيان وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار

في لوامع الأنوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألسنت بربكم اشارة منه إلى هذا
 الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدًا وشهوده مؤبداً وسماعه
 متواليًا متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع * قال سفينان
 ابن عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم
 تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم
 حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم
 والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى
 إليك وحيه) وقال (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) هذا تعليم من الله تعالى
 لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر
 معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائب وعجائبه وقيل كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام وأوحى إليه لا يفتر من
 قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك أي لا تعجل بقراءته
 قبل أن يفرغ جبرائيل من إلقائه إليك وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار
 وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التي فيها نجاة من عذاب
 الآخرة أن يكون في ذلك كله متأدباً بأداب حسن الاستماع لأنه نوع من ذلك
 وكما ان القلب استعد بحسن الاستماع بالزهداة والتموى حتى أخذ من كل ما سمعه
 أحسنه فيكون آخذاً بالمطالعة من كل شيء أحسنه ومن الأدب في المطالعة ان
 العبد إذا أراد أن يطالع شيئاً من الحديث والعلم يعلم انه قد تكون مطالعة ذلك
 بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تروح
 بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتقده المتقطن نفسه في ذلك ولا يستحلى مطالعة
 الكتب إلي حد يأخذ ذلك من وقته ويراعى الإفراط فيه فاذا أراد مطالعة
 كتاب أو شيء من العلم لا يبادر إليه إلا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله
 تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من
 مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسناً فان الله تعالى يفتح عليه باب

الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتمييز عن الحكم والعلوم قال الله تعالى (إن الله يسمع من يشاء) فإذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وأدبه فانه باب كبير من أبواب الخير وعمله صالح من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل شيء ينفع سلوك الآخرة

﴿ الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا يقية عن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سألت رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء أدلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوي وأحوج العباد إلى الزهد في الدنيا لانهم يحتاجون إليها لنفوسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعدد وصلاتهم صلاح متعدد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يعرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجي

عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالا بد للانسان من معرفته
 ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس
 موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما
 أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائناً ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد
 الانسان به هو انا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالعلم الذي هو فريضة لا يسع للانسان
 جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم
 المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال
 أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الاعرابي قال حدثنا
 جعفر بن حاصر العسكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو حاتكة عن
 أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالعين
 فان طلب العلم فريضة على كل مسلم * واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة
 قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الاعمال
 لأن الاخلاص مأمور به كما ان العمل مأمور به قال الله تعالى (وما أمروا إلا
 ليعبدوا الله مخلصين) فلا خلاص مأمور به وخذع النفس وغرورها ودسائسها
 وشهواتها الخفية تخرب مباني الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث
 كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضاً وقال بعضهم
 معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه
 وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها
 فصار علم ذلك فرضاً حتى يصح الفعل من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم
 الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين
 الله تعالى في دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال
 فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث
 انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم
 هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين
 الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقةهم ويرشد

بهم فهم وارث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو
 علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب
 عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملاً يحمله ما لله عليه في
 ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه إذ هو جاهل فيما له وعليه في ذلك فيراجع طالما
 يسأله عنه ليحجبه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل
 وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال
 ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن
 وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام ولا يحيك في صدره شيء فهو سالم فان
 حاك في صدره شيء أو توسوس بشيء يقدر في العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن
 فآلتها أن تجره إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه
 ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكي
 رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التي بنى عليها الاسلام لأنها افتترضت على
 المسلمين وإذا كان عملها فرضاً صار علم العمل بها فرضاً وذكر ان علم التوحيد
 داخل في ذلك لان أولها الشهاداتتان والاخلاص داخل في ذلك لان ذلك من ضرورة
 الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسمع مسلماً جاهلاً وكل
 ماتقدم من الاقارب أكثرها ما يسمع المسلم جاهلاً لانه قد لا يعلم علم الخواطر
 وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة
 كما ترى وأكثر المسامحة على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت
 عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلى في هذه الاقوال إلى قول
 الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح
 والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذي
 قاله الشيخ أبو طالب وعندى في ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم
 (فأقول) العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهى والمأمور
 ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهى ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه

والمأموريات والمنهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها ما يتوجه
الامر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم
الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الامر
والنهي فيه فعلمه عند تجده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق أن يجمله وهذا
الحد اعم من الوجوه التي سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية
وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض
حتى عرفوه وأتأموا الامر والنهي وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله
تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره
الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح الله عليهم
أبواب العلوم التي سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة
إلا من أيد من المشاهدات القوية والانوار البينة والآثار الصادقة بالتنبئ
ببرهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشافه
الخطاب وهو المزين بتمام القرب والمخاطب على بساط الأانس مجد صلى الله عليه
وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق
الاستقامة التي أمر بها * قيل لابي حفص أى الاعمال أفضل قال الاستقامة
لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق
في قوله تعالى فاستقم كما أمرت أى افتقر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال قات يارسول الله روى عنك انك قلت
شيتنى سورة هود وأخواتها فقال نعم قل فقلت له ما الذى شيتك منها قصص
الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطول
بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون
منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق
الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال أبو على
الجوزجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب

الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذي ذكره أصل كبير في الباب
 وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين
 سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات
 فأبدا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئاً من
 ذلك ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف
 بشيء من ذلك ولو علموا سر ذلك لمان عليهم الأمر فيه فيعلم ان الله سبحانه
 وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه أن يزداد
 بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا
 والخروج من دواعي الهوى وقد يكون بعض عباده يكشف بصرف اليقين
 ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية
 خوارق العادات لأن المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف
 هذا المرزوق صرف اليقين بشيء عن ذلك ما ازداد يقيناً فلا تقتضى الحكمة
 كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضوع لاستغنائه وتقتضى الحكمة كشف
 ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثاني يكون أتم استعدادا وأهلية من
 الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة
 فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شيء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة
 النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة ثم إذا وقع في طريقه شيء من ذلك جاز
 وحسن وإن لم يقع فلا يبالي ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب
 حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبيين فالعلماء الزاهدون ومشايخ
 الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر
 العلوم التي أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحلال
 وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب إن شاء الله
 تعالى وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفه أخلاقها وعلم
 النفس ومعرفتها من أعز علوم القوم وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية
 أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا

شبهوات النفس وشهرها وشهرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلاً ولبساً وخلعاً وأكلًا ونوماً ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة سيئاتها هي حسنات الأبرار ومطالبة النفس بترك ما لا يعنى
ومطالبة الباطن بمحصر خواطر المعصية ثم بمحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة
وعلم ما يقدر في المراقبة وعلم المحاسبة والرقاية وعلم حقائق التوكل وذنوب
المتوكل في توكله وما يقدر في التوكل وما لا يقدر والفرق بين التوكل الواجب
بحكم الإيمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان وعلم الرضا وذنوب مقام
الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدر في حقيقته ومعرفة
الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء
ومعرفة أوقات الداء ومعرفة وقت السمكوت عن الدماء وعلم المحبة والفرق بين
المحبة العامة المفسرة بامتنال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا
دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام
المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح
ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم
علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والتقبض والبسط والفرق بين التقبض
والهمم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستمرار
والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطواع والبوادي والصحو والسكر إلى غير
ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت
عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضاً وهذا المختصر المؤلف
يحتوى من علوم القوم على طرف صالح زرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله
حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورثها علوم عمل بمقتضاها وظفر
بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها إلا بدوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل
بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم
كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلاق بحقائق التقوى وربما كان محبة

الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فخبلت النفوس على
 محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف
 وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعدر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم
 لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى
 قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء
 القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب
 إلا لأولي الأبواب وأولوا الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء
 إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى الزهاد لأنهم أعقل الخلق (قال سهل
 ابن عبد الله التستري للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك
 الدنيا (حدثنا) الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن
 أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس
 ابن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الخواص وكان من أصحاب
 حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الري ومعه ثمانمائة وعشرون رجلاً
 يريدون الحج وعليهم الصوف والزمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري
 على رجل من التجار متنسك يحب الممتشقين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال
 لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن
 كان لك فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضاً أجبىء
 معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سر بنا يا أبا عبد الرحمن فجأوا إلى
 الباب فاذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم
 فدخلوا فاذا دار قوراء وإذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا
 إلى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيفة وإذا هو راقده عليها وعند رأسه غلام ويده
 مذبذبة فقعد الرازي يسأله وحاتم قائم فأوماً إليه ابن مقاتل أن اقعد فقال لا أقعد
 فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهي قال مسئلة أسألك عنها قال سألني قال
 فقم فاستموا جالساً حتى أسألكها فأمر غلامه فأسندوه فقال له حاتم علمك هذا من
 أين جئت به قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففما أداه جبرائيل
عن الله وأداه إلى رسول الله وأداه رسول الله إلى أصحابه وأداه أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان في داره أميرا ومنعته أكثر كانت له
المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة
وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن
اقتديت بالنبي وأصحابه والصالحين أم بفرعون وحمور و أول من بنى بالجص والأجر
يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الري
ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا
وأشاروا به إلى الطنافسى قال فسار إليه معتمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل
أعجمى أحب أن تعلمنى أول مبتدى دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة قال نعم
وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتى بإناء فيه ماء فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا
ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل
أربعا فقال له الطنافسى يا هذا أسرفت فقال له حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك أربعا
قال حاتم يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى هذا الجمع كله لم تسرف فعلم
الطنافسى انه أراد به بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين
يوما وكتب تجار الري وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسى فلما دخل
بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى ليس
يكلمك أحد إلا وقطعته قال معنى ثلاث خصال بهن أظهر على خصمى قالوا أى شىء هى
قال أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لأجهل عليه فبلغ
ذلك أحمد بن حنبل فحج إليه وقال سبحان الله ما أعقله فلما دخلوا عليه قالوا
يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون
معك أربع خصال قال أى شىء هى يا أبا عبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك
عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شبيهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة
قال الله تعالى انما يحشى الله من عباده العلماء * ذكر بكلمة انما فينتفى العلم عن

لا يخشى الله كما إذا قال انما يدخل الدار بغدادى ينتفى دخول غير البغدادى الدار فلاح
للعلماء الاخرة ان الطريق مسدود إلى أنصبه المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد
والتقوى (قال أبو يزيد) رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن
أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها في صياح بجاء تنى
وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك وأعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متصف بشيء
من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخاً في العلم (قال الواسطى)
الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب في سر السر فعرفهم
ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور
الجزائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال
بعضهم الراسخ من اطلع على محل المواد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كملوا
في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من
أبي سعيد لا يعنى به ان الراسخ في العلم ينبغى أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها
فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله
تعالى وفاكهة وأبا وقال ما لأب ثم قال إن هذا إلا تكلف ونقل إن هذا الوقوف في
معنى الأب كان من أبي بكر رضى الله تعالى عنه وانما عنى بذلك أبو سعيد ما يفسر أول
كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد
حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلى مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح
المحموظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء في
علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا
يغنيه علمه الكلى أن يراجع في الجزئى أهله الذين هم أوعيته فنفس هؤلاء امتلأت من
الجزئى واشتغلت به وانقطعت بالجزئى عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ
مما لا بد لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه
وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأدانت أرواحهم على قلوبهم أنوار ترميات بها
قلوبهم لادراك العلوم فأرواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم
الأزلى وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وطاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى

النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة اتصال العلوم باتصالها بالروح المحفوظ والمعنى بالاتصال انتقاشها في الدوح لاغير واتصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الرباني راسخا في العلم * أوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين نهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يغمركم فالتأدب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها ووقعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدي الله تعالى فيحتفظ بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الأوزاعي عن حسان بن عطية بلغني أن شداد بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال ائتمونا بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها على فمثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيطان ربما يسوقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسوقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد في العلم قائلا وللعمل مسوقا حتى يموت وما عمل * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم بالحشية وقال الحسن أن الله تعالى لا يعبا بذي علم ورواية إنما يعبا بذي فهم ودراية فعلم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كالدين الخالص السائغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فالو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى (وجعلنا من

الماء كل شئ عسى) وقال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) أي كان ميتاً بالكفر فأحييناه
بالاسلام فالاحياء بالاسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللاسلام علوم وهي
علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظراً إلى مجرد التصديق ولكن للايمان
فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال
للتوحيد والمعرفة والمشاهدة وللإيمان في كل فرع من فروع علوم فعلوم الاسلام
علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها اوصاف خاص ووصف
عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء
الدين مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي
أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم
الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين
ومراتبه من الايمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة ووصف خاص في
اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين إذن
فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمح يسير
لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد
العلماء نسبتبه إلى علم علماء الدنيا الذين ظنوا باليقين بطريق النظر والاستدلال
كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللين لأنه اليقين والايمان
الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين
كأنه بدأ المستخرج من اللين ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ووزانة الاعمال على قدر الحظ
من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على امتي والاشارة في هذا
العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعناق وانما الاشارة إلى العلم بالله تعالى
وقوة اليقين وقد يكون العبد عالماً بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروع
الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق
اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم التقوى والاحكام
من بعضهم (روى) أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن شئ يقول سلوا سعيد بن
المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على

فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فإنه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس إليهم في علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة وذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غزير العلم والمجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة جملة ومفصلة وطائفة مفصلة دون جملة والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (أذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فليتها بنار الانذار والموعظة والحدار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دطاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دطاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها المقربون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الأقوال اجابتهم نفساً ومتابعة الأعمال اجابتهم قلباً والتحقق بالأحوال اجابتهم روحاً فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض قال عمر رضى الله عنه رحم الله تعالى صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية إلى الدعوة اجابة المحب للمحسوب على اللذادة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المسكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات أثرها في القيام بمحائق الاستقامة والعبودية قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) قال بعضهم أعطى الدارين ولم ير شيئاً واتقى اللغو والسيئات وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلنى والآية (٣ - عوارف المعارف)

قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه وبلوح في الآية وجه آخر أعطى
 بالمواظبة على الأعمال واتقى الوسواس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن
 بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه
 باب السهولة في العمل والعيش والأنس وأما من بخل بالأعمال واستغنى امتلاءً
 بالأحوال وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالحوال فسنيسره
 لليسرى نسد عليه باب اليسر في الاعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبد سوءاً سد
 عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجاب نفوس الصوفية وقلوبهم
 وأرواحهم الدعوة ظاهراً وباطناً كان حظهم من العلم أوفر ونصيبتهم من المعرفة
 أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل : جاء رجل إلى معاذ قال أخبرني عن
 رجلين أحدهما يجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين
 يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكك عمله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل
 إلا أنه قوى اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله
 لئن أحبط شك الأول أعماله ليهبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ
 ييده وقال ما رأيت الذي هو أفقه من هذا . وفي وصية لقمان لابنه يا بني
 لا استطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى
 يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل وما كان أدعى إلى
 العمل كان أدعى إلى العبودية وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلى القيام
 بحق الربوبية وكإل الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فبان
 بذلك فضلتهم وفضل علمهم ثم أتى أصور مسألة يستبين بها المعبر فضل العالم
 الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلساً وقعد وميز لنفسه مجلساً
 يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء
 جنسه وقعد فوقه فأنعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل
 فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يظن ان هذه علة غامضة ومرض
 يحتاج إلى المداواة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت
 وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيراً من غيرها

فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واطهاره ذلك إلى الفعل تكبر حيث انصرف صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يري نفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس فالصوفي العالم مخصوص مميز ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يري النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه إلى الله تعالى ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الانابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغنيا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يري نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث الملل وهذا من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتوح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم الانصارى قال حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحياء سنتى فقد أحياني ومن أحياني كان معى فى الجنة وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحياء سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من

الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احياء
 هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لأربابها وطلابها لأن
 مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا
 في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا للأقوام كنست بأرواحهم
 المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس
 في قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل اشارة منه إلى غاية
 التواضع وأن لا يرى نفسه تمييز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند
 هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقهاء من أصحابنا
 وقع لي ان معنى كنست بأرواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل إلى النفوس لأنها
 مأوى كل رجس ونجس كالزبللة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية
 أرواحهم في محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس ويوصل نور الروح إلى النفس تطهر
 النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكأنها تكنس بنور
 الروح وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد القائل بقوله ذلك قال الله تعالى في وصف أهل الجنة
 (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) قال أبو حفص كيف يبقى
 الغل في قلوب ائمتلفت بالله واتققت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره إن
 تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق
 فصارت إخوانا فخلق حجابهم عن القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قولاً وفعلاً وحالاً صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعت النفس ارتفع الحجاب وصحت
 المتابعة ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة
 من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
 جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على
 حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظاً من متابعة الرسول أوفرهم حظاً
 من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم
 اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول
 فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم اتبعوه في أعمالهم من الجهد والاجتهاد في العبادة

والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الأقوال
 والأفعال التخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعمو والرأفة والشفقة
 والمدارة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة
 والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات
 وأحيوا سنته بأقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك
 قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون
 بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار إلى مولاه حتى يقول لا تكفى إلي نفسى
 طرفة عين كلاًنى كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء
 ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار إلا عبد كوشف باطنه بصفاء
 المعرفة وأشرق صدره بنور اليقين وخلص قلبه إلى بساط القرب وخلاسه
 بلذاتة المشامرة فبقيت نفسه بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك
 كله يراها مأوى كل شر وهى بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهى
 وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب والانتقال فالله تعالى بكامل لطفه عرفها إلى
 الصوفى وكشفها له على شىء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فهو دائم الاستغاثة إلى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه
 لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا
 يخلو الصوفى عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط
 معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة
 الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم بأحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله الزاهد فى الدنيا المتمسك من التقوى بأوثق
 العرى ومن الذى يهتدى إلى فائدة هذه الحمال غير الصوفى فدوام افتقاره
 إلى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفى هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع
 القلب إلى محل الدعاء وفى التجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسان الحمال والكون

فيه نبو النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها إليها في مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقن والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفي « ويجمع جل حال الصوفي شيان هما وصف الصوفية » وإليهما الاشارة بقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد ببدائه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوف اجتهاده وفي هذا أخذ بطائفة الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذذة والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقلوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات * قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرواح العناية القديمة بهم فالتجؤا إلى السجود شكرا وقلوا آمناب رب العالمين (أخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخزاز يقول أهل الخالصه الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهياً لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والافتراد بقربه وبهذا الاسناد إلى أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد يقول سمعت احمد بن الحسن الحمصي يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبي سعيد تقول سمعت الخزاز يقول المراد محمول في حاله معان علي حركاته وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذي قاله الشيخ أبو سعيد هو الذي اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالاكتثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض

كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فأما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرّة أعينهم وهذا آتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) فطولبوا بالاجتهاد أولاً قبل الكشوف قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) يدرجهم الله تعالى في مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظماً الهواجر تتأجج فيهم نيران الطلب وتتجج دونهم لوامع الارب يتقلبون في رمضاء الارادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الانابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آتفا هداية خاصة لأنها هداية إليه غير الهداية العامة التى هى الهدى إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه وقال أيضاً عقوبة قلب المريدين أن يجربوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقي على جذبته مارد إلى الاجتهاد بعد

الكشف * والثاني مجتهد متعبد ماخلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية في طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضاً أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب الشهروردي قال أناعصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول سمعت قسيماً غلام الزقاق يقول سمعت أبا سعيد السكري يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة * حكى أن أبا يزيد البسطامي رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحيته مقصوداً ومشهوراً بالزهد والعبادة فضيئنا إليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين (وسئل) خادم الشبلي رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه مشار إلى أن وضئني للصلاة فوضأته فنسيت تحليل لحيمته فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيمته يخلها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالاً على غير هذا الوجه فذم مفتون كذاب

❁ الباب الخامس في ماهية التصوف ❁

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي ابن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن رجاء قال حدثنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا عمر بن أسد عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر ثم جلساء الله يوم القيامة قال فقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف

مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والاقتتار والتحقق بالبذل والايثار وترك
التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله
بلا علاقة (وقال) معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي
الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف (وسئل اشبلي) عن حقيقة
الفقر فقال أن لا يستغنى بشيء دون الحق (وقال) أبو الحسين النوري نعت الفقير
السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير
الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغنى
يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (وبالاسناد الذي
سبق إلى أبي عبد الرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت مظفراً
القرميسني يقول الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة قال وسمعتة يقول سألت
أبا بكر المصري عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك * (قوله لا يكون له إلى
الله حاجة) * معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام النقة بربه عالم بحسن كلاءته
به لا يحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة
وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون
أوقات ونحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في
معنى التصوف ذكر منها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى انقصر ذكر منها في معنى
التصوف وحيث وقع الاشتباذ فلا بد من بيان فصل فقد تشبهه الاشارات في الفقر بمعاني
الزهد تارة ومعاني التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض فنقول
التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع
لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل
صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً * قال أبو حفص التصوف كاه آداب لكل وقت
أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال
ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث بظن القرب ومردود من حديث يرجو
القبول (وقال أيضاً) حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه خشعت جوارحه (أخبرنا) الشيخ

رضى الدين أحمد بن إسماعيل أجازة قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم قال أخبرني والدي أبو القاسم القشيري قال سمعت مجد بن أحمد بن يحيى الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سئل أبو محمد الجريري عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دني فاذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضلته يؤثره على الغنى متطلع إلى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أممي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلمها لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفاني وعانت الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفية لأنه تطلع إلى الاعراض وترك الاجهاد والصوفى يترك الأشياء لا للأعراض الموعودة بل للأحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضاً ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وإرادة والاختيار والارادة علة في الحال الصوفى لأن الصوفى صار قائماً في الأشياء بارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيم يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول فيها الصادقين إلا بعد أحكامهم علم الاذن وفي هذا مزلة للأقدام وباب دعوي للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا التضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول إلى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف

وجود الفقر (قال) الجنيد رحمة الله عليه التصوف هو أن يملك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائماً في الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكوّنان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمها والصوفي متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلي معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذوانون المصري رحمة الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب (وقال أيضاً) الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فأثرهم الله على كل شيء فكان من إثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وإرادة الله على إرادة نفوسهم * (قيل لبعضهم) * من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبیح عندهم وجهها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك ويستبجح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وطأهم ووقوفهم على حد علمهم وقال بعضهم الصوفي من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الاخلاق أيضاً ما هو ادعى إلي الترك والخروج عن شواغل الدنيا كما كان في ذلك بعلمهما والصوفي هو المستبين الأحسن من عند الله بصدق التوجه وحسن إجابته وحظ قربه ولطيف الوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته * قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقال عمرو بن عثمان المسكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفا من السكر وامتلاء من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة

(قال) ذوالنون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت
 قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدن قالت إلى
 رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فأنشأت
 قوم همومهم بالله قد علقت فمالهم همهم تسمو إلى أحد
 فطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
 ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
 ولا للبس ثياب فائق أنق ولا لروح سرور حل في بلد
 إلا مسارعة في اثر منزلة قدقارب الخطوف فيها باعد الأبد
 فهم رهائن غدران وأودية في الشوامخ تلقاهم مع العدد

* (قال الجنيد) * الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها
 إلا كل مليح (وقال أيضا) هو كالارض يطؤها البر والهاجر وكالسيحاب يظل
 كل شيء وكالقطر يسقى كل شيء وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على
 ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وإن اختلفت
 متقاربة المعاني فنقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الاوقات
 عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية
 دوام افتقاره إلى مولاة فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس
 وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفر منها إلى ربه فبدوام تصفيته
 جمعيته وبحركة نفسه تفرقة وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه
 قال الله تعالى (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) وهذه القوامية لله على النفس
 هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كاه اضطراب فاذا وقع السكون فلا
 تصوف والسرف فيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الالهية يعنى ان روح الصوفي
 متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب
 على عقبها ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن
 التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي
 جميع المتفرق في الاشارات

﴿ الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم ﴾

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني والدي قال أنا أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد بن إبراهيم قال أنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم قال أنا أبو عبد الله الخزومي قال حدثنا سفيان عن مسلم عن أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لانهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى * (وقال) * الحسن البصري رضى الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف * ووصفهم أبوهريرة وفضالة بن عبيد فقال كانوا يخزون من الجوع تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث وقال بعضهم أنه ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكانت اختيارهم للباس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصرف همهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القمص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقائهم من حال إلى أعلا منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما تعذر تقلدهم بحال تيسدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم وأيضاً لأن حالهم حال المتردين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى

القرب وعظم الاشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة إليه
 وقعت الاشارة إلى زيهم سترًا لحالهم وغيره على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة
 إليه وتتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والادب في الظاهر والباطن
 والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم إلى اللبسة
 تنجي عن تقلبهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس
 الناعم حتى ان المبتدي المرید الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن
 نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن الماء كقول أيضاً من جنس الملبوس فيدخل
 في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدي والاشارة إلى شيء
 من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا
 أنفع وأولى وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال أنهم سموا صوفية لذلك يتضمن
 دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان
 أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر
 من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق
 وأولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع
 ويقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخزل والتواضع والانكسار والتخفي والتواضع
 كانوا كالحرقلة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال
 صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض
 أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار
 الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه قال
 أنا عبد الرزاق بن عبد الكرم قال أنا أبو الحسن محمد بن محمد قال حدثنا أبو علي
 إسماعيل بن محمد قال حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد
 ابن الأعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كالم الله تعالى موسى عليه السلام كان
 عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه من صوف ونعلاه من
 جلد حمار غير مذكى وقيل سموا صوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله

عز وجل بارتفاع همهمم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم في الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض) الآية * وهذا ان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وكان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صاحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته (وقال) بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرقت بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال مابال أقوام يقولون أحرقت بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم كما واسونا به والذي نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء

والتمر (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر
 ابن زكريا الطريثي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد
 النماطي قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام قال حدثنا محمد بن علي الترمذي قال حدثني
 سعيد بن حاتم البلخي قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن
 السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وقف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يوم ا على أهل الصفة فرأي فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال
 ابشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضياً بما هو فيه
 فانه من رفقائي يوم القيامة (وقيل) كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلى الكهوف
 والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت
 اسم الغار ينسبونهم إلى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى
 ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقرين ومنهم
 الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق
 في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
 كان في زمن التابعين (ونقل) عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا
 في الطواف فأعظيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربع دوانيق يكفيني مامعي ويشيد هذا
 ما روى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على ان
 هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية
 لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة
 اليها أولى من كل اشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ
 منهم العلم سمي تابعيا ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي
 السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتوزعت الانحاء وتفرقت كل
 ذي رأى رأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزت أبنية المتقين واضطربت
 عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها
 وتزخرت الدنيا وكثرت خطاياها تفرقت طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في

العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين
للسبب متبتلين إلى رب الأرباب فأمر لهم صالح الأعمال سنى الأحوال وتربياً لهم
صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد
الايان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمناً حقاً حيث كوشف برتبة في الايمان غير
ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدها فحروا
لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرف عن أحوال يجدها فأخذ
ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسماً مستمراً وخبراً مستقراً في كل عصر وزمان
فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فلا سمى ستمهم والعلم بالله صفتهم والعبادة
حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع التباين وأصحاب المسائل
سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد وهيب
شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا في زمرة تهم وارزقنا حالاتهم
والله أعلم

﴿ الباب السابع في ذكر المتصوف والتمشبه به ﴾

(أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ
أبو منصور بن خيرون، قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا محمد
ابن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الاصفهاني قال حدثنا الحسين
ابن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا المعتز بن سليمان قال أنا حميد
الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله
متى قيام الساعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن
الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا
صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا اني أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة
والسلام المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلم من فرحوا
بشيء بعد الاسلام فرحهم بهذا فالتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من
الطوائف إلا المحبته إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته

ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذي روينا في المعنى * روى عبادة ابن الصامت عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت قال قلت فاني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فحبة المتشبه بإمام لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون مجاذب الروح غير ان المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتشبه صاحب إيمان والايان بطريق الصوفية أصل كبير * قال الجنيد رحمة الله عليه الايمان بطريقا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغرقة عند أكثر الخلق لأنهم مكشفون بالقدر وغرائب العلوم وأشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والايان بذلك إيمان بالقدر وقد أنكروا قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والايان بذلك إيمان بالقدر ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقتهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالتشبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقتهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشفه علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم على الآرائك ينظرون) وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) فكان شراب الأبرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفا فلصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفي سبق إلى مقدار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالمترهد بالنسبة

إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب إشارة إلى ما بقى عليه من وصفه فهو مجتهد في طريقه سائر إلى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكركر عنهم أوزارهم فورردوا القيامة خفافا فالصوفي في مقام المفردين والمتصوف في مقام السائرين واصل في سيره إلى مقار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه فالصوفي في مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف في مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفي بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سأل ثم يصل بعد إلى الأحوال والسكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالي (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يحزن عن البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبه والسابق يعبد على الهيبه والمنة وقال بعضهم الظالم بذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد بن حاصم الانطاكي رحمه الله الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني أجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف ابن حاصم الرازي قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبي ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) كلهم في الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يحب الله من أجل العقبى والسابق

هو الذي أسقط مراده بما راد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير * (سمعت) * شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن باصبهان يريد منه الخرقه فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى بكلمك في معنى الخرقه ثم احضر حتى ألبسك الخرقه قال جاء إلى فذكرت له حقوق الخرقه وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقه وجبن أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعثته إليك حتى تكلمه بما يريد رغبته في الخرقه فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقه ولكن إذا أزمنا المبتدى بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقه حتى يتشبه بالقوم ويتزني بزيمهم فيقر به ذلك من مجالسهم ومحافلهم وبيركه مخالطته معهم ونظره إلي أحوال القوم وسيرهم يجب أن يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أناعصم الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السامري قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر أيقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لتيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وأبدأه بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه ويرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدى الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدى الطالب * (حكى) * عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بأثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدى إليه والتأدب بأدبه والافتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مادخل في شيء إلا زانه فالتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزى والصوره دون السيره والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالتشبه يعتمى إلى القوم بمجرد

لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من أشبهه بقوم فهو منهم (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي قال حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا علي بن علي المقدسي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حاصر قال حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الله ملائكة فضلاء عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلي حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتعجيذا فيقول ما يسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فمنهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبهه بهم والمحجب لهم

❦ الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله ❦

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضر شرا وشرح هذا هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السامري قال سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن إبراهيم وسألته عن الاخلاص ما هو قل سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن علي الجمهي

عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال
 سألت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سألت
 رسول الله ﷺ عن الاخلاص ما هو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ما هو قال
 سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببت
 من عبادي فللملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم
 الأحوال والأعمال ويتلذذون بآتمتها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد
 استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته فللملامتية عظم وقع
 الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفي غاب في اخلاصه عن اخلاصه
 (قال) أبو يعقوب السوسى متى شهدوا في اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم إلى
 اخلاص * وقال ذوالنون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من
 العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخرة
 (أخبرنا) أبوزرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت أبا عثمان المغربي يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا
 اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم
 عنها بعزل ولا يقع لهم علم برؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذي
 فصله الشيخ أبو عثمان المغربي يفرق بين الصوفى والملامتية لأن الملامتية أخرج
 الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن
 عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص المخلص والمخلص
 (قال) أبو بكر الزقاق نقصان كل مخلص في اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا
 أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصاً
 لا مخلصاً (قال) أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين ومعنى
 قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذي
 يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئاً من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه جذب مرید
 أو معاناة خلق من أخلاق النفس في اظهاره الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق
 لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم بصورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم لله بالله
 من غير حضور نفس ووجود آفة فيه (قال رويم) الاخلاص أن لا يرضى صاحبه

عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من المملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملاّمتي يرى الخلق فيخفي عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لا بد لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذي يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتي به على التمام قال جعفر الخالدي سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أباين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الأول والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لأن الاخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص ومخالصة كائنة في المخالصة فلعل في هذا الاخلاص حال الملاّمتي ومخالصة الاخلاص حال الصوفي ومخالصة الكائنة في المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفي والملاّمتي مقيم في أوطان اخلاصه غير متطلع إلى حقيقة اخلاصه وهذا فرق واضح بين الملاّمتي والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهّدون أساسهم ويعرفونهم شروط حاطهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول السنة أهل العراق هذا الاسم * (حكى) * أن بعض الملاّمتية استدعى إلي سماع فامتنع فقبل له في ذلك فقال لأبي ان حضرت يظهر على وجد ولا أوثر أن يعلم أحد حالي (وقيل) ان أحمد بن أبي الحواري قال لأبي سليمان الداراني إني إذا كنت في الخلوة أجد لمعاملي لذة لأجدها بين الناس فقال له إنك إذا لضعيف فالملاّمتي وإن كان متمسكاً بعروة الاخلاص مستقرّاً بساط الصدق ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تمتحق الاخلاص والصدق والصوفي صفاً من هذه البقية في طرفي العمل والترك للخلق وعزهم بالسكينة وراحم بعين الفناء والزوال ولا حله ناصية التوحيد وعابن سر قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملاّمتي الحال على وجهين احد الوجهين لتحقيق الاخلاص والصدق والوجه الآخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق

المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وإن علا في طريق الصوفي علة ونقص
فعل هذا يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل إن من أصول الملامتية
أن الذكركر على أربعة أقسام ذكر باللسان و ذكر بالقلب و ذكر بالسر و ذكر بالروح
فإذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة
وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيمية وإذا صح ذكر
القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء وإذا غفل القلب عن الذكر
أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة
فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه أو طلب ثوابه أو ظن
أنه يصل إلى شيء من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا الأصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات و ذكر السر
ذكر الصفات بزعمهم و ذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات و ذكر النفس
متعرض للملأة فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالفناء عند
ذكر الذات و ذكر الهيمية في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيمية وهو وجود
الهيمية ووجود الهيمية يستدعي وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر
السر وجود هيمية وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب و ذكر القلب الذي هو
ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعدهما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن
المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع
النفس نظرا إلى الاعراض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله أعلم

❦ الباب التاسع في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم ❦

فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية أخرى وقد ذكرنا
حال الملامتي وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق
بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المتهنونون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة
إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد

بآداب المجالسات والمخاطبات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتي والقلندري أن الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات واللامتتي يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولكن يخفي الاعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئة وما بوسه وحركاته وأموره سترًا للحال لئلا يفتن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا يعطف الا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدبر الأوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الحق مقامهم ويستتر ما ينبغي أن يستتر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالأمور في مواضعها محضو عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها الى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم في غرور وغطا يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضامرهم خلصت الي الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الاحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية ومن صار من أهل الحقيقة تقيده بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالبها بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويخامر باطنه الزيف والتحريف (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد

الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا غنيسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد ابن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه وأن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس اليينا من سريرته شيء الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه وأن قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضي الله عنه قال من عرض نفسه للتمهم فلا يلومن من أساء به الظن فاذا رأينا متهاونا بمحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات لا يعتمد بحلاوة التلاوة والصوم والصلابة ويدخل في المداخل المكروهة الحرمة زرده ولا تقبله ولا تقبل دعواه ان له سريرة صالحة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوى الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من اعمال البر ذرة الا أن يحال بي دونها وانها لا كد في معرفتي وأقوى لحالي * ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها ويسبق لافهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت * ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة إلى هذا الوهم ويتخيل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرا الشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد من قوله سبحانه وحاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي أن يعتقد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا الشيء من الحلول رددناه كما زدهم وقد أتانا رسول الله صلوات الله وسلامه بشريعة بيضاء نقية

يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه ان يحل به شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكلمة الله تعالى اياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكلمة والمحاذثة وإما عالم ببطلان ما يقول بحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم انه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجزئه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة فنزلت تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الاصحاح في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا في بواطنهم شيئا ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم لينصنوا عن الزيغ والتحريف * ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد ولا يثبتون ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلوا يزعمون أنهم مجبورون على الاشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وكل ما تدعو النفس اليه ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة والاعتذار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام (وقد سئل) سهل عن رجل يقول أنا كالباب لا أتحرك إلا اذا حركت قال هذا لا يقوله الا أحد رجلين اما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول اشارة إلي أن قوام الأشياء بالله مع أحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول

ذلك احالة للاشياء على الله واسقاطا للائمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمة
 فأما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معتقدا بالمعصية اذا صدرت
 منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت التصور بما
 يركن اليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى الاسفار والتردد في البلاد متوصلا
 إلى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب
 ما هو فيه والله الموفق

﴿الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة﴾

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن
 لكم أن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ويحبون عباد
 الله إلى الله ويمشون على الارض بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ
 هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى لان الشيخ يحب الله إلى عبادته حقيقة
 ويحب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة
 النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون الشيخ يحب الله إلى عبادته فلا أن الشيخ يسلك
 بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله
 تعالى قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ووجه كونه
 يحب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية واذا تزكت النفس انجلت
 مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت
 أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الازلي فأحب العبد ربه
 لا محالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى (قد أفلح من زكاهها) وفلاحها بالظفر بمعرفة
 الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها
 ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين
 وحاصل المنزليين فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوي
 المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين
 (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل عبد الواحد بن علي
 بهمذان قال أنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الطوسي قال حدثنا أبو العباس محمد

ابن يعقوب قال حدثنا أبو عتبة قال حدثنا بقرية قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الازهر بن عبدالله قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله ﷺ قال كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر فإن لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المریدون ظاهراً وباطناً قال الله تعالی (أولئك الذين هدى الله) فبهدهم اقتده فالمشايخ لما اهتمدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه إذا كان الغالب على عبدی الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكرى وعشقتي وعشقتي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لايسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم والسر في وصول السالك إلى رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفتها لا يزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطناً نيتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتهما من أصل خلقتهما وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية فإذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة اليها وهذا الدين هو الذي ذكره الله تعالی في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله تعالی توجب الي العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحدهما وجهه الي النفس والوجه الآخر الي الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن النفس فإذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياسيتها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت الي أمر الله ثم القلب يشرب الي السياسة لما فيه من التوجه الي النفس فتقوم نفوس المریدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجذبية في عين النفسية من وجهه ولوجود التألف بين الشيخ والمرید من وجهه بالتألف الالهي قال الله تعالی (لو أنفقت مافی الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) فيسوس نفوس المریدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالی من معنى قول الله تعالی

ألا طال شوق الأبرار إلى لقاءى * وإنى إلى لقاءهم لأشد شوقا
وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحب يصير المرید جزء
الشیخ كما إن الولد جزء الوالد فی الولادة الطبيعية وتصور هذه الولادة آنفا وولادة
معنوية كما ورد عن عیسی صلوات الله علیه لن یلج ملکوت السماء من لم یولد
مرتين فبالولادة الأولى یصیر له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة یصیر له ارتباط
بالملكوت قال الله تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ولیكون
من الموقنین) وصرف الیقین علی السکال یحصل فی هذه الولادة وبهذه الولادة
یستحق میراث الأنبياء ومن لم یصله میراث الأنبياء ما ولد وإن كان علی کمال من
الفطنة والذكاء لأن الفطنة والذكاء نتیجة العقل والعقل إذا كان یأسا من نور
الشرع لا یدخل الملكوت ولا یزال مترددا فی الملك ولهذا وقف علی برهان من
العلوم الرياضية لأنه تصرف فی الملك ولم یرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون
والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبعث أشعة الهداية
قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ینتطق به الترجمان معلوم عند من یرجم
عنه وليس كل ما عند من یرجم عنه یبرز إلى الترجمان فلهذا المعنی حرم الواقفون
مع مجرد العقول العریة عن نور الهداية الذی هو موهبة الله تعالى عند الأنبياء
واتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية
التبیان وكما أن فی الولادة الطبيعية ذرات الأولاد فی صلب الأب مودعة تنقل إلى
اصلاب الأولاد بعد كل ولد ذرة وهی الذرات التي خاطبها الله تعالى یوم الميثاق
بألست بربکم قالوا بلی حیث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعان بین مكة والطائف
فسالت الذرات من مسام جسده كما یسبل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة
ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم فنن الآباء من تنفذ الذرات فی صلبه
ومنهم من لم یودع فی صلبه شیء فینقطع نسله وهكذا المشایخ فمنهم من تكاثر
أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ویودعونها غیرهم كما وصلت اليهم من
النبي صلوات الله علیهم بواسطة الصحبة ومنهم من تقل أولاده ومنهم من ینقطع نسله وهذا
النسل هو الذی رد علی الكفار حیث قالوا محمد أبترا لنسل له قال الله تعالى (إن

شأنك هو الأثر) وإلا فنسل رسول الله ﷺ باق الي أن تقوم الساعة وبالنسبة
المعنوية يصل ميراث العلم الي اهل العلم (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي املاء قال أنا أبو عبد الرحمن الماليني قال أنا أبو الحسن الداودي قال أنا
أنا أبو محمد الحموي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد الدارمي قال أنا
نصر بن علي قال حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود
ابن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق
فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء اني أتيتك من المدينة مدينة الرسول ﷺ لحديث
بلغني عنك انك تمدته عن رسول الله ﷺ قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا
جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يلتمس
به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا الطالب
العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتي الحيتان في الماء وان
فضل العالم على العابد كفضل التمر على سائر النجوم وان العلماء هم ورثة الأنبياء
وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذه به أخذ بحظه أو
بمحظ وافر فأول ما أودعت الحكمة والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل
منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو اليه النفس والشيطان كما ورد أن الله
تعالى أمر جبرائيل حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالي نظر الي الأجزاء
الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله اليها
فيها خاصية السماع من الله تعالي والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله
(أتيتا طوبا أو كرها قالتا أتينا طائمين) خملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية
ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركبت جسد آدم
من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب
فيه الهوي حتى مديده الي شجرة الفناء وهي شجرة الخنطة في أكثر الأقاليم
فتطرق لقا به الفناء وباكرا م الله إياه بنفخ الروح الذي أخبر عنه بقوله (فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي) نال العلم والحكمة فبالنسوية صار ذاتا نفس منقوسة وبنفخ
الروح صار ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقلبه

معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميزانه في ولده فصار من طريق الولادة
أبا بواسطة الطبائع التي هي محمد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة
العلم فالولادة الظاهرة تطرق اليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لأنها وجدت
من شجرة الخلد وهي شجرة العلم لاشجرة الخنطة التي سماها ابليس شجرة الخلد
فابليس يرى الشيء بضده فتبين أن الشيخ هو الأب وكثيرا كان شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله يقول ولدي من سلك طريقي واهتدى
بهديني فالشيخ الذي يتسبب بطريقة الأحوال قد يكون مأخوذا في ابتدائه في
طريق المحبين وقد يكون مأخوذا في طريق المحبوبين وذلك إن أمر الصالحين
والسالكين ينقسم أربعة أقسام سالك مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذبة
ومجذوب متدارك بالسلك فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها بقاء صفاء
نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياسة ولا يرتقي
إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يبدأه الحق
بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئا من الحجاب ولا يؤخذ في طريق المعاملة والمعاملة
أثر تام سوف نشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى وهذا أيضا لا يؤهل للمشيخة
ويقف عند حظه من الله ومروحا بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله ماعدا الفريضة
والسالك التي تدورك بالجذبة هو الذي كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة
بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد
العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع
المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وذو
وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب
وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصالح للجولة وصار له في الجولة خولة فيغلب
ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا للمشيخة لانه أخذ في طريق
المحبين ومنح حالا من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الارباب الصالحين
ويكون له أتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا
في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند

حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقال الاكمل فى المشيخة القسم الرابع وهو المجدوب المتدارك بالسلوك يباذنه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معلنا لا أعبد رباً لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجرى عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذاتة وهناء ويصير قلبه بصفة قلبه لا متلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كالان قلبه وعلامة لين جلده اجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى ارادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيراسل يذهب عنه جمود النفس ويصطفى بجرارة الروح وتنكش عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد وقد ورد فى الخبر أن ابليس سأل السبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك فى مجاري العروق المشتبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزح عرقتك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب فى مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليم فاذا دخلت العروق لم تصل الى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحجوب المراد الذى أهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أماراة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقالبية والمنحرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدينا إلى الآخرة والآخرة

إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ في طريق المحبين حر من رق النفس ولكن ربما كان باقيا في رق القلب وهذا الشيخ في طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس وذلك أن النفس حجاب ظلمي أرضى أعتق منه الأول والقلب حجاب نوراني سماوى أعتق منه الآخر فصار لربه لالقلبه واماوقته لالوقته فعبد الله حقا وآمن به صدقا ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به فؤاده ويقربه لسانه كما قال رسول الله ﷺ في بعض سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة وأنصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة والله يسجد من في السموات والأرض طواوكرها وظلالهم بالغدو والآصال فالقواب هي الظلال الساجدة لظلال الأرواح المقربة في عالم الشهادة الأصل كثيف والظل لطيف وفي عالم الغيب الأصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه وليس هذا لمن أخذ في طريق المحبين لانه يستتبع صور الاعمال ويمتلىء بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثرت العلم رأى ارتباط الأعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد ورأى أن لاغنى عن الأعمال كما لاغنى في عالم الشهادة عن القواب فادامت القواب باقية فالعمل باق ومن صح في المقام الذى وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحجوب المعتق نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويؤيدا ومؤيدا بي ينطق وبي يبصر الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينة بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها المراد الله تعالى لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى

﴿ الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به ﴾

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال يا داود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما

الخادم يدخل في الخدمة راغباً في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لا يصلح
 الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله الله تعالى
 بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف مع نيته فالخادم
 يفعل الشيء لله تعالى والشيخ يفعل الشيء لله فالشيخ في مقام المقرين والخادم في
 مقام الأبرار فيختار الخادم البذل والابتار والارتفاق من الأغيار للأغيار ووظيفة
 وقته تصديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله وقد
 يقيم من لا يعرف الخادم من الشيخ الخادم مقام الشيخ وربما جهل الخادم أيضاً
 حال نفسه فيحسب نفسه شيخاً لثقله العلم واندراسه علوم القوم في هذا الزمان وقناعة
 كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان أكثر اطعاماً
 هو عندهم أحق بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم وليس بشيخ والخادم في مقام حسن
 وحظ صالح من الله تعالى (وقد ورد) ما يدل على فضل الخادم فيما أخبرنا الشيخ
 أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو الفضل
 محمد بن عبد الله المقرئ قال حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي قال
 حدثنا أبو حامد الحافظ قال حدثنا العباس بن محمد الدوري وأبو الأزهر قال حدثنا
 أبو داود قال حدثنا سفيان عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن
 أبي هريرة أن النبي ﷺ أتى بطعام وهو عمر الظهران فقال لأبي بكر وعمر كلا
 فقالا أنا صائم فقال ارحلا لصاحبيكما اعملا لصاحبيكما ادنوا فكلوا يعني انكما
 ضعفتما بالصوم عن الخدمة فاحتجما إلى من يخدمكما فكلوا وخدمتا أنفسكما فالخادم
 يحرص على حيازة الفضل فيتوصل بالكسب تارة وبالاسترقاق والدروزة تارة أخرى
 وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لا يصلح إلى الموقوف
 عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة
 ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم ان الاتفاق يحتاج الى علم تام ومعاناق في
 تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في
 ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد واقامة مراد الحق (أخبرنا) أبو زرعة اجازة
 قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي

يقول سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت
الجنيد يقول سمعت السري يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت
له ما هو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء
تعطى منه أحدا شيئا والخادم يرى إن من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار
فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها
العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود
تقدم قبل وعد (ومما يدل) على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال
أخبرني والدي الحافظ المقدسي قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار باصفهان قال
أنا إبراهيم بن عبد الله بن خرشيد قال حدثنا الحسين بن اسمعيل المحاملي
قال حدثنا أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا عاصم عن مورك
عن أنس قال كنا مع رسول الله ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا
في يوم حار شديد الحر فمنا من يتقى الشمس بيده وأكثرنا ظلًا صاحب الكساء
يستظل به فنام الصائمون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال
رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالأجر وهذا حديث يدل على فضل
الخدمة على النافلة والخادم له مقام عزيز يرغب فيه فأما من لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس ويتشبه بالخادم ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل في مداخل
الخدماء بحسن الإرادة بطلب التماسي بالخدماء فتكون خدمته مشوبة منها ما يصيب
فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه
من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصاريقه
ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويحب المحمدة والثناء من الخلق
مع ما يجب من الثواب ورضا الله تعالى وربما خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة
لوجود هوى يخامر في حق من يلقاه بتكرره ولا يراعى واجب الخدمة في طرفي
الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى
في الخدمة في الرضا والغضب ولا يأخذه في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه
فاذن الشخص الذي وصفناه آتفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخدام

والمتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والمتخادم النجيب يبلغ ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيبه أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلو انقطع رفقته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يشكره ويقم به جاه نفسه بآثرة الاتباع والاشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاده وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه بطلب الحظوظ ويستولى عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقته كثرت مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلي التملق المفرط له تطلباً لرضاه وتوقياً لضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدماً فليس بخادم ولا متخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبالتاليهم وقد أوردنا الخبر المسند الذي في سياقه هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم والله الموفق والمعين

﴿ الباب الثاني عشر في شرح خرقة المشايخ الصوفية ﴾

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المرید وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه والتحكيم سائق في الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر لبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يتقصد شيخاً بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره بأفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم رأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة اظهاراً للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التقويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله ﷺ (أخبرنا) أبو زرعة قال أخبرني والدي الحافظ المقدسي قال أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزاز قال أنا أحمد بن محمد أخي ميمي قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا عمرو بن علي بن حفظة قال سمعت عبد الوهاب

النقي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة
 ابن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال باعنا رسول الله ﷺ على السمع
 والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول
 بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ففي الخرقفة معنى المبايعة والخرقة
 عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل
 خير (روى) عن أبي يزيد انه قال من لم يكن له أستاذ فلما هو الشيطان (وحكى
 الاستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق انه قال الشجرة إذا نبتت
 بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار
 التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كهتها طعم فأكهة البساتين والغرس
 إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا واكثر ثمرة لدخول
 التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأحل ما يقتله
 بخلاف غير المعلم (وسمعت) كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح
 ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تلقوا العلوم والاداب من رسول الله ﷺ كما روى عن بعض الصحابة عاما
 رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة فليريد الصادق إذا دخل تحت حكم
 الشيخ وصحبه وتآدب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلي باطن المرید كسراج
 يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع
 نفأس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلي المرید بواسطة الصحبة وسماع المقال
 ولا يكون هذا إلا المرید حصر نفسه مع الشيخ والنسخ من ارادة نفسه وفي
 في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهي يصير بين الصحاب والمصحوب
 امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة القطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ
 كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك
 الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخبر
 كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك * ووجه لبس الخرقفة من
 السنة ما أخبرنا الشيخ أبوزرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي قال أنا أبو بكر

أحمد بن علي بن خلف الأديب النيسابوري قال أنا الحماكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أنا محمد بن إسحق قال أنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله المصري قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا إسحق بن سعيد قال حدثنا أبي قال حدثتني أم خالد بنت خالد قالت أتى النبي عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله ﷺ ائتوني بأمر خالد قالت فأتني بي فألبسنيها بيده فقال أبلبي وأخلقني يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول يأمر خالد هذا سناء والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفاء أن لبس الخرق على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث مارويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأي اقتداء برسول الله ﷺ أتم وأكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلي الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله ﷺ وتحكيم المرید شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وسبب نزول هذه الآية أن الزبير بن العوام رضی الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كان يسقيان به النخل فقال النبي عليه السلام للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المرید مع الشيخ بعد التحكيم فلبس الخرقه يزيل اهتمام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمریدين وقل أن يكون المرید يعترض على الشيخ بباطنه فيفلمح ويذكر المرید في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها يأن لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغى للمرید أن يعلم أن كل تصرف أشكل

عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ في لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ وتسليم المرید له تسليم لله ورسوله قال الله تعالى (ان الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فأنما ينكث على نفسه) ويأخذ الشيخ على المرید عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمرید صورة يستشف المرید من وراء هذه الصورة المطالبات الآهية والمراضى النبوية ويعتقد المرید أن الشيخ باب فتحة الله تعالى إلي جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع وينزل بالشيخ أسوانه ومهامه الدينية والدينية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المرید به ويرجع في ذلك إلى الله للمرید كما يرجع المرید إليه وللشيخ باب مفتوح من المسكاملة والمحاذثة في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المرید بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله بمجوانج المرید كما يستغيث بمجوانج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فأرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك والكلام من وراء حجاب بالأهلام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيخ والراسخين في العلم (واعلم) ان المریدين مع الشيخ أو ان ارتضاع أو ان تأديبا للامة (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمرید في المفارقة الا بعد علمه بأن آن له أو ان الفطام وانه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان يفتح له باب الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المرید رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أو ان فطامه ومتى فارق قبل أو ان الفطام يناله من الاعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا متابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير أو انه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمرید الحقيقي والمرید الحقيقي يلبس خرقة

الارادة واعلم ان الخرقه خرقتان خرقه الارادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصده
 المشايخ للمريدين خرقه الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة بخرقة الارادة
 للمريد الحقيقي وخرقة التبرك لمتشبهه ومن تشبهه يقوم فهو منهم وسر الخرقه ان
 الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد
 يريه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة
 ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن
 كثياب المتشغفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن في نفسه
 ليرى بعين الزهادة فأشد ما عليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة
 مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته على قدر
 حسبانها وهواها فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على
 نفسه هواها وعرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أو هيئة في الملبوس
 يشرئب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ ما يخرج النفس من عاداتها
 وهواها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعموم وكتصرفه في صوم المريد
 وافتطاره وكتصرفه في أمر دينه إلى ما يرى له من المصاحبة من دوام الذكر ودوام
 التنفل في الصلاة ودوام التلاوة ودوام الخدمة وكتصرفه فيه برده إلى الكسب
 أو الفتوح أو غير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فيأمر
 كل مريد من أمر معاشه ومعهاده بما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب
 الدعوة قال الله تعالى (أذع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
 بالتي هي أحسن) فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك
 فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا تصلح دعوته بالحكمة
 فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح
 لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التخشن أو في التنعم فيخلع
 المريد من عاداته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره
 ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويذاوى بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء
 هواه ويتوخى بذلك تقريبه إلي رضا مولاه فالمرید الصادق الملتزم باطنه بنا

الارادة في بدء أمره وحدة ارادته كالمسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فاذ
صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من
باطن المرید صدق المحبة بتألف القلوب وتشام الارواح وظهور سرالسابقة فيهما
باجتماعهما لله وفي الله وبالله فيكون القميص الذي يلبس المرید خرقه تبشر المرید
بمحض عناية الشيخ به فيعمل عند المرید عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام
(وقد نقل) إن ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف
في النار عريانا فاناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه وكان
ذلك عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل
يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويد وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه
لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويد فأخرج القميص منه وألبسه
إياه (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال أنا أبو سعد
محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال
أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا الحسن
ابن علويه قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي
عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن لا يعلم أن
قميصه لا يرد على يعقوب بصره ولكن ذلك كان قميص ابراهيم وذكر ما ذكرناه
قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم
إلا صح وعوفي فتكون الخرقه عند المرید الصادق متحملة اليه عرف الجنة لما
عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الخرقه من عناية الله به وفضل من الله
فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزى القوم ومثل هذا لا يطالب
بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة ليعود عليه
بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية لخرقة الارادة فعلى هذا
خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب
ولبس الأزرق من استحسان الشيوخ في الخرقه فان رأي شيخ أن يلبس مریدا
غير الأزرق فليس لأحد أن يعترض عليه لأن المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم

الوقت (وكان) شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصير الأكمام ليكون أعون على الخدمة ويجوز للشيخ أن يلبس المرید خرقة في دفعات على قدر ما يتلصق من المصلحة للمريد في ذلك على ما أسلفناه من تداوى هواه في الملبوس والملون فيختار الأزرق لأنه أوفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج إلى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة في ذلك كلام اقتاعى من كلام المتصنعين ليس من الدين والحقيقة بشيء (سمعت) الشيخ سديد الدين أبا الفخر الهمداني رحمه الله قال كنت ببغداد عند أبي بكر الشروطي نخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء لم لا تغسل ثوبك فقال يا أخي ما تفرغ فقال الشيخ أبو الفخر لا تزال أتذكر حلاوة قول الفقير ما تفرغ لأنه كان صادقا في ذلك فأجد لذة لقوله وبركة بتذكاري ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم في شغل شاغل وإلا فأى ثوب ألبس الشيخ المرید من أبيض وغير ذلك فلاشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه وقد رأينا من المشايخ من لا يلبس الخرقه ويسلك بأقوام من غير لبس الخرقه ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقه ولا يلبسونها المریدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رأيه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصارييف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط ﴾

قال الله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) قيل ان هذه البيوت هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلاة والسلام (وقيل) لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله هذه البيوت منها بيت علي وفاطمة قال نعم أفضلها (وقال) الحسن بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذين لا بصور البقاع

وأى بقعة حوت رجالات بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع * روى
 أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض
 ينادى بعضها بعضاً هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم
 ومن قائلة لا فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلاً وما من عبد ذكر
 الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه
 وبكت عليه يوم يموت (وقيل) في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض تنبيه
 على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على
 من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم
 على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام لهم الدنيا خادمة (روى) عمران
 ابن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله
 مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها وأصل
 الرباط ما ربط فيه الحيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عن وراءهم رباط فالجهاد
 المرابط يدفع عن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء
 عن العباد والبلاد (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل
 القزويني اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلي قال أخبرنا القاضي محمد
 ابن سعيد الفرخزاذي قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا الحسين بن محمد قال
 حدثنا أبو بكر بن خرجة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد
 الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد ٣ القطار ٣ قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة
 وفي أخرى العطار ولعله القطان بالنون وليحجر قال حدثنا حفص بن سليمان عن
 محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء
 (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا عباد الله ركن وصيبة رضع وبهائم
 رتع لصب عليكم العذاب صباحاً ثم يرض رضا ٧ (وروى) جابر ابن عبد الله قال قال
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليصلح بالرجل ولده وولده وأهل دويرته
 ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم (وروى) داود بن صالح قال قال

لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا
وصابروا وربطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظر الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم
في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) قال عبد الله
ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على
ماروي في الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من
الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر * (وقيل) * أن بعض الصالحين كتب إلى أخ
له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد
والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزوموا ما لزمته اختلت
أمور المسلمين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخي لو لزم
الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجداتهم لله أكبر انهدم سور قسطنطينية
(وقال بعض الحكماء) ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء
الطويات يحل ما عقده الأفلاك الدائرات فاجتمع أهل إذ الربط أصبح على الوجه
الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى
ما يفسد الأعمال واعتماد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد
(قال سري السقطي) في قوله تعالى (اصبروا وصابروا وربطوا) اصبروا عن
الدنيا رجا السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة وربطوا اهواء
النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط
الكرامة وقيل اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى وربطوا في دار أعدائى
واتقوا محبة من سوائى لعلكم تفلحون غدا بلقائى * وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء
بمقالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن الخاطات واجتناب التبعات وعائق
ليه ونهاية العبادة متعوضاً بها عن كل عادة شغله حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهداً
(حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا ابن نهبان مجد الكاتب قال أنا

الحسن بن شاذان قال أنا دعلج قال أنا البغوي عن أبي عميد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اسباغ الوضوء في المكاره وأعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا * وفي رواية ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء في المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط

﴿ الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة ﴾

قال الله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) هذا وصف أصحاب رسول الله ﷺ قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا نتبع الماء الحرج وهذا وأشبهه هذا من آداب وظيفه صوفية الربط يلازمونه ويتأهدونه والرباط بيوتهم ومضربهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك على ما أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أحمد ابن محمد البرزازی قال أنا عيسى بن علي الوزير قال حدثنا عبد الله البغوي قال حدثنا وهبان بن بقية قال حدثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبي هند عن أبي الحرث حرب بن أبي الأسود عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالتقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكنها بوصف مقال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) والمقابلة باستواء السر والعلائية ومن أضرر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الأحماد والغل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون بطواهرهم له بواطن

مجتمعون على الألفة والمودة مجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة
 الاجتماع (روى) وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أنهم قالوا يارسول الله إنا نأكل
 ولا نشبع قال لعلمكم تفترون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله تعالي يبارك
 لكم فيه (وروى) أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرفق فقيل فعلى أى شىء كانوا يأكلون قال
 على السفر فالعباد والزهاد طلبوا الانفراد لدخول الآفات عليهم بالاجتماع وكون
 نفوسهم تفتلق للأهوية والخوض فيما لا يعنى فرأوا السلامة فى الوحدة والصفوية
 لقوة عملهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فرأوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على
 السجادة فسجادة كل واحد زاويته وهم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى
 همه سجادته وهم فى اتخاذ السجادة وجه من السنة (روى) أبو سلمة بن عبد الرحمن
 عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا من الليف
 يصلى عليه من الليل وروت ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط له الخمرة فى المسجد حتى يصلى عليها والرباط يحتوى على
 شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالشايخ بالزوايا أليق نظرا إلى ماتدعو
 إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فالنفس شوق إلى
 التفرد والاسترسال فى وجود الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود فى بيت
 الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون
 هذا إلا إذا كان جمع الرباط فى بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس
 وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكل امرىء منهم يومئذ
 شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض
 وهكذا ينبغى لأهل الصدق والصفوية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا
 تخلل أوقات الشبان اللغو واللغظ فالأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة
 ويؤثر الشيخ الشاب بزوايته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعى الهوى
 والخوض فيما لا يعنى ويكون الشيخ فى بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس
 وتخلصه من تبعات المحالطة وحضور وقاره بين الجمع فيضبط به الغير ولا يتكدر
 هو وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه

لنفأس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة
قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك وبعين الاخوان المشتغلين بالعبادة (قال)
رسول الله ﷺ المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الحوائج فيقضى بعضهم
إلى بعض الحوائج يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيحتفظ بالخدمة عن البطالة
التي تميمت القلب والخدمة عند انقوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق
المواجيد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من
ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح
قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال
حدثنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك
عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكان يقول لي اسلم فانك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فانه لا ينبغي
أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قال فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين فلما
حضرته الوفاة أعتقني فقال اذهب حيث شئت فالقوم بكرهون خدمة الأغيار ويأبون
مخالطتهم أيضا فان من لا يحب طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم أكثر مما ينتفع
فاتهم بشر وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر وينكرها الغير لثمة علمه بمقاصدهم
فيكون أبأؤهم لموضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على أحد من
المسلمين والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب
وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها فخدمته لأهل القرب علامة
حب الله تعالى (أخبرنا) الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد
قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو بكر بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبي اسامة
قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو اسحق عن حميد عن أنس بن مالك رضي
الله عنه قال لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من
المدينة ان بالمدينة أقواما ماسرتم من مسيرو ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم
في المدينة قال نعم حبسهم العذر فالتأمم بخدمة القوم تعوق عن باوغ درجاتهم
بعذر القصور وعدم الأهلية فحام حول الحمى باذلا مجوده في الخدمة يتعلل بالأثر

حيث منع النظر فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأناله من جزيل العطاء وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويحتمسون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن

❁ الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط والصوفية

فيما يتعاهدون ويختصون به ❁

اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهديّة ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى (أولئك الذين هدى الله) فبهداهم اقتده وما يرى من التقصير في حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدر في أصل أمرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقي من الأثر واجتماع المتصوفة في الربط وماهياً الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من أثار منج الحق في حتمهم وصوره الاجتماع في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قل الله تعالى في وصف المؤمنين كأنهم بنيان مرصوص وبعكس ذلك وصف الأعداء فقال تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى (روى) النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بازالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح (روى) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (أخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ. أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال حدثنا أبو القاسم الفضل بن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الحيري قال أنا

أبو سهل بن زياد القطان قال حدثنا الحسين بن مكرم قال حدثنا يزيد بن هرون الواسطي قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الأرواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ما ورد المؤمن مرآة المؤمن فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة ناقروه لأن التفرقة تظهر بظهور النفس وظهور النفس من حق تضييع الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالمناقرة إلى دائرة الجمعية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر الشهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لا يزال الصوفية بخير ما تناقروا فاذا اصطلحوا هلكوا وهذه اشارة من رويم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض اشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطلحوا أو رفعوا المناقرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة المرأة ومساحمة البعض البعض في اهل دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروى قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال حدثنى ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن زعمان أخبر بأن عمر قال فى مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرايتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال بشر بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدر فقال عمر أنتم إذن أنتم وإذا ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الاخران فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قوبلت بالقلب انحسرت مادة الشر واذا قوبلت بالنفس بالثبات.

فالتفتة وذهبت العصمة قال الله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه
 عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) ثم الشيخ أو الخادم إذا شكك
 إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمعتدي لم تعديت ولمعتدي
 عليه ما الذي أذنت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابات نفسه بالقلب
 رفقا بأخيك واعطاء للفتوة والصحبة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة
 الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الاصرار
 دوت هائشة رضى الله عنها قالت كان يقول رسول الله ﷺ اللهم اجعلني من
 الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأؤا استغفروا فيكون الاستغفار ظاهرا مع
 الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في استغفارهم فهذا المعنى يقفون في صف
 النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه
 وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطنى صافيا ولا أثر
 القيام للاستغفار ظاهر من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فببركة سعيك وقيامك
 ترزق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة
 وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ولا يجتمعون
 للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم
 إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث إذا قام الفقير للاستغفار
 لا يجوز رداستغفاره بحال (روى) عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قالوا ارحموا ارحموا واغفروا يغفر لكم (وللصوفية) في تقبيل
 يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة (روى) عبدالله بن عمر قال كنت في
 سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاص الناس حيصه فكنت
 فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبئونا بالغضب ثم قلنا ودخلنا
 المدينة فتبتنا فيها ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كان لنا توبة
 وإلا ذهبنا فأتيناها قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرادون قل
 لا بل اتم العكارون أنا فتمتكم أنفئة المسامين يقال عكر الرجل إذا والعكار العطاف
 والرجاع قال فأتيناها حتى قبلنا يده وروى ان أبا عبيدة بن الجراح تولى ثم كر راجعا

قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد الغنوي انه قال آتينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده فهذا رخصة في جواز تقبيل اليد
 ولكن أدب الصوفي انه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يمتنع
 من ذلك فان سلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان عقيب
 الاستغفار لرجوعهم إلى الالفة بعد الوحشية وقدومهم من سفر الهجرة بالتفرقة
 إلى أوطان الجمعية فبظهور النفس تعربوا وبعثوا وبغية النفس والاستغفار قدموا
 وراجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله فقد اخطأ فقد ورد عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعتذر
 إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس (وروى)
 جابر أيضاً عن رسول الله ﷺ من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد الحوض ومن السنة
 أن يقدم للاخوان شيئاً بعد الاستغفار روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله
 عليه وسلم ان من توبتي أن أخلع من مالي كله واهجر دار قومي التي فيها أتيت
 الذنب فقال له النبي عليه الصلاة والسلام يحزبك من ذلك الثلث فصارت سنة
 الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمناقرة وكل قصدهم رعاية التآلف حتى
 تكون بواطنهم على الاجتماع كما ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفر دوا به من
 بين طوائف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من
 وقفه أو مما يطلب لسكانه بالدروزة ان يكون عنده من الشغل بالله ما ليسعه
 الكسب والا إذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعنى عنده مجال ولا يقوم بشروط
 أهل الارادة من الجد والاجتهاد فلا ينبغي له ان يأكل من مال الرباط بل يكتسب
 ويأكل من كسبه لان طعام الرباط لا قوام كمل شغلهم بالله فخدمتهم الدنيا لشغلهم
 بخدمة مولاهم الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى
 يهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة
 بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء فيكون
 ما يأكله في مقابلة خدمته ﴿ روي ﴾ عن أبي عمرو الزجاجي قال أقت عند الجنيد
 مدة فما رأيت قط الا وأنا مشغول بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يوم من

الأيام خلا الموضوع من الجماعة فقامت ونزعت ثيابي وكندت الموضوع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ ورأى على أثر الغبار فدطلى ورحب بي وقال أحسنت عليك بها ثلاث مرات ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب إلى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة وحظ من الخدمة **﴿روي﴾** أبو محذورة قال جعل رسول الله ﷺ لنا الأذان والسقاية لبني هاشم والحجابه لبني عبدالدار وبهذا يقتدى مشايخ الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا يعنى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن يعنى به دوام الرطاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقلب وقتا وبالقلب دون القلب وقتا وتفقد الزيادة من النقصان فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبدالقاهر اجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الفضايري يقول سمعت السري يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم (وقد يعذر) الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الاطلاق فاما من حيث فتوى الشرع فان كان شرطه الوقف على المتصوفة وعلى من تزيا بزى المتصوفة وعلى خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى وفي ذلك القناعة بالرخصة دون العزيمة التي هي شغل أهل الارادة وان كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا وحالا فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكنين إلى تضييع الأوقات وطرق أهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الفرياني قال حدثنا محمد بن الحسين البلخي بسمرقند قال حدثنا عبد الله ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزازي قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال مثل المؤمن كمثل

الفرس في آخيته يجول ويرجع إلي آخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين

الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام

اختلف أحوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في بدايته وأدام في نهايته ومنهم من قام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى اما كان سفره ضائعاً (ونقل) ان جابر ابن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر الحديت بلغه ان أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع (وقيل) في تفسير قوله تعالي المأجورون انهم طلاب العلم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا فأتى أباسعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه السلام قال ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وروت عائشة رضی الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالی أوحى إلي انه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة * ومن جملة مقاصدهم في البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين فلم يريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لظه وهذا القول فيه وجهان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر ما يكلم بلسان قوله فاذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو نفع اللحظ ومن

لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثاني ان نظر العلماء الراسخين في العلم والرجال البالغين تريق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئماله لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع في قلبه محبة الصادق من المريدين وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالاً سنية يهبون وأنار مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه وتعالى كما جعل في بعض الأفاعى من الخاصية انه إذا نظر إلى انسان يملكه بنظره ان يجعل في نظر بعض خواص عباده انه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالاً وحياء وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف في مسجد الخيف بمعنى ويتمسح وجوه الناس فقيل له في ذلك فقال لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة فأنا أطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع المألوفات والانسلاخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم والتحامل على النفس بتجبرع مرارة فرقة الآلاف والخلان والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات محتسباً عند الله أجرا فقد حاز فضلاً عظيماً أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ المقدسى عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الاصفهاني قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خرشيد قوله قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زيادة النيسابورى قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة * ومن جملة المقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج دعواتها ودعاؤها لأنها لا تكاد تتبين حقائق ذلك بغير السفر وسمى السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وفق على دائه يتشمر لدوائه وقد يكون أثر السفر في نفس المبتدى كالأثر النوافل من الصلاة والصوم وائتمهم بغير ذلك وذلك ان المتنفل سأل إلى الله تعالى من أوطان الغفلات إلى محل القربات والمسافر يقطع

والمسافات ويتقلب في المفاوز والفلوات بحسن النية لله تعالى سائرا إلى الله تعالى بمرغمة
 الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا (أخبرنا) شيخنا اجازة قال أنا عمر بن احمد قال أنا
 احمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول
 سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك كل حظ النفس فاذا
 سافر المبتدى تاركاً حظ النفس تطمئن النفس وتلين كالتلين بدوام النافلة ويكون لها
 بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعقوبة الطبيعية كالجلد يعود
 من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب فتعود النفس من طبيعة الطغيان إلى طبيعة الايمان *
 ومن جملة المقاصد في السفر رؤية الآثار والعبر وتسريح النظر في مسارح الفكر
 ومطالعة أجزاء الأرض والجبال وموايلء أقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات
 الجمادات والفهم من لسان حال المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع
 العبر والآيات وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى
 (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد كان السرى
 يقول للصوفية إذا خرج الشتاء ودخل أدار وأورقت الأشجار طاب الانتشار *
 ومن جملة المقاصد بالسفر إينار الخمول واطراح حظ القبول فصدق الصادق ينم على
 أحسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقلماء يكون صادق متمسك بعروة
 الاخلاص ذو قلب عامر إلا ويرزق اقبال الخلق على لأنني أبلغ نفسي حظها من الهوى
 فاني لأبلى أقبلا أو أدبروا ولكن لكون اقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا
 ابتلى المرید بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح
 عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الأسباب المحمودة
 وتره فيه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود ولا تزال النفس
 به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستحلاء قبول الخلق وربما قويا
 عليه فجراه إلى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الرافع (وسمعت) ان بعض الصالحين
 قال لمريده أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن
 يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للأقدام فالله تعالى يدرك الصادق
 إذا ابتلى بشيء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر فيفارق

المسافر والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخر وج إلى السفر وهذا من أحسن المقاصد في الاسفار للصادقين فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس (وقد نقل) أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من الغد * ثم إذا من الله على الصادق بأحكام أمور بدايته قلبه في الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش في قلبه فوائد النظر إلى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى (ففررت منكم لما خفتكم فوهدتني ربى حكما وجعلني من المرسلين) فعند ذلك يرده الحق إلى مقامه ويمده بمجزيلا انعامه ويجعله إماما للمتقين به يقتدى وعلمنا للمؤمنين به بهتدي * وأما الذي أقام في بدايته وسافر في نهايته يكون ذلك شخصا يسر الله له في بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ويدرجه إلى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلتزم بصحبة من يرده عن عادته وقد كان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره أن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله حرام عليك أن تحضرنى فمن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها (أخبرنا) رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال أنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري عن والده الاستاذ أبي القاسم قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت عياش بن أبي الصخر يقول سمعت أبا بكر الرقاق يقول لا يكون المرید مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق صحبة من ينديه إلى مثل هذه الأحوال السنية والعزائم القوية محرم عليه المفارقة واختيار السفر ثم إذا أحكم أمره في الابتداء بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء ارتوى من الأحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين

من الاخوان في أقطار الأرض وشاسع البلدان يشرب إلى التلاق وينبعث إلى الطواف في الآفاق يسيره الله تعالى في البلاد لفائدة العباد ويستخرج بمغناطيس حاله خبء أهل الصدق والمتطهين إلى من يخبر عن الحق ويبذر في أراضى القلوب بذرا الفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوي على سوقه تعود بركة البعض على البعض وتسري الأحوال من البعض إلى البعض ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا (أخبرنا) شيخنا قال أنا الإمام عبد الجبار البيهقي في كتابه أنا أبو بكر البيهقي قال أنا أبو علي الروزبادي قال حدثنا أبو بكر بن داسمه قال حدثنا أبو داود قال أنا يحيى بن أيوب قال حدثنا اسماعيل بن جعفر قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا ربه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وقتح عليه أبواب الخير وجذبه بعنايته (وقد ورد) جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلي من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيده بلطفه ولطفه وتداركه بلحظه ولتجته وبقوة حاله وكفاه يسير الصحبة لكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب واجراء سنة الله تعالى في اعطاء الأسباب حقها لاقامة رسم الحكمة يحوج إلى يسير الصحبة فيتنبه بالقليل للكثير ويغنيه اليسير من الصحبة عن اللحظ الكثير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار عن الاسفار ويتعوض بأشعة الأنوار عن مطالعة العبر والآثار كما قال بعضهم الناس يقولون افتحوا أعينكم وأبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم وأبصروا (وسمعت) بعض الصالحين يقول لله عباد طور سيناهم ركبهم تكون رؤسهم على ركبهم وهم في محال القرب فمن نبع له معين الحياة في ظلمة خلوته فاذا يصنع بدخول الظلمات ومن اندرجت له أطباق السموات في طي شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه في السموات ومن جمعت أحداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي الفلوات ومن خلص

بخاصية فطرته إلى مجمع الأرواح ماذا تفيد زيارة الأشباح (قيل) أرسل ذو النون
المصرى إلى أبي يزيد رجلا وقال قل له إلي متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة
فقال للرسول قل لأخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة
فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا (وكان) بشر يقول يامعشر
القراء سيحوا تطيبوا فان الماء إذا أكثر مكنه في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند
هذا الكلام صر بحرا حتى لا تتغير فإذا أدام المرید سير الباطن بقطع مسافة النفس
الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتها وبدل أخلاقها المذمومة بالمحمودة وعانق
الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد في حضره
أكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل
يتجدد الضعف عن سياستها بالعلم للضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات
السفر وطوارقه إلا الأقوياء (قال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه للذى زكى عنده
رجلا هل صحبته في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال ما أراك
تعرفه فإذا حفظ الله عبده في بداية أمره من تشويش السفر ومتمعه بجمع الهمة وحسن
الاقبال في الحضر وساق إليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد
أحسن إليه (قيل) في تفسير قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب) هو الرجل المنقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين
فبيعث الله إليه من يحمل أشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو
في المقام من غير سفر ثمرات النهاية فيستقر في الحضر انتهاء وابتداء وأقيم
في هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذى أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة
حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ولا
تموت إلا بين منزلين * وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم
في بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه
توكله فكان علم الناس ومعرفةهم إياه يراه سببا ومعلوما (وحكى) عنه انه قال
مكثت في البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر
فرايت الحضر مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فإذا هو رجوع عنى فقبل لم هربت

منه قال نشوفت نفسى أن يغينتى فهؤلاء الفرارون بدينهم (اخبرنا) أبو زرعة طاهر
ابن الحافظ أبي الفضل المقدسى عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله
ابن يوسف بن نامويه قال حدثنا أبو محمد الزهرى القاضى قال حدثنا محمد بن عبد الله
ابن اسباط قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا محمد يعنى ابن مسلم عن عثمان بن عبد الله
ابن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال أحب شىء إلى الله
الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى بن مريم
يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع
الله وحسن النية يقتضى الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلدت الأحوال
فمن سافر ينبغى أن يتفقد حاله ويصحح نيته ولا يقدر على تحليص النية من شوائب
النفس إلا كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على
هوى ومن لم يستقص في الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعو إلى السفر
نشاط جبلى نفسانى وهو يظن أن ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق
وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية إلى العلم بمعرفة الخواطر وشرح
الخواطر وعلمها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومى الآن إلى ذلك برمز يدرکه من
نازله شىء من ذلك فأكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفة على بعد * إعلم أن
ماذا كراه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الأمور فقد يجد الفقير الروح
بالخروج إلى بعض الصحارى والبساتين ويكون ذلك الروح مضرا به في ثانی الحال
وإن كان يتراءى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت أن النفس
تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسر يسير هواها بالخروج إلى الصحراء والتنزه
وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه متشوفة إلى متعلق هواها فيتروح
القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه قرين يستنقله ثم إذا
عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس
مقدانة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب
وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين
الداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلوصبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس

ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستنقلها وعلى هذا يقاس
التروح بالاسفار فللنفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يغتر
بالتروحات المستعارة التي لا تمد طاقتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور
خاطر السفر ولا يكترث بالخطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس
وتسويلاتها ومن هذا القبيل والله أعلم قول رسول الله ﷺ ان الشمس تطلع
من بين قرني الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك
الوثبات والنهضات من النفس إلى المزاج والطباع ويطول شرح ذلك ويعمق
ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات فيتشكك اهتزاز النفس
بنهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض قلبه وربما يترأى له انه بالله يصول وبالله
يقول وبالله يتحرك فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها ولا يقع هذا الاشتباه
إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل
وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك فانه عزيز علمه وأقل
مراتب الفقراء في مبادي الحركة للسفر لتصحیح وجه الحركة ان يقدموا صلاة
الاستخارة وصلاة الاستخارة لاتهمل وان تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه
المصلحة في السفر ببيان أوضح من الخاطر فللقوم مراتب في التبيين من العلم
بصحة الخاطر وما فوق ذلك في ذلك كله لاتهمل صلاة الاستخارة اتباعا لسنة
في ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله ﷺ على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين
أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو القاسم ابن عبد الرحمن في كتابه ان
أبا سعيد الكنجرودي أخبرهم قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد
ابن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال إذا هم أحدكم
بالأمر أو أراد الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك
بعلمك واستقدرتك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر

وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر يسميه بعينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري أوقال عاجل أمري وأجله فاقدره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي مثل ذلك فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان

﴿ الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره

من الفرائض والفضائل ﴾

فأما من الفقه وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الإيجاز تيمناً بذكر الأحكام الشرعية التي هي الأساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي المسافر من علم التيمم ومسح على الخفين والقصر والجمع في الصلاة (أما التيمم) جواز للمريض والمسافر في الجنابة والحديث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلقا في النفس أو المال أو زيادة في المرض على القول الصحيح من المذاهب أو عند حاجته إلى الماء الموجود لعطشه أو عطش دابته أو رفيته في هذه الأحوال كلها يصلى بالتيمم ولا إعادة عليه والخائف من البرد يصلى بالتيمم ويعيد الصلاة على الأصح ولا يجوز التيمم إلا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب وموضع الطلب مواضع تردد المسافر في منزله للاحتطاب والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير في ذلك كالطويل وإن صلى بالتيمم مع تيقن الماء في آخر الوقت جاز على الأصح ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وإن كان الوقت باقياً ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه كما إذا طلع ركب أو غير ذلك وإن رأى الماء في أثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الإعادة ويستحب له الخروج منها واستئنافاً بالوضوء على الأصح ولا يتيمم للقرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلى مهما شاء من النوافل بتيمم واحد ولا يجوز أداء القرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصلى ويعيد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمسه المصحف وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يتيمم إلا بتراب طاهر غير مختلط للرمل والجص ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه

فلو بقي شيء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوط الأصابع ويعمم بالتراب محل الفرض وإن لم يقدر إلا بضربتين فبماعداء كيف أمكنه لا بد أن يعمم التراب محل الفرض ويمسح إذا فرغ إحدى راحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين وتمر اليد على منازل من اللحية من غير إيصال التراب إلى المنابت (وأما المسح) فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن في السفر والمقيم يوماً وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف مكان متابعة المشى عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لثافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح والماسح في السفر إذا أقام يمسح كالقيم وهكذا المقيم إذا سافر يمسح كالسافر والبد إذا ركب جورباً ونعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرج إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللقافة (فأما القصر والجمع) فيجمع بين الظهر والعصر في وقت أحدهما ويتيمم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والصبح بل يصليهما كهيتئهما من غير قصر وجمع والسنن الرواتب يصلها بالجمع بين السننتين قبل الفريضة من الظهر والعصر وبعد الفراغ من الفريضة يصل ما يصل بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الرواتب لهما ويوتر بعدها (ولا يجوز) أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغازي ويجوز ذلك في السنن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفي الركوع والسجود الأيماء ويكون أيماء السجود أخض من الركوع إلا أن يكون قادراً على التمكن مثل أن يكون في محارة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا للقبلة حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته * والماشي يتنقل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الأحرام لا يجوز في الأحرام إلا

الاستقبال ويقتضيه الإيحاء للركوع والسجود وراكب الدابة لا يحتاج الى استقبال القبلة
 للاحرام أيضاً * وإذا أصبح المسافر مقيماً ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم في الصوم
 وهكذا ان أصبح مسافراً ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر
 أفضل من الاتمام * فهذا القدر كاف للصوفي أن يعلمه من حكم الشرع في مهام سفره
 (فأما المندوب والمستحب) فينبغي أن يطلب لنفسه رقيقاً في الطريق يعينه على
 أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده
 إلا أن يكون صوفياً عالماً بآفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة
 وإذا كانوا جماعة ينبغى أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله ﷺ إذا كنتم
 ثلاثة في سفر فأمرؤا أحدكم والذي يسميه الصوفية يبشر وهو الأمير وينبغي أن
 يكون الأمير أزهدي الجماعة في الدنيا وأوفرهم حظاً من التقوى وأتقاهم مروءة وسخاوة
 وأكثرهم شفقة * روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال خير الأصحاب عند
 الله خيرهم لصاحبه * نقل عن عبد الله المروزي أن أبا علي الرباطي صحبه فقال على أن
 أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره
 وأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكساءه عن
 المطر وكما قال لا تفعل يقول ألسنت الأمير وعليك الانقياد والطاعة فأما ان كان
 الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام
 في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المباينين لطريق
 الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون
 التحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلي تحصيل ما رُب
 النفس ولا يخلوا اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل المكرهه
 والتنقل في الربط والاستمتاع والنزهة وكما كثر المعلوم في الرباط أطلوا المقام
 وإن تعذرت أسباب الدين وكما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين وليس
 هذا طريق الصوفية ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ويدعو لهم
 بدعاء رسول الله ﷺ (قال) بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة
 فلما أردت مفارقتة شيعني وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لقمان لابنه

يا بى إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك
وخواتيم عملك (وروى) زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا أراد
أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (وروى)
عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك
للخير حيثما توجهت وينبغى أن يعتقد اخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن
الله يستجيب دعاءه فقد روي أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ
جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل
أحدثك عنه يا أمير المؤمنين اني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت
تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت
فاذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار تلوح على قبرها فقلت للقوم ما هذه
النار فقالوا هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامعة قوامعة
فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فخرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب
ققيل ان هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها فقال عمر لهو أشبهه
بك من الغراب بالغراب * وينبغى ان يودع كل منزل يرحل عنه بركتين
ويقول اللهم زدنى التقوى واغفرلى ذنوبى ووجهنى للخير اينما توجهت
(وروى) أنس بن مالك قال كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا ينزل
منزلا إلا ودعه بركتين فينبغى ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركتين
وإذا ركب الدابة فليقل سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين باسم الله
والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم انت الحامل
على الظهر وأنت المستعان على الأمور والسنة أن يرحل من المنازل بكرة ويبتدىء
بيوم الخميس روى كعب بن مالك قال فلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السفر
إلى يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار ويستحب كلما أشرف
على منزل أن يقول اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقلن ورب
الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير
(٧ - عوارف المعارف)

هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيسل كان إبراهيم الخواص لا يفارقه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة وخبوطها والمقراض وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرأة والمكحلة والمدري والسواك والمشط وفي رواية المقراض والصوفية لا تفارقهم العصا وهي أيضا من السنة روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذ إبراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها إبراهيم وموسى وروى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء كان لرسول الله ﷺ عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا وأخذ الركوة أيضا من السنة روى جابر بن عبدالله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه والأصل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء نشرب ولا نتوضأ به الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو ينفور من بين أصابعه مثل العيون قال فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة روى أبو سعيد قال حج رسول الله ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بازركم فربطنا ومشينا خلفه الهرولة * ومن ظاهر آداب الصوفية عند خروجه من الربط أن يصلي ركعتين في أول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليميني ثم اليسرى ثم يأخذ الميانبند الذي يشده وسطه ويأخذ خريطة المدارس وينفضها ويأتي الموضع الذي يريد ان يلبس الخف فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل أحد المداسين بالأخر ويأخذ المداس باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس في الخريطة اعقابه إلى أسفل ويشد رأس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كفه الأيسر ويضعه خلف ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ويبتدىء باليميني فيلبس

ولا يدع شيئاً من الزان أو المنطقه يقع على الأرض ثم يغسل يديه ويهمل وجهه إلى
الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فإن أخذ بعض الاخوان روايته إلى خارج
الرباط لا يمنعه وهكذا العصا والابريق ويودع من شيعه ثم يشد الراوية برفع يده
اليمنى ويخرج اليسرى من تحت ابطه الايمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون
كتفه الايمن خالياً وعقدة الراوية على الجانب الايمن فاذا وصل في طريقه إلى موضع
شريف أو استقبله جمع من الاخوان أو شيخ من الطائفة يحل الراوية ويحطها
ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل رباطا كان
أوغيره يحل الراوية ويحملها تحت ابطه الأيسر وهكذا العصا والابريق يمسك
بيساره وهذه الرسوم استحسناها فقراء خراسان والجبل ولا يتعهدها أكثر فقراء
العراق والشام والمغرب ويحجى بين الفقراء مشاحنة في رطابها فن لا يتعاهدوا
يقول هذه رسوم لا تلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن
يتعهدها يقول هذه آداب وضعها المتقدمون وإذا رأوا من يخل بها أو بشيء منها
ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال هذا ليس بصوفي وكلا الطائفتين
في الانكار يتعدون الواجب والصحيح في ذلك ان من يتعاهدوا لا ينكر عليه
فليس بمنكر في الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس
بواجب في الشرع ولا مندوب إليه وكثير من فقراء خراسان والجبل يبالغ في رطاية
هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيرا ما يخل بها فقراء العراق والشام
والمغاربة إلى حد يخرج إلى التفريط والالبق ان ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره
لا ينكر ويجعل لتصاريف الاخوان اعذارا ما لم يكن فيها منكر او اخلال بمندوب
إليه والله الموفق

❦ الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه ❦
ينبغي للفقير إذا رجع من السفر أن يستعيد بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيد
به من وعناء السفر * ومن الداء المأثور اللهم اني أعوذ بك من وعناء السفر
وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد وإذا أشرف على بلديريد المقام
بها يشير بالسلم على من بها من الأحياء والأموات ويقرأ من القرآن ما تيسر

ويجعله هدية للأحياء والأموات ويكبر فقد روى أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوا وحج يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تأيئون طابون ساجدون ربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ويقول إذا رأى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله ﷺ حيث اغتسل لدخول مكة **روى** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحجم والافليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستمد للقاء الإخوان بذلك وينوي التبرك بمن هنالك من الأحياء والأموات ويزورهم **روى** أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ خرج رجل يزور أخاه في الله فارصدا الله بمدرجته ملكا وقال أين تريد قال أزور فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا قال فيم تزوره قال اني أحبه في الله قال فاني رسول الله إليك بأنه يحبك بحبك اياه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا عاد الرجل أخاه أوزاره في الله قال الله له طبت وطاب ممشاك ويتبوا من الجنة منزلا **روى** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكروا الآخرة فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك فإذا دخل البلد ببئدئ بمسجد من المساجد يصلى فيه ركعتين فان قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله ﷺ إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصد الرباط من السنة على ما روينا عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن انزل الصفة فاذا دخل الرباط يمضي إلى الموضع الذي يريد نزع الخف فيه فيحبل وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كفه اليسار ويحبل رأس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار ثم يضع المداس على الأرض ويأخذ الميانبند ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فان كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على

المسجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل
 القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من المسجادة
 وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بها لأنه
 من استحسان الشيوخ ونيتهم الظاهرة في ذلك تقييد المرید في كل شيء بهيئة
 مخصوصة ليكون أبداً مفتقداً لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب
 ومن اخل من الفقراء بشيء من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب لأن
 أصحاب رسول الله ﷺ ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة وكون الشبان
 يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظر لهم إلى النية في الأشياء غلط ففعل
 الفقير يدخل الرباط غير مشمر اكمامه وقد كان في السفر لم يشمر الاكمام فينبه
 ان لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب إليه شرعاً وكون الآخر يشمر
 الاكمام يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام
 في معناه من الخفة والارتفاق به في المشي فمن كان مشدود الوسط مشمراً يدخل
 الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكباً لم يشد وسطه فمن
 الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الاكمام لنظر الخلق فانه
 تكلف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر
 على المتصوفة انهم إذا دخلوا الرباط لا ينتدؤن بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف
 المندوب ولا ينبغي للمنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه
 وتركهم السلام يحتمل وجوهاً أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى
 عبد الله بن عمر قال مر رجل على النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى
 كاد الرجل أن يتواري فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة
 أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعني أن أرد عليك السلام
 الا اني لم أكن على طهر وروى انه لم يرد عليه حتى توضعاً ثم اعتذرا ليه وقال اني كرهت
 ان اذكر الله تعالى الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر
 وقد يتفق لأحدهم حدث فلو سلم المتوضيء وامسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام

حتى يتوضأ من يتوضأ ويغسل قدمه من يغسل سترا للحال على من أحدث حتى
 يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله ﷺ وقد يكون بعض المقيمين أيضا
 على غير طهارة فيستعد لجواب السلام أيضا بالطهارة لأن السلام إسم من أسماء الله
 تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها انه إذا قدم يعانقه
 الاخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستعد بالوضوء والنظافة
 ثم يسلم ويعانقهم ومنها أن جمع الرباط - أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام
 قد ينزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله
 واشتغاله بغسل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب للجمع له كما يتأهب لهم بعد
 مسابقة الاستئناس وقد قال الله تعالى حتى تستأنسوا واستئناس كل قوم على ما يليق
 بحالهم ومنها انه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم بل هم اخوانه والالفة
 بالنسبة المعنوية الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه فيرى
 البركة في استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يعهد عذرهم في ترك
 السلام ينبغي لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام فكما ان من ترك
 السلام له نية فالذي سلم له أيضا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب
 استحسناها شيوخهم فما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة
 والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزع البسار ﴿روى﴾ أبو هريرة رضي الله عنه
 أن رسول الله ﷺ قال إذا انتعلتم فابدؤا باليمين وإذا خلعتهم فابدؤا باليسار
 أو اخلعها جميعا أو اخلعها جميعا ﴿روى﴾ جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان
 يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى وبسط السجادة ورددت به السنة
 وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع وهنون وقد ورد
 في حديث طويل لا يؤرم الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكرسته إلا باذنه
 وإذا سلم على الاخوان يعانقهم ويعانقونه فقد روى جابر بن عبد الله قال لما قدم جعفر
 من أرض الحبشة طانقه النبي ﷺ وان قبلهم فلا بأس بذلك ﴿روى﴾ ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسمرني بقدم
 جعفر ويصافح اخوانه فقد قال عليه السلام قبلة المسلم أخاه المصافحة (وروى)

أنس بن مالك قال قيل يارسول الله الرجل يلقي صديقه وأخاه ينحنى له قال لا قيل يلزمه ويقبله قال لا قيل فيصاخفه قال نعم ويستحب للفقراء المقيمين في الرباط أن يتلقوا الفقراء بالترحيب (روى) عكرمة قال قال رسول الله ﷺ يوم جمعة مرحبا بالزكك المهاجر مرتين وان قاموا إليه فلا بأس وهو مسنون (روى) عنه عليه السلام انه قام لجعفر يوم قدومه * ويستحب للخادم أن يقدم له الطعام (روى) لقيط- ابن صبرة قال وفدنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله وصادفنا عائشة رضي الله عنها فأمرت لنا بالحريرة فصنعت لنا وأتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فأكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبتم شيأ قلنا نعم يارسول الله ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيأ لحق القدم (ورد) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا وكراهيتهم لقدم القادم بعد العصر وجهه من السنة منع النبي ﷺ عن طروق الليل والصوفية بعد العصر يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار (روى) جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا (وروى) كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ كان لا يقدم من السفر الا نهارا في الضحى فيستحبون القدم في أول النهار فان فات من أول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم في المشى أو غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر ينسب إلى تقصيره في الاهتمام بالسنة وقدم أول النهار فانهم يكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فاذا صار العصر يؤخر القدم إلى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو ان الصلاة بعد العصر مكروهة ومن الأدب أن يصلي القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينسبط وتذهب عنه الدهشة ففي ذلك فضل كثير (روى) أبو رفاعة قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت يارسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقعده

رسول الله ثم جعل يعلمني مفاعله الله ثم أتى خطبته وأتم آخرها فاحسن أخلاق
الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المسموع والمرئي وقد يدخل فقير
بعض الربط ويخل بشيء من مراسم المتصوفة فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير
فقد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترسيم الظاهر ويقصدون
الرباط بنية صالحة فإذا استقبلوه بالمكروه يخشى أن تتشوش بواطنهم من الأذى
ويدخل على المنكر عليه ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد مع الخلق من المداراة والرفق وقد صح أن
اعرابيا دخل المسجد وبال فأمر النبي عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك
ولم ينهر الاعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظافة والتغليظ
والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة
ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الموضع على ألطف وجه
بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يعتمده
الفقراء من تغميز القدام نخلق حسن ومعاملة صالحة ووردت به السنة روى عمر رضي
الله عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ وغلام له حبشى يغمز ظهره فقلت
يا رسول الله ما شأنك فقال ان الناقة اقتحمت بي فقد يحسن الرضا بذلك ممن يغمز
في وقت تعبته وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب
به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وان كان في الشرع جائزا
وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك
الاحتمال عقوبة استرساله في التغميز ولارباب العزائم أمور لا يسهم فيها الركون
إلى الرخص * ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد بعد قدمه ان لا يبتدىء
بالكلام دون ان يسئل ويستحب ان يمكث ثلاثة أيام لا يقصد زيارة ومشهدا
أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعناء السفر ويعود باطنه
إلى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة
الأيام همته وينصلج باطنه ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه
إذا كان منورا يستوفي حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره (وقد) كنت

السمع شيخنا يوصي الأصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق إلا في أصغى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف فقد روى عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه وان نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف بطلب خدمة يقوم بها وان كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن المتقدم فيه ولا يفعل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جمل اعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضله يزيدهم توفيقا وتاديبا

﴿ الباب التاسع عشر في حال الصوفي المتسبب ﴾

اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولهم في كل ذلك أدب وحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله ﷺ من يضمن لي واحدة أتكفل له الجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان تستط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزله هو ويأخذها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبالا فيحتمط على ظهره فيأكل ويتصدق خيره من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فان اليد العليا خير من السفلى (أخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرني والذي قال أنا أبو محمد الصيرفي ببغداد قال أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد قال حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب

على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امرأتي ائت رسول الله ﷺ فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأنتبه وقلت التمس شيئا فذهبت أطلب فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب ويقول من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا قال فرجعت وما سألته فرزقني الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالنا وأما من حيث الترهيب والتحذير فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يأتي الله وليس في وجهه مزعة لحم وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلاتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس ولا يظن بمكانه فيعطى هذا هو حال التقيير الصادق والمتصوف المحقق لا يسأل الناس شيئا ومنهم من يلزم الأدب حتى يؤديه إلى حال يستحي من الله تعالى أن يسأله شيئا من أمر الدنيا حتى إذا همت النفس بالسؤال ترده الهيبة ويرى الاقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما نقل عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه جاءه جبريل وهو في الهواء قبل أن يصل إلى النار فقال هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا فقال له فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وقديضعف عن مثل هذا فيسأل الله عبودية ولا يرى سؤال الخلق فيسوق الله تعالى إليه من القسم من غير سؤال مخلوق * بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخول تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتمتبه النفس له فقد تتطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وخدمته فاذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصلي ركعتين ويقول يا رب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنوب فاستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته فليعجل وصوله إلى فان الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه وإلا فتذهب المطالبة عن بطنه فشأن الفقير أن ينزل حوائجها للحق فلما أن برزقه الشيء أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه فله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه

الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مرصم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مرصم أنى لك هذا قالت هو من عند الله * وحكى عن بعض الفقهاء قال جعلت ذات يوم وكان حالى أن لا أسأل فدخلت بعض المجال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لى على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فتمت جائعا فأتى آت فى منامى فقال لى اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع ثم خرقة زرقاء فيها قطيعات أخرجها فى مصالحك فمن تجرد عن الخلقين وتفرد بالله فقد تفرد بغنى قادر لا يعجزه شيء يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء وأولى من سأل نفسه يسألها الصبر الجميل فان الصادق تجيبه نفسه * وحكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقال له أريد حبة قال فقلت له ما تفعل بالحبة فذكر شهوة يشتريها بالحبة ثم قال عن إذ نك أذهب وأستقرض الحبة قال قلت نعم استقرضها من نفسك فىهى أولى من أقرض وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

إن شئت أن تستقرض المال منفقاً على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الاتقاق من كنز صبرها عليك وارفقاً إلى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر
فاذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل
مولاه ولم يقدر له بشيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع
باب السبب ويسأل فتمدكان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقتهم (نقل) عن أبى سعيد
الخرّاز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن أبى جعفر الحداد وكان
أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب أو بايين ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين ونقل عن ابراهيم بن أدهم أنه كان معتكفاً بجماع
البصرة مدة وكان ينظر فى كل ثلاث ليال ليلة وليلة افطاره يطلب من الأبواب ونقل
عن سفيان الثورى أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل فى الطريق وقال
كنت أذكر لهم حديثا فى الضيافة فيقدم لى الطعام فأتناول حاجتى وأترك ما يبقى
(وقد ورد) من جاع ولم يسأل مات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى
بمثل هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم * وحكى بعض مشايخنا عن

شخص كان مصرا على المعاصي ثم انقبه وتاب وحسنت توبته وصادره حال مع الله تعالى قال غزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيئا وأكتفى بعلم الله بحالي قال فبقيت أياما في الطريق ففتح الله علي الماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله علي بشيء فجعت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت أتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن مني القاء النفس إلي التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطرار أسأل فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني انكار لهذه الحال وقلت عزيزة عقدها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون نقض عزمي فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت رأسي استطرأحا للموت وذهبت القافلة فبينما أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بسيف وحر كني فقامت وفي يده أداة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال كل فأكلت ثم قال لي أتريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد عبرت فقال لي قم وأخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال لي اجلس بالقافلة إليك تجيء فجلسب ساعة فاذا أنا بالقافلة ورأي متوجهة إلى هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق (و ذكر) الشيخ أبوطالب المكي رحمه الله ان بعض الصوفية أول قول رسول الله ﷺ أحل ما أكل المؤمن من كسب يده بأنه المسئلة عند النفاة وأنكر الشيخ أبوطالب هذا التأويل من هذا الصوفي وذكر أن جعفر الخلدي كان يحكي هذا التأويل عن شيخ من شيوخ الصوفية ووقع لي والله أعلم ان الشيخ الصوفي لم يرد بكسب اليد ما أنكر الشيخ أبوطالب منه وإنما أراد بكسب اليد رفعها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أحل ما يأكله إذا أجاز الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير) قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال وقال مجد الباقر رحمه الله قالها وأنه محتاج إلى شق تمره وروى عن مطرف أنه قال أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حملة على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن النصر اباذي أنه قال في قوله (اني لما أنزلت إلي من خير فقير) لم

يسأل الكليم الخلق وانما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غذاء النفس انما أراد
سكون القلب وقال أبو سعيد الخراز الخلق مترددون بين ما لهم وبين ما إليهم من
نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الخيلاء والفخر
ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال
أرني أنظر إليك ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال إني لما أنزلت إلى من
خير فقير * وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم
بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع
أحواله لا افتقار سؤال وطلب وقال الحسين فقير لما خصصتني من علم اليقين أن
ترقيني إلى عين اليقين وحقه ووقع والله أعلم في قوله لما أنزلت إلي من خير فقير
ان الانزال مشعر ببعده رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فما
قنع بالمنزل وأراد قرب المنزل ومن صح فقره فققره في أمر آخرته كفقره في أمر
دنياه ورجوعه إليه في الدارين وإياه يسأل حوائج المنزلين وتتساوى عند الحاجتان فما
له مع غير الله شغل في الدارين

﴿ الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح ﴾

إذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكامل تقواه يحكم الوقت عليه بترك
التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له بابا من التعريف بطريق
المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو
الذنب مطلنا مما هو منهي عنه في الشرع يجذب ذلك في وقته أو يومه كان يقول
بعضهم اني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل ان بعض الصوفية قرض الفأر خفه
فلما رآه تألم وقال

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا
إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا تزال
به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء
المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله

وتتمحى عنده أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقاً وحالا
لا علماً وإيماناً ثم يتداركه الحق تعالى بالمعونة ويوفقه على صريح التوحيد وتجريد
فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلي بعض
الصحاري فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجباً منها متفكراً فيما
تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية فيبينها هو كذلك إذ انشقت الأرض
وخرجت سكرجتان في احدهما مسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من
المسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك
سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا المقام يزيل عن باطنه
الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام
ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع الى الاغيار ناظراً الي فعل الله تعالى منتظراً
لامر الله فتساق اليه الأقسام وينفتح عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته
لفعل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكشفاً له تجليات من الله تعالى
بطريق الأفعال والتجلى بطريق الأفعال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى
بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلى تجلى الذات والاشارة في هذه التجليات إلى رتب
في اليقين ومقامات في التوحيد شئ فوق شئ وشئ أحسن من شئ فالتجلى بطريق
الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهيبة والأنس
والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله
فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوي وهذا الفناء هو
الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهوديكون في
تجلى الذات وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا في
الأخرة وهو المقام الذي حظى به رسول الله ﷺ ليلة المعراج ومنع عنه موسى
بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلى اشارة الى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة
فاذا وصل العبد الى مبادئ أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الالهى مجرداً عن فعل
سواه يكون تناوله الأقسام من القموح * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال من
وجه اليه شئ من هذا الرزق من غير مسألة ولا اشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه

فان كان عنده غنى فليدفعه الي من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على ان العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الي غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم اذا أخذ فمنهم من يخرج الي المحتاج ومنهم من يقف في الاخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنبأنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو قال أنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر مني فقال رسول الله ﷺ خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله ﷺ الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى (سئل) سهل ابن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض (وروى) زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشراف نفس فليقبله فانما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله اليه وهذا العبد الواقف مع الله تعالى في قبول ماساق الحق آمن ما يخشى عليه انما يخشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي اخراجه الي الغير اثبات حقيقة فلا يزال في كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلّة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا اذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع الي تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدمه العلم لتام صحبته مع الله وانسلاخه من ارادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد

الفعل من الله ولكن يرزق شرابا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكدر شرب هذا
 بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الأولين لأنه علة في المحبة
 ووليحة في الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم في الاخراج أيضا
 كما ينتظر في الأخذ لأن النفس تظهر في الاخراج كما تظهر في الأخذ واتم من هذا من
 يكون في اخر اجه مختارا وفي أخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم
 انما كان لموضع اتهام النفس وهو ببقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح
 العلم يأخذ غير محتاج الي علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول
 رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم ^{صلى الله عليه وسلم} ما كيا عن ربه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فيي يسمع ويبي يبصر
 وي ينطق الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا أعز في الأحوال من الكبريت
 الأحمر (وكان) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله يحكي عن الشيخ
 حماد الدباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في
 المنام أن يحمل اليه شيئا وقد كان يعين للرأى في المنام أن يحمل الي حماد كذا
 وكذا وقيل أنه بقي زمانا يرى هو في واقعة أو منامه انك أحلت على فلان بكذا
 وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربي بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء
 ويعنى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حالته فهو
 غنى بالله (قال) الواسطى الافتقار الي الله أعلى درجة المريردين والاستغناء بالله
 أعلى درجة الصديقين (وقال) أبو سعيد الخراز العارف تديره فني في تدبير الحق
 فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر إلى الله وأحسن ما حكي في هذا ان بعضهم رأى
 النورى يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فأتيت الجنيد
 أخبرته فقال لي لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم في
 الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا
 يدها الأخذ لأنه يعطى الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض
 قبضة فألقاها على المائة ثم قال احماها إليه فقلت في نفسي انما يزن ليعرف مقدارها
 فكيف خلط المجهول بالوزون وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت
 بالبصرة إلى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل

منك شيئاً وأخذ مازاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته عن ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً للشواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكي وقال أخذ ماله ورد ما لنا (ومن لطائف) ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من المعلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم أئتنوني به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف بالسميع البطاحي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح الله لي في واقعتي فأخذ الشيخ الكاغد فلم يكن إلا ساعة فإذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحاً فترك كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح السميع أو كلاماً هذا معناه (وسمعت) أن الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخص وقال لفلان عندك طعام وذهب أئتنني من ذلك بكذا ذهباً وكذا طعاماً فقال الرجل كيف أتصرف في وديعة عندي ولو استفتيتك ما افتيتني في التصرف فأزمره الشيخ بذلك فأحسن الظن بالشيخ وجاء إليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب في بعض نواحي العراق أن اجمل إلى الشيخ عبد القادر كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقعه وقال ظننت بالفقراء أن أشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد إذا صحح مع الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل الغنى في قلبه ويفتح عليه أبواب الرفق وكل الهموم الممتسلة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فعلى قدر ما خلعت من الهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ما عذبت بهموم الدنيا وقنعت وارتقت (روى) أن عوف بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقاً وكان يكون عند كل واحد يوماً وآخر كان له ثلاثون صديقاً يكون عند كل واحد يوماً وآخر كان له سبعة أخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان أخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للنظر

الى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنيئة (جاء رجل) إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله اليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فإن الحق يصفى لنا وفعله نرى فكل ما يقسم لنا نراه مباركا ولا نراه شؤما (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازي اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر بن شاذان قال سمعت أبا بكر الکتاني قال كنت أنا وعمرو المكي وعياش بن المهدي نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة على طهر العصر وكنا نعودا بمكة على التجريد مالنا على الأرض ما يساوي فلساً وربما كان يصحبنا الجوع يوماً ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة ولانسأل أحداً فإن ظهر لنا شيء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا نعريض قبلناه وأكلناه وإلا طويينا فإذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا النقصان في الفرائض قصدنا أبا سعيد الخراز فيمخذلنا أو انا من الطعام ولا نقصد غيره ولا ننبسط إلا إليه لما نعرف من تقواه وروعه (وقيل) لأبي يزيد ما نراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبا يزيد (قال السلمي) سمعت أبا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفراً القرميسني يقول الفقير الذي لا يكون له عند الله حاجة * وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف الحاجة على القلب ومحوها من كل أحد سوى الرب (وقال) بعضهم أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا ممن تصل إليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو المترسم بالفقر مع دناءة همته (أنبأنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي قال أنا عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين (روى) أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لأسأل أحده

شيئاً حتى يأتيه رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعاً لم يأتته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يا رب ان أحببتني فأنتي برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس قد دخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس خجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك فسمع هاتهما أردت أن تبطل حكمته بزهدك في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الأدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمود بن اليسري يقول سمعت محمداً الاسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين (قال) بعض المتقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها خفاً في صدرى من أين المعاش فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلى وتهمنى في رزقك على أن أخدك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي فلما صح حال الصوفي وانقطعت اطعمه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا واصلحت له الدنيا خادمة وما رضيها خدومة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جنانية وذنوباً (روى) أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشتري دقيقاً ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى أيوب الحمل فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلي أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلاً ثم قال خذها فألقه بهما فلقه فأخذها فرجع صالح متعجباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت فبسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيسر فردناه إليه بعد الإياس فقبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوهم سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال

وإن قبلوا قبلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم
فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء *
سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد
عشيته فنظر عمر فاذا تحت أبطه مخلاة مملوءة خبزاً فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال
عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم نثر مخلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالدرّة
(وروى) عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثوبات فقر
وعقوبات فقر فمن علامة النقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو
حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه
ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب في السؤال
والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب

الباب الحادى والعشرون في شرح حال المتجرد والمتأهل

من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصوفى يتزوج لله كما يتجرد لله فلتعبر ده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان
والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجوح للصوفى ملجم بإجماع العلم
مهما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا
انصلحت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطواعة
مجيبة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت
النفس محكومة مطواعة فقد فاءت إلى أمر الله وتنصلت عن مشاحة القلب فيصلح
بينهما بالعدل وينظر في أمرها بالقسط ومن صبر من الصوفية على العذوبة هذا الصبر
إلى حين بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخبا ويهيه الله له أعوانا وأسبابا
وينعم برفيق يدخل عليه ورزق يساق إليه ومتى استعجل المريد واستنزاه الطبع
وخامر الجهل بثوران دخان الشهوة المطفئة لشعاع العلم وانحط من أوج العزيمة
الذى هو قضية حاله وموجب ارادته وشريطة صدق طلبه إلى حضيض الرخصة التي
هى رحمة من الله تعالى لعامة خلقه يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا
الاستعجال هو حضيض الرجال قال سهل بن عبد الله التستري إذا كان المرید مال

يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوعه في الابتلاء إلى حال دون ذلك نقصان
وحدث وسمعت بعض الفقراء وقد قيل له لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصالح إلا للرجال
وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أو أن بلوغ عنده يتزوجون
وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد
ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نار توقانه برد وسلام لكمال
تقواه وقهره هو أو إلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال
التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير التائق فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين
على الاخوان معاونتته بالآثار ومساحته في الاستكثار إذا رؤي ضعيف الحال قاصرا
عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله (أخبرنا) أبو زرعة
عن والده أبي الفضل المقدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا
أبو الحسين محمد بن عبد الله بن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال حدثنا محمد بن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا
عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه
في قسمه في يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى
قبل عمار بن ياسر فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم
يحببه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد أكثر لنا من هذا فالتجرد عن الأزواج
والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره
قطع العلائق ومحو العوائق والتتمثل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب
والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من
التروح إلى النقص وتقيد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات
إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة (قال) أبو سليمان
الداراني ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب

الحديث (وقال) ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبتت على مرتبته (أخبرنا) الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل المقرئ قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما تركت بعدني فتنة أضر على الرجال من النساء * وروى رضاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورون بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأنعين الغنى وكفن الفقير مالا يمد * وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء * وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبير عليهن خير من الصبر على النار * وقيل في تفسير قوله تعالى (خلق الانسان ضعيفا) لأنه لا يصبر على النساء وقيل في قوله تعالى (ربنا ولا تحمِلنا مالا طاقة لنا به) الغلظة فإن قدر ان تقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى إلى الأمر السهل قال رسول الله ﷺ خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد وقال بعض الفقهاء لما قيل له تزوج أنا إلى أن أطلق نفسي أحوج مني إلى التزوج وقيل لبشر بن الحرث ان الناس يتكلمون فيك فقال ما يقولون قيل يقولون انه تارك للسنة يعني النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض عن السنة (وكان يقول) لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر والصفوف ممتلي بالنفس ومطالبتها وهو في شغل شاغل عن نفسه فاذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل ارادته وتفتر عزيمة والنفس إذا أطعمت طمعت وإذا أقمعت قمعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فإن للصوم أثرا ظاهرا في قمع النفس وقهرها وقد ورد أن رسول الله ﷺ مر بجماعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء أصل الوجاء رض الخصيتين كانت العرب تمجأ الفحل من الغنم لتذهب فحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين

موجواًين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فإذا أدام الشاب المرید العمل
 وأذاب نفسه في العبادة نقل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يثمر له حلاوة
 المعاملة ومحبة الاكثر منه ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيغار على حاله
 ووقته أن يتكدر بهم الزوجة ومن حسن أدب المرید في عزوبته أن لا يمكن خواطر
 النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة
 فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمرآة النفس بل يعكس على نفسه
 نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه
 بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء
 من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفتات الخواطر إلى ضبط المرأة
 وحراستها والكف التي لا تنحصر * وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال
 كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال أحد الفقيرين وقلة العيال أحد اليسارين
 وكان ابراهيم بن آدم يقول من تعود أخذ النساء لا يفلح ولا شك ان المرأة تدعو
 إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط
 على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد إذا كان
 بعد المائتين أبيحت العزوبة لأمته فان توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه
 سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستع بالله أولا ثم بالمشايخ والاخوان ويشرح
 الحال لهم ويسألهم مسألة الله في حسن الاختيار وبطوف على الأحياء والأموات
 والمساجد والمشاهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الاكثرات فانه باب فتنة
 كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم)
 ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر البكاء بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وإن
 رزق القوة والصبر حتى يستبين له من فضل الله الخيرة في ذلك فهو السكال والتمام فقد
 يكشف الله تعالى للصادق ذلك منعا أو اطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من يثق
 إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يحكم إلا بحق فعند
 ذلك يكون تزوجه مدبرا معانافيه (وسمعنا) أن الشيخ عبد القادر الجيلي قال له بعض
 الصالحين لم تزوجت فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ تزوج فقال له ذلك

الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالخص وطريق القوم التزم بالعزيمة فلا أعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكني أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالخصه وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر إليه واستخاره فيكاشفه الله بتبديده إياه في منامه وأمره هذا لا يكون أمر رخصه بل هو أمر يتبعه أرباب العزيمة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لي ما نقل عنه أنه قال كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا اجترى على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا تزوج النكير بعد الاستقصاء والا كثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وورد من الله تعالى بأذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستنفد جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظاً من الله تعالى ويعان عليه لحسن نيته وصدق متصدده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد نقل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فعوتب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جاس يبيد الله تعالى جلسته أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فلصاقدون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء الراسخين في العلم أحوال في دخولهم في النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللتلوب إقبلاً وإدباراً يقول بعضهم إن للقلوب قبلاً وإدباراً فإذا أدبرت روح بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى الميثاق فتبقي قلوبهم دائمة الاقبال إلا اليسير ولا يدوم اقبالها إلا لطمأنينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك التشبث في التلوب فإذا اطمأنت النفوس واستقرت من طيشها

ونفورها وشراستها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن في أداء الحق اقناعا وفي أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسعون بالنكاح المباح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها مازالت تخالف هواها حتى صار داؤها وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لا تضرها ولا تنقر عليها عزائمها بل كلما وصلت النفوس الزكية إلى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف أحدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ كلما أخذ القلب حظه من الله خلع على النفس خلع الطمأنينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيد الطمأنينة للنفس وينشد

ان السماء إذا اكتست كست الثرى حلالا يدبجها الغمام الراحم
وكما أخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار (سمعت)
بعض الفقهاء يقول النفس تقول للقلب كن معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا للعالم رباني وكمن مدع يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجنيد يقول أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام (وسمع) بعض العلماء بعض الناس يطعن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيرا فقال وأنت أيضاً لو جمعت كما يجمعون أكلت كما يأكلون ثم قال ويتزوجون كثيرا قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون (وكان سفيان بن عيينة) يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء (وقد ذكر في أخبار الأنبياء) ان صابدا تبذل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لني ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشيء من السنة فسمى ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنتفعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاؤ إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم انك تارك الزوج فقال ما تركته لأنني أحرمه وما منعني منه إلا أنني فقير لاشيء لي وأنا عيال على الناس

يطعمني هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أتزوج بامرأة أعزلها أو أرهقها جهداً فقال
 له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمنعك الا هذا قال نعم فقال أنا أزوجك ابنتي فزوجه
 النبي عليه السلام بنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لولم يبق من عمرى الا عشرة أيام
 أحببت أن أتزوج ولا أتقى الله عزباً وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء الامتأهلين
 (وقيل) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها (وقيل)
 ان عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولده (وقيل) ان ركعة من متأهل
 خير من سبعين ركعة من عزب (أخبرنا) الشيخ الطاهر بن أبي الفضل قال أنا
 أبو منصور محمد بن الحسين بن احمد بن الهيثم المقومى القزوينى قال أنا أبو طلحة
 القاسم بن أبي البدر الخطيب قال حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن سلمة القنطان قال
 حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه قال حدثنا احمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال
 حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى فمزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ومن كان
 ذا طول فليتنكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم له وجاء ومما ينبغي للمتأهل أن
 يحذر من الافراط فى المخالطة والمعاشرة مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة
 أوقاته فان الافراط فى ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة (ولمتأهل)
 بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الافراط
 فى الاهتمام بأسباب المعيشة (كان الحسن) يقول والله ما أصبح اليوم رجل يطيع
 امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه فى النار (وفى الخبر) يأتي على الناس زمان يكون
 هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل
 فى المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك (وروى) أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام
 فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت
 فعجبوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فاني سألت الله فقلت
 يارب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان
 تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون فاذا أفرط الفقير فى المداراة ربما تعدى
 حد الاعتدال فى وجوه المعيشة متطلباً رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله وفتنة

خصوص حاله الافراط في المجالسة والمخالطة فتنتطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق
 الغرض بطول الاسترسال فيستولى على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ويستجاس
 مقار المهلة فيقل الوارد لقلة الأوراد ويتكدر الحال لاهمال شروط الأعمال والطف
 من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس
 امتزاجا وبرابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتتطرى طبيعتها الجامدة وتلتهب نارها
 الخامدة فدواء هذه الفتنة أن يكون المتأهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما إلى
 مولاه وعينان ظاهران يستعملهما في طريق هواه وقد قالت رابعة في معنى هذا نظما
 اني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
 فالجسم مني للجلوس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي
 (وألطف من هذا فتنة أخرى) يحشاها المتأهل وهو أن يصير للروح استرواح
 إلى لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك وليجة في حب
 الروح الخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتتبدل الروح وينسد باب المزيد من
 الفتوح وهذه البلادة في الروح يعز الشعور بها فلتحذر ومن هذا القبيل دخلت
 الفتنة على طائفة قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها
 بلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الالهية فما ظنك فمن يدعى ذلك في باب
 غير مشروع بغيره سكون النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس
 والنفس لا تسكن في ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذه إليها على
 أني استبحثت عما يبطل به المفتونون بالمشاهدة فوجدت المحبى من ذلك من
 صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة
 فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا
 المعنى قال الاطباء الجماع يسكن هيجان العشق وان كان من غير المعشوق فليعلم
 ان مستنده الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه فتنة المتأهل وفتنة العزب مرور
 النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه
 بخواطير الشهوة وإذا سنع الخاطر يحويه بحسن الانابة واللباذا بهرب ومتى ساصر
 الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر احساس العضو

بالخاطر فيصير ذلك عملاً خفياً وما أقبح مثل هذا بالصادق المتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقد قيل مروراً بالفاحشة بقاب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم

﴿ الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وإشاراً ﴾

قال الله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) قيل أحسنه أى إهداه وارشده وقال عز وجل (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وأدمع لان الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماء فاذا ألم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالخبز للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذا كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب الحال (روى) ان عمر رضى الله عنه كان ربما رباية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم روى زيد بن أسلم قال قرأ أبى بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتتموا الدماء عند الرقة فانها رحمة من الله تعالى وروت أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها وورد أيضا إذا أقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار

بالاحسان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر يلحقه بالفسق
 ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الافراط والتفريط * قيل
 لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدوسرى السقطى وذوالنون
 يسمعون فقال كيف أنكرا السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان جعفر
 الطيار يسمع وانما المنكر الهوى واللعب في السماع وهذا قول صحيح
 ﴿ أخبرنا ﴾ الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو القاسم
 الحسين بن محمد ابن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف قال حدثنا
 أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمرو بن الحرث قال حدثنا الاوزاعي عن الزهري عن
 عروة عن عائشة رضی الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جارتان تغنيان وتضربان
 بدين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه فاتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وقالت عائشة رضی الله عنها
 رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد
 حتى أكون أنا أسام وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله ما يدل على تجويزه
 ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابى وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب المكي
 يعتبر لو فور علمه وبإل حاله وعلمه باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريمه
 الاصب والاولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة
 شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة
 كان شبهة لدخول الهوى فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل ويشهده
 طرفات الجليل فهو مباح وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي وهو الصحيح فاذا
 لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين
 المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المستهترين به المهملين
 شروطه وآدابه المقيمين على الاصرار ونفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه
 تحريما وتحليلا فأما الدف والشبابة وان كان فيهما في مذهب الشافعى فسحة
 فالاولى تركهما والأخذ بالاحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فان كان
 من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار

وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القبيل قصائد الغزاة والحجاج في وصف الغزو والحج مما يثير كامن العزم من الغازی وساكن الشوق من الحاج وأماما كان فيه ذكر القدود والحدود ووصف النساء فلا يلبق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد ما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال المریدین ودخول الآفات على الطالبین فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات أو تجدد عنده عزم لما هو آت فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدین یقتات بالسماع ويتقوي به على الطي والوصل ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فإذا استمع العبد إلى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه كان يسمع الحادى يقول مثلا

أتوب إليك يا رحمن انى أسأت وقد تضاعفت الذنوب

فأما من هوى ليلى وحي زيارتها فانى لأتوب

فطاب قلبه لما يحجده من قوة عزمه على الثبات فى أمر الحق إلى الممات يكون فى سماعه هذا ذكر الله تعالى * قال بعض أصحابنا كنا نعرف مواجيد أصحابنا فى ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم يأكلون عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم يتحاورون فى مقامات الصديقين وأحوال النيبين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجودهم ويشهدون حقا وسئل روم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون للمعانى التى تعذب عن غيرهم فيشير إليهم إلى فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يمزق ثيابه ومنهم يبكي ومنهم من يصيح * أخبرنا * أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السامى قال سمعت أبا مهمل محمد بن سليمان يقول المستمع بين استتار وتجلى فالاستتار يورث التلهب والتجلى يورث المزيد فالاستتار يتولد منه حركات المریدین وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ أبو عبد الرحمن السامى

سمعت جدى يقول المستمع ينبغي أن يستمع بقلب حى ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتاً ونفسه حيا لا يحل له السماع وقيل فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام لله أشد اذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته نقل عن الجنيد قال رأيت إبليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشيء أوتنال منهم شيئاً فقال انه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئاً إلا فى وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فانى استرق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤياى لبعض المشايخ فقالوا لو رأيتك لو رأيتك قلت له يا أحمق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أترج أنت عليه شيئاً أو تظفر بشيء منه فقلت صدقت (وروت) عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندى جارية تسمعى فدخل رسول الله ﷺ وهى على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثته حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ماسمع رسول الله فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته * وذكر الشيخ أبوطالب المكي قال كان لعطاء جاريثان تلحنان وكان اخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبامروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندى اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب المكي الامستغرب عجيب والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح وفى الحديث فى مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنيابة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز * وقال عليه السلام فى مدح أبي موسى الأشعري لقد أعطى زماراً من زمامر آل داود (وروي) عنه عليه السلام انه قال ان من الشعر لحكمة * (ودخل) رجل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرؤون القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة * (وأشدد) النابغة عند رسول الله ﷺ أبياته التى فيها

ولاخير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكذرا

ولاخير في امرء إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرنا

فقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك
 فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يضع لسان منبرا في المسجد فيقوم على المنبر فأعما يهجو الذين كانوا يهجون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس مع حسان مادام
 ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورأى﴾ بعض الصالحين أبا العباس الخضر
 قال فقلت له ماتقول في السماع الذي يختلف فيه أصحابنا فقال هو العصفاء الزلال
 لا يثبت عليه الا أقدام العلماء ﴿ونقل﴾ عن ممشاد الدينورى قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال
 ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن
 فقلت يا رسول الله انهم يؤذونى وينبسطون فقال احتملهم يا أبا على هم أصحابك
 فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما وجه الانكار فيه فهو
 ان يري جماعة من المريدين دخلوا في مبادئ الارادة ونفوسهم ماتمرت على صدق
 المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال القلب حتى تنضب
 حر كآتهم بقانون العلم ويعلمون ما لهم وعليهم مشتغلين به ﴿حكى﴾ ان ذا النون
 لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنه ان يقول شيئا فاذن له فانشد
 القوال صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت من قلبى هوى قد كان مشتركا

أما ترى مكتئب إذا ضحك الخلى بكى فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته
 والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الأرض ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذوالنون
 فقال اتق الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه
 غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجدا فيقوم أحدهم من غير تدبر وعلم في قيامه
 وذلك إذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمعه إلي طبع موزون فيتحرك
 بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل حجاب نفسه

المنبسط باقبساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم
 برقص موزونا ممزوجا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ويحسب ذلك طيبة للقلب
 ومارأى وجه القلب وطيبته بالله تعالى ولعمري هو طيبة القلب ولكن قلب ملون
 بلون النفس ميال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية في الحركات
 ولا يعرف شروط صحة الارادات ولمثل هذا الرقص قيل الرقص نقص لأنه رقص
 مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما إذا انضاف إلى ذلك شوب حركاته
 بصريح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين من غير نية بل دلالة نشاط
 النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمدها من
 المتصوفة الا من ليس له من التصوف إلا مجرد زى وصوره أو يكون القوال امرد
 تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ ذلك وتضمخ خواطر السوء أو يكون للنساء
 أشراف على الجمع وتتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص
 واظهار التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه فاهل المواخير حينئذ
 أرجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويريه
 عبادة لمن لا يعلم ذلك أفترى أحدا من أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا
 الوجه توجه للمنكر الانكار وكان حقيقاً بالاعتذار فكم من حركات موجبة للعقت
 وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون انكار المنكر على المرید الطالب بمنعه
 عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا انكار صحيح
 وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع ووزن من غير اظهار وجد وحال ووجه نيته
 في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع
 بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة في حكم
 الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من
 قبيل المسباحات التي تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الأهل والولد
 ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية إذ انوى به
 استجمام النفس كما نقل عن أبي الدرداء انه قال انه لاستجهم نفسه بشيء من الباطل
 (٩ - عوارف المعارف)

ليكون ذلك عوناً على الحق ولموضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات ليستريح
عمال الله وترتفق النفوس ببعض ما ربهما من ترك العمل وتستطيب أوطان المهمل
والآدمي بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته وقدمسبق
شرحه في غير هذا الباب لا تفي قواه بالصبر على الحق الصبر فيكون التفسح
في أمثال ما ذكرناه من المباح الذي ينزع إلى هوما باطلا يستعان به على الحق فان
المباح وان لم يكن باطلا في حقيقة الشرع لأن حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل
جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله
يقول في وصفه للصادق يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقته وديناه
مزيدا لآخرته ولهذا المعنى حبيب إلى رسول الله صلوات الله وسلامته عليه النساء ليكون ذلك حظ
نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها
وقدمتها فيكون ما هو نصيب الباطل الصبر في حق الغير من المباحات المقبولة
برخصة الشرع المرذودة بعزيمة الحال في حقه صلوات الله وسلامته عليه متسما بسمعة العبادات وقدورد
في فضيلة النكاح ما يدل على انه عبادة ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح
الدينية والدنيوية على ما أطنب في شرحه الفقهاء في مسألة التخلي لنوافل العبادات
فاذا يخرج هذا الراقص بهذه النية المتبريء من دعوى الحال في ذلك من زمن
انكار المنكر فيكون رقصه لاعليه ولاله وربما كان بحسن النية في الترويح يصير
عبادة سيما ان اضمر في نفسه فرحاً به ونظر إلى شمول رحمته وعطفه ولكن لا يليق
الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لمافيه من مشابهة الله والهوى لا يليق بمنصبهم
ويبين حال المتمكن مثل ذلك وأما وجه منع الانكار في السماع فهو أن المنكر للسمع
على الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من أحد أمور ثلاثة اما جاهل بالسنن والآثار
واما معتز بما أتيسر له من أعمال الاخير واما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الانكار
وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل اما الجاهل بالسنن والآثار
فيعرف بما أسلفناه من حديث عائشة رضي الله عنها وبالاخبار والآثار الواردة
في ذلك وفي حركة بعض المتحركين تعرف رخصة رسول الله صلوات الله وسلامته عليه للحبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله عنها إليهم مع رسول الله صلوات الله وسلامته عليه هذا إذا سلمت الحركة من

المكارة التي ذكرناها وقد روى أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر أشبهت خلقتي وخلقتي فحجل وقال يزيد أنت أخونا ومولانا فحجل وكان حجل جعفر في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي وجعفر وزيد وأما المنكر المعروف بما أتسخ له من أعمال الأخبار فيقال تقربك إلى الله بالعبادة لشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فاعمال الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى والنية لنظرك إلى ربك خوفاً أو رجاء فالسامع من الشعر بيتاً يأخذ منه معنى يذكره ربه إما فرحاً أو حزناً أو انكساراً أو افتقاراً كيف يقلب قلبه في أنواع ذلك ذا كرا لربه ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة الطائر وتسخيره حلقه ومنشأ الصوت وتأديته إلى الإسماع كان في جميع ذلك الفكر مسبباً مقدساً فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلاءً بطنه ذكرًا وفكرًا كيف ينكر ذلك (حكى بعض الصالحين) قال كنت معتكفاً في جامع جدّه على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه شيئاً فأنكرت ذلك بقلي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله ﷺ يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق بلي إذا كان ذلك الصوت من أمرد يخشى بالنظر إليه الفتنة أو من امرأة غير محرم وإن وجد من الأذكار والأفكار ما ذكرنا يحرم سماعه لحوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالتقية للشباب الصائم حيث جعلت حريم حرام الوقاع وكالخلوة بالأجنبية وغير ذلك فعلى هذا قد تقتضى المصلحة المنع من السماع إذا علم حال السامع وما يؤديه إليه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا وقد ينكر السماع جامد الطبع عديم

الذوق فيقال له العين لا يعلم لذة الوقاع والمسكوف ليس له بالجمال البارع استمتاع
 وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فماذا ينكر من محب تربى باطنه بالشوق والمحبة
 ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق قفص النفس الأمانة يمر بروحه نسيم أنس
 الأوطان وتلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار الغربية
 يتجرع كأس الهجران يئن تحت اعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة
 وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له
 المسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح بالألمح من شدة البرهء
 ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان

أيا جبلى نعمان بالله خليفا نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها
 فان الصبا ريح إذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها
 أجد بردها أو تشف منى حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
 ألا ان ادواي بليلى قديمة واقتل داء العاشقين قديمها

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الأمر وهل يعرف غير هذا وهل هناك
 الا الخوف من الله وينكر المحبة الخاصة التي تختص بالعلماء الراسخين والابدال
 المقربين ولما تقرر في فهمه القاصر ان المحبة تستدعى مثالا وخيالاً وأجناساً
 وأشكالاً أنكر محبة القوم ولم يعلم ان القوم بلغوا في رتب الايمان إلى اتم من
 المحسوس وجادوا من فرط الكشف والعيان بالأرواح والنفوس * روى أبوهريرة
 رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل
 على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال
 من خلق الجبال قالت الله قال من خلق الغيم قالت الله فقال اني أسمع لله شأنا
 ورحي بنفسه من الجبل فتقطع فالجمال الأزلئ الالهى منكشف للأرواح غير
 مكيف للعقل ولا مفسر للفهم لأن العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدى من الله
 سبحانه الا الى مجرد الوجود ولا يتطرق الى حريم الشهود المتجلى في طي الغيب
 المنكشف للأرواح بلا ريب وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم
 منها من رتبة المحبة الخاصة دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال

والاستقلال بالمنح والنوال والصفات المنقسمة الى مظاهر منها في الآباد ولازم
الذات الازال فلاسكال جمال لا يدرك بالحواس ولا يستتبط بالقياس وفي مطالعة
ذلك الجمال أخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلى الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع والأولون منحوا قسطا من تجلى الذات فكان وجدهم على
قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود (وحكى) بعض المشايخ قال رأينا جماعة
ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع ويمجدون به ويتوهون عنده (وقال)
بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمره ويحىء
حتى رجع الى مكانه (ونقل) ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا
يحس بها (ونقل) ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها
في عينه . قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نوراً يخرج من عينه يرد
نار الشمعة (وحكى) عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع الأرض في
الهواء أذرا يمر ويحىء فيه (وقال) الشيخ أبو طالب المنكي رحمه الله في كتابه
ان أنكرنا السماع جملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارا على سبعين صديقا
وان كنا نعلم ان الانكار أقرب الى قلوب القراء والمتعبدين الا انا لانفعل ذلك
لأننا نعلم مالا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين مالا يسمعون
وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتجره الصواب
ولكن نبسط لأهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر
وبين سماع ينكر (وسمع) الشبلي قائلا يقول

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل
فزعم الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه مخبر (وقيل) الوجد سر صفات
الباطن كما ان الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات
الباطن الأحوال والأخلاق وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات
فقوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون
فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم
وه مطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين

قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيفة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس الى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين تكلف في المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب اليه وقول القائل ان هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تراحم سنة مأمورا بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن فكان في عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة اذا اعتمد ذلك لتطبيب القلوب والمداراة لا بأس به لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا بأس بها لأنها لم تراحم سنة مأمورة

الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وانكارا *

قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا ترن اليه النفوس طلباً للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات ويقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلباً لتناول الشهوة واسترواحا لأولي الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق وكان يقال لا يصح السماع الا لعارفين مكين ولا يباح لمريد مبتدي * وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تستمع فقال مع من قيل له تسمع لنفسك فقال ممن لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل فلما فقد الاخوان ترك فما

اختاروا السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة ويرغبون في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم وتحسن به أحوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقا في بعض الأحيان لا أن يجعلوه دأبا وديدنا حتى يتركوا لأجله الأوراد (وقد نقل) عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته (واتفق) أصحاب الشافعي أن المرأة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب * ونقل عن الشافعي رضي الله عنه انه كان يكره الطقطقة بالتضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأى وجه كان وعند مالك رضي الله عنه اذا اشترى جارية فوجدتها مغنية فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه الا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير اعلانه في المساجد والبقاع الشريفة * (وقيل) * في تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه هو الغناء والاستماع اليه * (وقيل) * في قوله تعالى (وأتم سامدون) أي مغنون رواه عكرمة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو الغناء بلغة حمير يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال مجاهد الغناء والمزامير (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى (وروى) عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة * وقد روى عن عثمان رضي الله عنه انه قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انه قال الغناء يثبت النفاق في القلب * وروى أن ابن عمر رضي الله عنه مر عليه قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لاسمع الله لكم ألا لاسمع الله لكم * وروى أن انسانا سأل القاسم بن محمد عن

الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل الغناء * وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا * وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب * وقال بعضهم إياك والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الحنجر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الموزون يفتيق بالغناء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل (وروي) عن الحسن انه قال ليس الدف من سنة المسامين والذي نقل عن رسول الله ﷺ انه سمع الشعر لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنة حسن وقبيحة قبيح وانما يصير غناء بالألحان وان أنصف المنصف وتمكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدفه والمشبه بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله ﷺ وهل استحضروا اقوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوا فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين واستروح الى استحسان بعض المتأخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس في هذا وكما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين وكان السلف أقرب إلي عهد رسول الله ﷺ وهديهم أشبه بهدي رسول الله ﷺ وكثيرا من الفقراء يستمع عند قراءة القرآن بأشياء من غير غلبة * قال عبدالله بن عروة بن الزبير قلت لجدي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعود بالله من الشيطان الرجيم (وروي) ان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مر برجل من أهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضى الله عنهما انا لنخشى

الله وما نسقط ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم انكارا على الاطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم في حق الأكثرين وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لتقصور علم وخمارة جهل مزوج يهوى يلم بأحدكم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي أن يقف عليه وهذا يبين الصدق (نقل) ان موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقبل لموسى عليه السلام قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ويشرح قلبه * وأما إذا انضاف إلى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانات انكار ذلك قال بقية ابن الوليد كانوا يكرهون النظر إلى الغلام الأمرد الجميل وقال عطاء كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها وقال بعض التابعين ما أنا أخوف على الشاب التائب من السبع الضاري خوفي عليه من الغلام الأمرد يقعد اليه وقال بعض التابعين أيضا اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصاحفون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطو د بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جواز بشرطه وتنزيهه عن المسكاره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه

﴿ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء ﴾

اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يتقصد لم يجد وإنما كان التقصد لمزاحة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياها فلو تمحض عبدا بتمحض حرا ومن تمحض

حرا أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء
 من العطايا (قال) الحصري رحمه الله ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج بزعمه فالوجد
 بالسمع في حق المحق كالوجود بالسمع في حق المبطل من حيث النظر إلى انزاجه
 وتأثير الباطن به وظهور أثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال إلى حال وإنما يختلف
 الحال بين المحقق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحقق يجد لوجود
 ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيئا وإنما يحرك ما في القلب فمن
 متعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه بحجة الله يجد
 بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب
 القلب وحجاب النفس حجاب ارضي ظلماني وحجاب القلب حجاب سماوي
 نوراني ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر بأذيال الوجود فلا يسمع
 ولا يجد ومن هذه المطالعة قال بعضهم الوجد ناردم كلي لا ينفذ في قول *
 ومر عمشاد الدينوري رحمه الله يقوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا فقال ارجعوا
 إلى ما كنتم فيه فوالله لو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفى بعض
 ما بي فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة في حق المبطل وبالقلب تارة في حق
 المحق فنثار الوجد الروح الروحاني في حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم
 المعاني يظهر وتارة من مجرد النعمات والالخان فما كان من قبيل المعاني تشارك
 النفس الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب في حق المحق وما كان من
 قبيل مجرد النعمات تتجرد الروح للسمع ولكن في حق المبطل تسترق النفس السمع
 وفي حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النعمات ان العالم الروحاني
 يجمع الحسن والجمال ووجود التناسب في الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود
 التناسب في الهياكل والصور ميراث الروحانية فتى سمع الروح النعمات اللذيذة
 والالخان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع بمصالح عالم الحكمة
 ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وأجلا * ووجه اخر * إنما يستلذ
 الروح النعمات لان النعمات بها نطق النفس مع الروح بالابماء الخفي اشارة ورمزين
 المتعاشقين وبين النفوس والارواح تماشق أصلى ينزع ذلك إلى أنوثة النفس

وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها وفي قوله سبحانه منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنفقات يستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاشقين وكما ان في عالم الحكمة كونت حواء من آدم في عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحاني فهذا التآلف من هذا الأصل وذلك ان النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بان امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحاني في عالم القدرة كتكون حواء من آدم في عالم الحكمة فهذا التآلف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة من ههنا ظهر وبهنا الطريق استطابت الروح النفقات لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكاملة بينهما وقد قال القائل

تكلم منا في الوجود عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعالولة بالهوى وتحركت بما فيها
الحدوث العارض ووجد القلب المعلول بالارادة وتحرك بما فيه لوجود العارض
في الروح

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة وللأرض من كأس الكرام نصيب
فنفس المبطل أرض لسما قلبه وقلب المحق أرض لسما روحه فالبالغ مبلغ
الرجال والمتجوهر المتجرد من أعراض الأحوال خلع نعلي النفس والقلب بالوادي
المقدس وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس واحرق بنود العيان
اجرام الالحان ولم تصغ روحه إلى مناغاة ماشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه فلهائم
المشتاق لا يسعه كشف ظلامه العشاق ومن هذا حاله لا يحرکه السماع رأسا وإذا
كانت الالحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف
يلحقه السماع بطريق فهم المعاني وهو اكشف ومن يضعف عن حمل لطيف
الاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات واقرب من هذا عبارة تقرب إلى
الافهام الوجد وارد يرد من الحق سبحانه وتعالى ومن يريد الله لا يقنع بما
من عند الله ومن صار في محل القرب متحققا به لا يليه ولا يحرکه ماورد من عند الله

قالوا رد من عند الله مشعر ببعده والقريب واجد فيما يصنع بالوارد والوجد نار والقلب
للواجد ربه نور والنور اللفظ من النار والكثيف غير مسيطر على اللطيف فهادام
الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجه معهوده بنوازع
وجوده لا يدركه الوجد بالسمع فان دخل عليه فتور أو عاقه قصور بدخول الابتلاء
عليه من المبلى المحسن يتألف المحن من تقاريق صور الابتلاء أي يدخل عليه وجود
يدركه الوجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب القلب فمن هو مع الحق إذا زل
وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس ﴿ سمعت ﴾ بعض
مشايخنا يحكي عن بعضهم انه ووجد من السماع فقيل له اين حالك من هذا فقال دخل
على داخل أوردني هذا المورد ﴿ قال ﴾ بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين
مارأته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر صمره قرىء
عنده فالיום لا يؤخذ منكم فدية فارتعد وكاد يسقط فسألته عن ذلك قال نعم لحقني
ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه
قال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة ان الكامل لا يرد
عليه واردا لا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد * ومن هذا القبيل قول
أبي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قسمت القلوب لما رأى الباكي يبكي عند قراءة
القرآن وقوله قسمت أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته
حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة
إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا في السماع كقبل السماع (وقد قال) الجنيد
لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد (وبلغنا) عن
الشيخ حماد رحمه الله انه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض
من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز النهم عزيز الوجد
(واعلم) ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم من
يبكي شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القائل : طفح السرور على حتى اني * من عظم
ما قدسني أبكاني * قال الشيخ أبو بكر الكاتاني رحمه الله سماع العوام على متابعة الطبع
وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء وسماع العارفين

على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام (وقال أيضاً) الموارد ترد فتصادف شكلاً أو موافقا فأى وارد صادف شكلاً مازجه وأى وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد أهل السماع وما ذكرناه حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بمد طول غربته فعند رؤية الأهل يبكي من قوة الفرح وكثيرته وفي البكاء رتبة أخرى اعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار ويخفي بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولاً أو فهمها نظراً كثيراً ومثولاً وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا الملمات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه لوجود تغير وتباين بين المحدث والتقديم فيكون البكاء رشحا هو من وصف المحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الغمام يتلاقى مختلف الاجرام وهذا وان غز مشعر ببقية تقدح في صرف الفناء نعم قديتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار منغمسا في الأنوار ثم يرتقى منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشاكل صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمانت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تتمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أوزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ببعض ما ربه ومن هذا القبيل ما نقل ان أبا محمد الراشى كان يشغل أصحابه بالسماع وينعزل عنهم ناحية يصلى فقد تطرق هذه النغمات مثل هذا المعصلي فتتدلى إليها النفس متنعمة بذلك فيزداد مورد الروح من الانس صفاء عند ذلك لعبد النفس عن الروح في تمتعها فانها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها

وجبلتها وفي بعدها توفر قسام الروح من الفتوح ويصكون طروق الالخان سمعه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة المناجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى محالها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله ﷺ قال لأبي اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالي فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا فاذا عيناه تهملان (وروى) أن رسول الله ﷺ استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفثيه عليه طويلا يبكي وقال يا عمر ههنا تسكب العبرات والمتمكن تعود إليه أقسام البكاء وفي ذلك فضيلة سألها النبي ﷺ فقال اللهم ارزقني عينين هطالتين ويكون البكاء في الله فيكون لله ويكون بالله وهو الأتم لعوده إليه بوجود مسأف موهوب له من الكريم المنان في مقام البقاء

﴿ الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأديبا واعتناء ﴾

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ في ذلك وما في ذلك من المأثور والمحذور * مبنى التصوف على الصدق في سائر الأحوال وهو حد كله لا ينبغي لصديق أن يتعمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالي ويتوقع به مزيدا في ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشيء من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالي إذا عزم البركة فيه وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الاطراف * قال أبو بكر الكتاني رحمه الله المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجدا أو شوقا أو غلبة أو واردا والوارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون فيتقى الصادق استدماه الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ (حكى) أن شابا كان يصحب الجنيد رحمه الله وكما سمع شيئا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شيء بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل ثمرة منه تقطر قطرة عرق فلما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق

اظهروا الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق
 (قيل) كان النصر اباذى رحمه الله كثير الولوج بالسمع فعوتب في ذلك فقال نعم هو
 خير من ان تقعد ولتغتاب فقال له أبو عمرو بن مجيد وغيره من اخوانه هيهات
 يا أبا القاسم زلة في السماع شر من كذا كذا سنة لتغتاب الناس وذلك ان زلة السماع
 اشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها
 انه يكذب على الله تعالى انه وهب له شيئا وما وهب له والكذب على الله من أقبح
 الزلات ومنها ان يغتر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والغرور خيانة قال عليه
 السلام من غشنا فليس منا ومنها انه إذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح فسوف
 يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن
 به الخير من أمثاله فيكون سبباً إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر
 على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من
 هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومنها انه يحوج الحاضرين إلى موافقته
 في قيامه وقعوده فيكون متكافئاً مكافئاً للناس بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور
 الفراسة انه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مدارياً ويكثر شرح الذنوب
 في ذلك فليستق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته حركة المرتعش الذي لا يجد
 سبيلاً إلى الامساك وكالعاطس الذي لا يقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة
 النفس الذي يدعوه إليه داعية الطبع قهراً (قال السرى) شرط الواجد في زعقته
 ان يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا البعض
 الواجدين نادراً وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج
 كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رماية الحركات ورد
 الزعقات وهو في تمزيق الثياب أكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانتاق الحال
 وهكذا رمى الحرقه إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها
 التكلف والمرآة وإذا حسنت النية فلا بأس بالقاء الحرقه إلى الحادي فتدروى
 عن كعب بن زهير انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده
 أبياته التي أولها

* بانتهى سعاد فقلبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت فقل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت
عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه إليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفا
وأخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها
على أيامه الزاهرة * ولله تصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأدب في
الصحبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل
شيء استحسنوه وتواطؤوا عليه ولا ينكره السرعة لواجهه للانكار فيه فمن ذلك
أن أحدهم إذا تحرك في السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورمى عمامته إلى
الحادى فاستحسن عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من
مقدم وشيخ وان كان ذلك من الشبان في حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ
موافقة الشبان في ذلك وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة
للشبان فاذا سكتوا عن السماع يرد الواجد إلى خرقتة ويوافقه الحاضرون برفع
العمائم ثم زدها على الرؤوس في الحال للموافقة والخرقة إذا رميت إلى الحادى هي
للحادى إذا قصد اعطاءه اياها وان لم يقصد اعطاءها للحادى فليل هي للحادى
لأن الحرك هو ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة وقال بعضهم هي للجمع والحادى
واحد منهم لأن الحرك قول الحادى مع بركة الجمع في احداث الوجد واحداث
الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم في ذلك * روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله
كذا ومن أسر فله كذا فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما
فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم

وردأ فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فانزل الله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فقسم النبي ﷺ بينهم بالسوية وقيل إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم وقيل إذا كان القوال أحيرا فليس له منها شيء وإن كان متبرما يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الايثار بما خرج منه لنية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الخرقه المجروحة التي مزقتها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد امساكه فنيتهم في تفرقتها وتمزيقها التبرك بالخرقة لان الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقه أثر من آثار الوجد فصارت الخرقه متأثرة بأثر رباني من حقها أن تقدى بالنفوس وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا توضع أرواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار كان رسول الله ﷺ يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثه العهد تخم المجروحة أن تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ إن خصص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك وإن خرقه خرقا فله ذلك ولا يقل هذا تفریط وسرف فان الخرقه الصغيرة ينتفع بها في موضعها عند الحاجات كالكبيرة (وروى) عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أهدى لرسول الله ﷺ حلة حرير فأرسل بها إلى فخرت فيها فقال لى ما كنت لأكره لنفسى شيء أراضاء لك فشقها بين النساء خمرا وفي رواية أتيتته فقلت ما أصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتمزيق

الثوب وجعله خرقة (حكى) أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت الخرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أنا محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري فقسمت الخرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة للمال فسمع أبو القاسم القشيري ولم يقل شيء حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر في الجمع من معه سجادة خرقت اثنتيها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من أهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشتري في المزد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تساوي قال نصف دينار ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة المال والخرقة الممزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو من غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة (روى) طارق بن شهاب أن أهل البصرة غزوا نهاوند وأمدهم أهل الكوفة وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا وأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئا فقال رجل من بني تميم لعمار أيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنائمنا فكتب إلي عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه ان الغنيمة لمن شهد الواقعة وذهب بعضهم إلي أن المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه في الخرقه الصحيحة فأما المجروحة فحكها أسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم له (روى) أبو موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال لما قدمنا على رسول الله ﷺ بعد خيبر بثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى المداراة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى بسرجس قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدى السمرقندى اجازة قال حدثنا

الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال حدثنا سعيد بن عامر عن
شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل
عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل
الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله ﷺ فقال هل فيكم من
ينشدنا فقال بدوى نعم يا رسول الله فقال هات فانشأ الاعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقى

الا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه
فلما فرغوا أوى كل واحد منهم إلى مكانه قال معاوية ابن أبي سفيان ما أحسن
لعبكم يا رسول الله فقال مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب
ثم قسم رداؤه رسول الله ﷺ على من حاضرهم بأربعمائة قطعة فهذا الحديث
أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث وما وجدنا
شيء نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم
الخرق وقسمتها أن لو صح والله أعلم ونخالج سرى أنه غير صحيح ولم أجد فيه
ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا
الحديث ويأبى القلب قبوله والله أعلم بذلك

﴿ الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية ﴾

التي يتعاهدها الصوفية ﴿

ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئا مخصوصا لا يطلبونه في غيرها ولكن لما
طرقهم مخالقات حكم الأوقات أحبوا تقسيم الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم
الأربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين على أن الأربعين
خصت بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر في قصة
موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل قال الله تعالى (وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم بآتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب فتالت له الملائكة كنانهم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير في الباب حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعداً لمكاملة الله تعالى والعلوم الدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكاملة ومن انقطع إلى الله أربعين يوماً مخلصاً متعاهداً نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم الدنية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن تعين الأربعين من المدة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك إلا الأنبياء وإذا عرفهم الحق ذلك أو من ينحصره الله تعالى بتعريف ذلك من غير الأنبياء ويلوح في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً فكان آدم لما كان مستصلحاً لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيباً يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فن التراب كونه وأربعين صباحاً خمر طينته ليبعد بالتخمير أربعين صباحاً بأربعين حجاباً من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الإلهية ومواطن القرب إذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ما عمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبطل لطاعة الله تعالى والاقبال

عليه والانتزاع عن التوجه الى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فاذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان انقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الالهية بها فانقلبت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت اجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ما ظهرت العلوم الالهية لأن حديث النفس وناء وجودي لقبول الأنوار وما للقلب في ذاته لقبول العلم شيء وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أشار إلى القلب باعتبار أن للقلب وجهها إلى النفس باعتبار توجهه إلى عالم الشهادة وله وجه إلى الروح باعتبار توجهه إلى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المكونة في النفس ويخرجها إلى اللسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لأنها متصلة فيه فللقب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رتب الالهام فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد في الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق انترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجابيه وآية صحة هذا العبد وعلامة تأثره بالأربعين ووفائه بشروط الاخلاص أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين انه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ماعبد الله لأن الله تعالى أمرنا بالاخلاص كما أمرنا بالعمل فقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (أخبرنا) الشيخ طاهر بن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا أبو منصور الضبي قال حدثنا محمد بن أشرس قال حدثنا حفص بن

عبد الله قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال
رضي الله عنه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال إذا كان يوم القيامة يجيء الاخلاص والشرك
يخمنون بين يدي الرب عز وجل فيقول الرب للاخلاص انطلق أنت وأهلك إلي
الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك إلى النار وبهذا الاسناد قال السلمي
سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت ابراهيم الشقيقي وسألته
عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الخفاف وسألته عن الاخلاص ما هو
قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطي
عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت
أحمد بن علي الهجيمي عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن
الاخلاص ما هو قال سألت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن
الاخلاص ما هو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال
سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص
ما هو قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادي فن الناس من
يدخل الخلوّة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوّة ميالة الى مخالطة
الخلق فاذا أزعجها عن مقار عادتها وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرادة
تدخل عليها حلوة في القلب (قال) ذوالنون رحمه الله لم أر شيئاً أبعث على الاخلاص
من الخلوّة ومن أحب الخلوّة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من
أركان الصديق وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك
عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت (قال) يحيى بن معاذ رحمه الله الوحدة منية
الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوّة وتنجذب النفس إلى ذلك
وهذا آتموا كمل وأدل على كمال الاستعداد * وقد روي من حال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ
اسماعيل بن احمد المقرئ قال أنا جعفر بن الحكك المكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني
قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني
الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت أول ما بدى به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من

الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيمتحن فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الي خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقاريء فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) حتى بلغ (ألم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالي وأخبرها الخبر فقال قد خشيت على عقلي فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امراً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة ياعم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة يا ابن أخي ماذا تري فأخبره الخبر رسول الله ﷺ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى ياليتني جذبا ليتني فيها أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال ورقة نعم أنه لم يأت أحد قط بما جئت به إلا عودي وأوذى وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا * وحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأبي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجلست منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى (والرجز فاهجر) وقد نقل ان رسول الله ﷺ ذنب مرارا كي يردى نفسه من شواهد الجبال فكلمها وافي ذروة جبل لكي يلتقي نفسه منه تبسدي له جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وإذا طالت عليه

فترة الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدي له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله ﷺ هي الأصل في ايشار المشايخ الخلووة للمريدين والطلبين فانهم إذا أخلصوا لله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم تعويضا من الله إياهم عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وانما الأربعون واستكمالها له أثر ظاهر في ظهور مبادئ بشائر الحق سبحانه وتعالى وسنوح مواهبه السنوية

﴿ الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية ﴾

وقد غلط في طريق الخلووة والأربعينية قوم وحرفوا الكلام عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا من الغرور ودخلوا الخلووة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلووة بالاخلاص وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب فدخلوا الخلووة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلووة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس واخلاص العمل لله تعالى (نقل) عن أبي عمرو الانطاطي انه قال لمن يصفو للعاقل فهم الاخير إلا بأحكامه ما يجب عليه من اصلاح الحال الاول والمواطن التي ينبغي أن يعرف منها أمزداد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلووة لكي لا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريد (أنبأنا) طاهر بن أبي الفضل أجازة عن أبي بكر بن خلف أجازة قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا تميم المغربي يقول من اختار الخلووة على الصحبة فينبغي أن يكون خاليا من جميع الافكار إلا ذكر ربه عز وجل وخاليا من جميع المرادات إلا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنه أو بليية (أخبرنا) أبو زرعة أجازة قال أنا أبو بكر أجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلي زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلووة والتلة ووجدت شرها في الكثرة والاختلاط فمن دخل الخلووة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والحال فظن أنه

على حسن الحال فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا
 على ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة ومنعوا الشواغل
 من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تأثير
 في صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة
 لرسول الله صلوات الله وسلامته عليه أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة
 لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة
 الشرع ومتابعة رسول الله صلوات الله وسلامته عليه ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب
 علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من
 ذلك بعد عن الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم
 الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق المخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه الركون
 التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من
 النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم ان الحق يريد منك
 الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات
 وصدق الفراسة ويتبين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدر
 في حالهم عدم ذلك وإنما يقدر في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح
 من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد ايقانهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة
 والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت
 سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدراءه
 بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام
 والحلال والحرام ويظن أن المقصود من البعادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة
 الرسول صلوات الله وسلامته عليه ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وترندق نعوذ بالله من الضلال وقد
 يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة
 ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد في
 الخلوة أربعين يوما أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب
 عن قلبه ويصير كما قال قائلهم رأى قلبي ربي وقد يصل إلى هذا المقام تارة باحياء

الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده ومبادئه من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقوله وتكون عبادته الصلوات الخمس بشئها الراتبه فحسب وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولا يزال يردد ذلك الذكر ملتزما به حتى في طريق الضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه واختار جماعة من المشايخ من الذكر كلمة لا إله إلا الله وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهمم إذا داوم عليها صادق مخلص وهي من مواهب الحق لهذه الأمة وفيها خاصية لهذه الأمة فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين املاء قال أنا أبو القاسم الدمشقي الحافظ قال أنا عبد الكريم بن الحسين قال أنا عبد الوهاب الدمشقي قال أنا محمد بن خريم قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفيا أنقياء حلماء أصفياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم تذلل السنن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للمؤمنين وكنزا للأئمة أنت عبيدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غايظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وإن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتحوا أعيننا عميا وآذاننا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استوتت الكلمة ومهات على اللسان يتشربها القلب فلوسكت اللسان لم يسكت القلب ثم توجوه في آداب وتجوهرها

يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرًا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعانيمة أعني ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الأقصى من الخلوّة وقد يحصل هذا من الخلوّة لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد في مواطاة القلب مع اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه أيضًا ذكر الذات ويحتمع نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى ودون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الإلهامية اللدنية وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا باطنه قد يغيب في الذكر من حال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم وقد تتجلى له الحقائق في لبسه الخيال أولاً كما تنكشف الحقائق للنائم في لبسه الخيال كمن رأى في المنام أنه قتل حية فيقول له المعبر تظفر بالعدو فظفره بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به وهذا الظفر روح مجرد صاغ ملك الرؤيا له جسدا لهذا الروح من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذي هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الزاني في المنام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التي هي روح الظفر من غير هذا المثال الذي هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يري الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوّة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا يبني على ذلك ولا يلتفت إليه فليس ذلك واقعة وإنما هو خيال فأما إذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك

قد ينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من
 غيبته فلما يأتيه تفسيره من بطنه موهبة من الله تعالى وإمامفسره له شيخه كما يعبر
 المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لأنه كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة
 الاخلاص في الذكر أولاً ثم الاستغراق في الذكر ثانياً وعلامة ذلك الزهد في الدنيا
 وملازمة التقوى لان الله جعله بما يكشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة
 تحكم بالزهد والتقوى وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك
 كشفاً واخباراً من الله تعالى اياه ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسمع وقد يسمع
 من بطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لامن بطنه كالهوائف يعلم ذلك أصراً يريد الله
 احداً له أولغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيداً ليقينه أو يرى في المنام حقيقة
 الشيء ﴿نقل﴾ عن بعضهم انه أتى بشراب في قدح فوضعه من يده وقال قد حدث
 في العالم حدث ولا أشرب هذا دون ان أعلم ماهو فانكشف له ان قوما دخلوا مكة
 وقتلوا فيها ﴿وحكى﴾ عن أبي سليمان الخواص قال كنت راكباً حماراً لي يوماً وكان
 يؤذيه الذباب فيطاطى رأسه فكننت أضرب رأسه بخشمة كانت في يدي فرفع الحمار
 رأسه إلى وقال أضرب فانك على رأسك تضرب قيل له يا أبا سليمان وقع لك ذلك
 أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعته (وحكى) عن أحمد بن عطاء الروزباري قال
 كان لي مذهب في أمر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي إلى ان مضى ثلث الليل
 ولم يطب قلبي فتضجرت فبكيت وقلت يارب العفو فسمعت صوتاً ولم أر أحداً يقول
 يا أبا عبد الله العفو في العلم وقد يكشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد
 وتقوية ليقينه وإيمانه (قيل) كان عند جعفر الخلمي رحمه الله فصل له قيمة وكان
 يوماً من الأيام راكباً في السارية في دجلة فهم ان يعطى الملاح قطعة وحل الخرقه
 فوقه النص في الدجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب وكان يدعوه فوجد النص في
 وسط أوراق كان يتصفحها والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع
 على ذاتي ﴿وسمعت﴾ شيخنا همدان حكى له شخص انه كوشف في بعض خلواته
 بولده في جيحون كان يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا
 الشخص بنواحي همدان وولده بجيحون فلما قدم الولد أخبرانه كاد يسقط في الماء

فسمع صوت والده فلم يستطع ﴿ وقال عمر ﴾ رضي الله عنه ياسارية الجبل على المنبر
 بالمدينة وسارية بنها وند فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقبيل لسارية كيف
 علمت ذلك فقال سمعت صوت عمر وهو يقول ياسارية الجبل (سئل) ابن سالم
 وكان قد قال للايمان أربعة أركان ركن منه الايمان بالقدره وركن منه الايمان
 بالحكمة وركن منه التبرى من الحول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل
 في جميع الأشياء قيل له مامعنى قولك الايمان بالقدره فقال هو أن تؤمن ولا تنكر
 أن يكون لله عبد بالمشرق فأعما على يمينه ويكون من كرامة الله أن يعطيه من القوة
 ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه * وحكى لي
 فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص ببغداد انه قد مات فكشفه الله بالرجل وهو
 راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر اخوانه ان الشخص لم يموت وكان كذلك حتى
 ذكر لي هذا الشخص انه في تلك الحلة التي كوشف بالشخص راكبا قال رأيت
 في السوق وأنا أسمع بأذني صوت المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه
 مواهب الله تعالى وقديكاشف بها قوم وتعطى وقديكون فوق هؤلاء من لا يكون له
 شيء من هذا لان هذه كلها تقوية اليقين ومن منح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء
 من هذا فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه من تجوهر الذكر في القلب ووجود
 ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية للمر يدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا
 يجذبون به إلى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض منهم بذلك ساكن
 عزهم لعمارة الأوقات بالقربات فيتروحون بذلك ويرقون لطريقة من كوشف
 بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع اجابة وأسهل انقيادا وأتم استعدادا
 والأولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم ما استتر وقد لا يمنع
 صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبيل الهدى وراكب طريق
 الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستمدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا
 في مقام الطرد والبعد ابقاء لهم فيما أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال
 حتى لا يغتر السالك بيسير شيء يفتح له ويعلم انه لومشى على الماء والهواء لا ينقعه
 ذلك حتى يؤدى حق التقوى والزهد فأما من تعوق بخيال أوقع بحال ولم يحكم

أسامي خلوته بالاختصاص يدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات
 ويستهقرها ويطلبه الله تعالى لذمة المعاملة وتذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح
 في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة
 الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة ادامة
 الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم
 دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الأوراد ولقوم الانتقال من
 الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحب للشيخ المطمع على
 اختلاف الأوضاع وتنوعها مع نصحه للأمة وشفقته على الكافة يريد المرید لله
 لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع ومن كان محبا للاستتباع فإيفسده
 مثل هذا أكثر مما يصلحه

❦ الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية ❦

روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليلة
 حتى أتاه الغفران من ربه وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك
 أبواب الصديق فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الأسلم لدينه
 فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالأهل والأولاد ثانيا فليجعل لنفسه
 من ذلك نصيبا (نقل) عن سفيان الثوري فيما روي أحمد بن حرب عن خالد بن زيد
 عنه أنه كان يقال ما أخلص عبد الله أربعين صباحا إلا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه
 وزهده الله في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها فيتعاهد العبد
 نفسه في كل سنة مرة وأما المرید الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في
 ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط
 للشوب والمصلي بالنظافة والطهارة ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه بيبكاء
 وتضرع واستكانة وتخشع ويسوي بين السريرة والعلاية ولا ينطوي على غل وغش
 وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا للصلاة الجمعة وصلاة
 الجماعة فتترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون
 له شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فبترك

الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأيتنا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم اصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر ارسال الطرف إلى ما يري ولا يصغى إلى ما يسمع لأن القوة الحافظة والمتخيلة كلوح ينتقش بكل صرني ومسموع فيكثر ذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الأحرام فاذا سلم الامام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتقي في خروجه استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم مجلوسه في خلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وهذا أصل ينفسد به كثير من الأفعال إذا أهمل وينصلاح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاغلا وقته شيئا واحدا وهو بالله بإدامة فعل الرضا إما تلاوة أو ذكرا أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينام فإن أراد تعين اعداد من الركعات ومن التلاوة والذكرا أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فاذا افتر عن ذلك ينام وإن أراد أن يبقى سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعلى ويلزم في خلوته ادامة الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره وإذا كان ذا كرا الكلمة لا إله إلا الله وسئمت النفس الذكرا باللسان يقوها بقلبه من غير حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله إذا قلت لا إله إلا الله مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبته وأبطل ما سواه وليعلم أن الأمر كالمسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دائم التلزم بفعل الرضا * وأما قوت من في الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقتنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلا واحدا بالبغدادية يتناوله بعد العشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وأحيائه بالذكرا والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل وإن لم يصبر على ترك الأدام يتناول الأدام وإن كان الأدام شيئا يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك وإن أراد التقليل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهي تقلله في العشر الأخير من الأربعين إلى نصف رطل وإن قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين

وتنقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فظوره الى ربيع رطل في العشر الأخير (وقد اتفق) مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان أحدهما آخر الأربيع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكثر واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطي ليلتين والافطار في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم و ليلة ثلث رطل و بين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم و ليلة نصف رطل وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سامة وضجرا وقلة انشراح في الذكر والمعاملة فاذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد فالنفس إذا أخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة ثم ردت إلى الافطار كل ليلة تنقع وإن سوحتت بالافطار كل ليلة لاتنقع بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقس على هذا فهى إن أطمعت طمعت وإن أقمعت قمعت (وقد كان) بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس إلى أقل قوتها ومن الصالحين ومن كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعير يعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين وقد قيل لسهل ابن عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب هب الجوع عنه قال بطئمة النور وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على أنه يجد فرحا بربه يتطفيء معه هب الجوع وهذا في الخلق واقع أن الشخص بطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شىء من هذه الاقسام التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان في حماية الصدق والاخلاص وإنما يخشى في ذلك وفي دوام الذكر على من لا يخلص لله تعالى * وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين

الخبز وغيره مما يؤكل ومتى عيبت النفس الخبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحدين بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا الحد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدرج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبزق فإذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده الذباب روى أن سفيان الثوري وابراهيم بن أدحم رضي الله عنهما كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستا وكان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه يطوى سبعة أيام (واشتهر) حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعموية رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري انه كان يطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى الطي رجل أدركنا زمانه وما رأيت له كان في أبهر يقال له الزاهد خيفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدرج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ثم أنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى مستكن في بطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استجلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطي إذ لم يعلم بحاله أحد وربما تضعف عزيمته في ذلك إذا علم بأنه يطوي فان صدقه في الطي ونظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطي فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحسن في نفسه أنه يجب أن يرى بعين التقال فليتهم نفسه فان فيه شائبة النفاق ومن يطوى لله يعوضه الله تعالى فرحا في بطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى الطعام ولكن امتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحاني فيجذبه إلى مركزه ومستقره من العالم الروحاني وينفر بذلك عن أرض الشهوة النفسانية وأما أثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها

وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير فأجل من جذب المغناطيس للحديد إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح في الحديد مشا كل للمغناطيس فيجذبه بنسبة الجذسية الخاصة فإذا تجنست النفس بعكس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب يصير في النفس روح استمدتها القلب من الروح وأداها إلى النفس فتجذب الروح النفس بجذسية الروح الحادثة فيها فيزدرى الاطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ويتحقق عنده قول رسول الله ﷺ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يقدر علي ما وصفناه إلا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرة فيتناول من الطعام أيضا ضرورة ولو تسكلم مثلا بكلمة من غير ضروره التهم فيه نار الجوع التهاب الحلقاء بالنار لان النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها وإذا استيقظت زعت إلى هواها فالعبد المراد بهذا إذا فطن لسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما ان كوشف بشيء من المنح الالهية * وقد حكي لي فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعى الى الغاية بمد أيام فتح الله على بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بخوراء نظرت إليها عقيب كسرها فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت عن الطعام أياما وذكر لي أن الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من أركان الايمان فسلم ولا تنكر (قال) سهل ابن عبدالله رحمه الله من طوى أربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقال لا يزهده العبد حقيقة الزهد الذي لامشوبة فيه إلا بمشاهدة قدرة من الملكوت وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله عرفنا من طوى أربعين يوما برباضة النفس في تأخير القوت وكان يؤخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل حتى يطوى ليلة في نصف شهر فيطوى الأربعين في سنة وأربعة أشهر فتندرج الأيام والليالي حتى يكون الأربعين بمنزلة يوم واحد * وذكر لي ان الذي فعل ذلك ظهرت له آيات من الملكوت وكوشف بمعاني قدرة من الجبروت نجلى الله بها له كيف شاء واعلم ان هذا المعنى من الطي والتقلل لوانه عين الفضيلة ما فات أحدا من الأنبياء ولسكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك إلى أقصى غاياته ولا شك ان لذلك

فضيلة لا تنكر ولكن لا ينحصر مواهب الحق تعالى في ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما وقد يكون من لا يكشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن يكشف بها إذا كشفه الله بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئاً من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجع أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوماً واجتهد في ضبط أحواله بشيء من الأنواع التي ذكرنا من العمل والتذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون للأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهي أربعون موسى عليه السلام (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن ابن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا أبو معاوية الضرير قال حدثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله تعالى العباداة أربعين يوماً ظهرت ينايع الحكمة من قلبه على لسانه

❁ الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية وشرح الخلق ❁

الصوفية أوفر الناس حظاً في الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم باحياء سنته والتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء واحياء سنته على ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الاسلام أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد الحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال حدثنا مسلم بن حاتم الأنصاري البصري قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لا حد فافعل ثم قال يا بنى وذلك من سنتى

ومن أحياء سنتي فقد أحيائي ومن أحيائي كان معي في الجنة فالصوفية أحيوا سنة رسول الله ﷺ وفقوا في بدايتهم لرعاية أقواله وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأتمر لهم ذلك ان تحتقوا في نهاياتهم باخلاقه وتحسين الأخلاق لايتأني الا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ وانك لعلى خلق عظيم لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أى على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة (سئلت) عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأتى به من أمر الله تعالى وينتهى عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر كبير وعلم غامض ما طقت بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السماوى وصحبة رسول الله ﷺ وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هى من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمامسون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الأصول التى هى مبادئ تكونها استفادت صفات من البهيمة والسبعية والشيطانية وإلى صفة الشيطنة فى الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من نار والله تعالى يخفى لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله ﷺ على ما ورد فى حديث حليلة ابنة الحرث انها قالت فى حديث طويل فبينما نحن خالف بيوتنا ورسول الله ﷺ مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشد نحوهم فنجداه فأما ممتعا لونه فاعتقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت ان يكون ابني هذا قد أصيب النطقى بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت مارد كما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله

لاضير الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نحشى
الانلاف والاحداث زده إلى أهله فقالت ماذا بك بما فاصدقاني شأركما فلم تدعنا
حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله مالم الشيطان عليه سبيل
وانه لكائن لابني هذا شأن الأخر كما يخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا
قط أخف منه قالت قاريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت به
قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه
إلى السماء فدماه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقية النفس
الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد
من الظامة لتفاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات المبقاة
بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحركات بازائها لقمعها
تأديبا من الله لنبية رحمة خاصة له وعامة للأمة موزعة لنزول الآيات على الآناء
والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالي وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس
بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة خلق
صالح سنى إما تصريحاً أو تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت
رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأرسل الله تعالى ليس لك من الأمر
شيء فاكتمى القلب النبوي لباس الاضطراب وفاء بعد الاضطراب إلى القرار فلما
توزعت الآيات على ظهور الصفات في مختلف الأوقات صفت الأخلاق النبوية
بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون في ابقاء تلك الصفات في نفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم معنى قوله عليه السلام إنما أنسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة وقت
استنزال الآيات للتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تنزكى
فقومهم وتشرف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله
تعالى فاذا أراد الله تعالى يعبد خيرا منحه منها خلقا وقال صلى الله عليه وسلم إنما بعثت لأتم

مكارم الاخلاق وروى عنه صلوات الله وسلامه عليه أن الله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتمديدتها لا يكون الا بوحى سماوى المرسل ونبي والله تعالى أبرز الى الخلق أسماء منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا أن الله تعالى أودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال أدبها وبين قوله (وانك لعلى خلق عظيم) مناسبة مشعرة بقول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن (قال) الجنيد رحمه الله كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همه سوى الله تعالى وقال الواسطى رحمه الله تعالى لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام حاشم الخلق بخلقهم وياينهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم فى معنى التصوف التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان فى عينه بمشاهدة مكوونها وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه (وقد) نذب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمته إلى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا احمد بن الحسين بن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبد الله ابن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال ان من أحبكم إلي وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا وان أبغضكم إلي وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفهبون قالوا يا رسول الله علامنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفهبون قال المتكبرون وانثرثار هو المكثار من الحديث والمتشدد المتناول على الناس فى الكلام (قال الواسطى رحمه الله) الخلق العظيم

أن لا يخاصم ولا يخاضم وقال أيضا وإنك لعلی خلق عظیم لو جدانك حلاوة المطالعة
 على شرك وقال أيضا لأنك قبلت فنون ما أسديت إليك من نعمي أحسن مما قبله غيرك
 من الأنبياء والرسل (وقال الحسين) لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق
 وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخاق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق للأعوان منده
 خطر (وقال) بعضهم قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه
 باليمين) آثم لأنه حيث قال وإنك أحضره وإذا أحضره أغفله وحجبه وقوله لأخذنا
 آثم لأن فيه فناء وفي قول هذا القائل نظر فهلا قال إن كان في ذلك فناء ففي قوله وإنك
 بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء آثم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لأن الفناء
 إنما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت فأى
 عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هنالك (وقيل) من
 أوتى الخلق العظيم فقد أوتى أعظم المقامات لأن المقامات ارتباطا عاما والخلق ارتباط
 بالنعوت والصفات (وقال الجنيد) اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والألفة والنصيحة
 والشفقة (وقال ابن عطاء) الخلق العظيم أن لا يكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع
 فناء النفس وفناء المألوفات (وقال أبو سعيد) القرشى العظيم هو الله ومن أخلاقه
 الجود والكرم والصفح والعمو والاحسان ألا ترى إلى قوله عليه السلام إن لله مائة
 وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة فلما خلق بأخلاق الله تعالى وجد
 الثناء عليه بقوله وإنك لعلی خلق عظیم (وقيل) عظم خلقتك لأنك لم ترض بالخلق
 وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات (وقيل) لما بعث محمد عليه الصلاة
 والسلام إلى الحجاز حججه بها عن اللذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فلما
 صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له وإنك لعلی خلق عظیم (وأخبرنا) الشيخ الصالح
 أبو زرعة بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسى عن أبيه قال أنا أبو عمر المليحى
 قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الاعرابي قال حدثنا جعفر بن
 الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد
 عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم
 يقول مكاد من الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا

تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاه السائل والمكافأ بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتندم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وهو الفرح الذي قال الله تعالى (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) لما رأى منافع تنوء بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالاقسام الآخروية فيحمود ينافس فيه قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فبذلك فليفرحوا وفسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق وكف من نفس تجيب إلى الاعمال ولا تجيب إلى الاخلاق فنفوس العباد أجابت إلى الاعمال وجمحت عن الاخلاق ونفوس الزهاد أجابت إلى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت إلى الاخلاق الكريمة كلها * أخبرنا الشيخ أبو زرعة اجازة عن أبي بكر ابن خلف اجازة عن السهمي قال سمعت حسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر الكتاني يقول التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف فالعباد أجابت نفوسهم إلى الاعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت نفوسهم إلى بعض الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لأن القلب يبيض بعرضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه إلى الطبع والغريزة والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه إلى الروح بكله ويكون ذا وجهين

وجه إلى الروح ووجه إلى النفس فاذا ابيض كله توجه إلى الروح ب كله في تداركه مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب وكلما انجذبت توجهت إلى القلب بوجهها الذي يليه وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) وتنور وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية أحد وجهي الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ وبقاء شيء من الظلمة على النفس لنسبة وجهها الذي يلي العريضة والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه وإذا تنور احد وجهي النفس لجأت إلى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سمي الابدال ابدا والسر الأ كبر في ذلك ان قلب الصوفي بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقى إلى ذكر الذات ويصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة والقلب عرش في عالم الأمر والقدرة (قال) سهل بن عبد الله التستري القلب كالعرش والصدر كالكرسي * وقد ورد عن الله تعالى « لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدى المؤمن » فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار مجرا مواجا من نسمات القرب جرى في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتمتحة التخلق بأخلاق الله تعالى (حكى) عن الشيخ أبي علي الفارمزي أنه حكى عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال ان الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ويكرن الشيخ عنى بهذا ان العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات المشايخ في الأسماء والصفات التي هي أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيئا من الحول تزدق وألحد وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وقصد العمل لزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح

وياك أن تسب حليماً أو تكذب صادقاً أو تطمع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً أو هبياً باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (وروى) معاذ أيضاً عن رسول الله ﷺ قال حف عبد الوهاب بن علي باسناده المتقدم إلى الترمذي رضي الله عنه قال أنبأنا أبو كريب قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليلبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (وقد كان) من أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئاً الا يعطى ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام (وكان) يتخفف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهم (وكان) أشد الناس حياءً وأكثرهم تواضعاً فصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

❦ الباب الثلاثون في تفصيل أخلاق الصوفية ❦

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقداراً يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها الا العالمون (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا عثمان ابن عبد الله قال أنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو حاتم الرازي قال حدثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالي أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضهم على بعض وقال عليه السلام في قوله تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس

(وكان) من تواضع رسول الله ﷺ أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو نخد أرنب ويكافي عليها ويأكلها ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمسكين (وأخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال أنا أحمد بن علي المقرئ قال أنا محمد بن المنهال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ان من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان ترضي بالدون من المجلس وأن لا تحب المدح والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب (وسئل) الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه (وقال أيضا) من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب (وقال) وهب بن منبه مكتوب في كتب الله اني أخرجت الدر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فذلك اصطقيته وكنيته (وقيل) من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع قلبه فيصحب الصالحين وليلتزم بجرمتهم فمن شده تواضعهم في أنفسهم يقتدي بهم ولا يتكبر (وقال لقمان عليه السلام) لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع (وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني (وقال الجلاء) لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقيل يوسف ابن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيتة خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الذين أبا النجيب وكنيت معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدين له طعاما على رءوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفارة والاسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفارة مع الفقراء فجاءهم وأقعدهم على السفارة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكرا

وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من
 التكبر عليهم بما يمانه وعلمه وعمله (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة
 عن السلمي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل
 المعرفة ان للمدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر
 فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا
 اباة وأما اللواتي في الباطن فخب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء
 الوصول الى سيده والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع في الخلق
 حسن ولكن في الأغنياء أحسن والتكبر سمح في الخلق ولكن في الفقراء أسمى
 (وقال ذوالنون) ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتكظيم الناس
 حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد (وقيل) لأبي يزيد متى يكون
 الرجل متواضعا قل إذا لم ير لنفسه حقا ما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا
 يرى أن في الخلق شرا منه (قال) بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل
 أحمد من التكبر مع الادب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد
 عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالتكبر
 والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع راية الاعتدال بين الكبر والضعفة
 فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا يزي به
 وينفض الى تضييع حقه وقد انفهم من كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع
 أشياء الى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الافراط
 الى حضيض التقريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في ذلك المبالغة
 في قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفعك مرید في مبادئ
 ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلماته وؤذية بالا عجاب
 وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحسارهم في مضيق سكر
 الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم وذلك إذا حدق صاحب
 البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا
 استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يحفو على الوقت

وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قدمي على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجت وطفقت في أقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلي أحد اشارة منه في ذلك إلى تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس السمع فايزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله ﷺ وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشيء من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه في الصحة ويقال ان ذلك طنح عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ أرباب التمكين لما عملوا في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع إلى حد الحقه بالضعفة تداويا للمريدين والاعتدال في التواضع أن يرضى الانسان بمنزلة دوين ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجوح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوي بالتواضع وابقافها دوين ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد عظم الله تعالى شأن الكبر بقوله تعالى (انه لا يحب المتكبرين) وقال تعالى (أليس في جهنم ممنوى المتكبرين) وقد ورد بقول الله تعالى « الكبرياء زدائي والعظمة ازادي فمن نازعني واحد منهما قصمته » وفي رواية قذفته في نار جهنم * وقال عز وجل ردا للانسان في طغيانه إلى حده (ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) وقال تعالى (فلينظر الانسان مم خالق خلق من ماء دافق) وأبلغ من هذا قوله تعالى (قتل الانسان ما كفره من أي شيء خلقت من نقطة خلقه فقدره) وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أولك نقطة مذرة وأخرك جينة قدرة وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى كيف يزود من رجيمه * أبد الدهر ضجيعه * واذا ارتحل التواضع من القاب وسكن الكبر انتشر

أثره في بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد بالتصغير قال الله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) وتارة يظهر في الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى (لووا رؤسهم وأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكما ان الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكثر من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة أشبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعفة والتواضع محمود والضعفة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى (والله العزة لرسله وللمؤمنين) والعزة غير الكبر ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وكرامها أن لا يضعها لأغراض عاجلة دنيوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وازالها فوق منزلتها (قال بعضهم) للحسن ما أعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى (تستكبرون في الأرض بغير الحق) فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعفة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد في ذلك ولا يثبت عليه الا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصدقيين (قال بعضهم) من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه (وقال الترمذي) التواضع على ضربين الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيئاً مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى * واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظناً مني أنه عند بعض أزواجه فطلبتة في حجر نسائه فلم أجده فوجدته

في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادى وخيالى
وآمن بك فؤادى وقر بك لساني وها أنا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم
وقوله عليه السلام سجد لك سوادى وخيالى استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود
حيث لم تخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتي لم يكن للصوفي حظ من
التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادات
ان أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية)
المداراة واحتمال الأذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة
ناقة من قبله وان بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقون به * وكان من حسن مداراته
أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي
قال أنا أبو الفضل الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس
الحجوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيمة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى
أف قط وما قال لى لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله
ﷺ من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان أليز من
كف رسول الله ﷺ ولا شممت مساقط ولا عطر اكان أطيب من عرق رسول الله
ﷺ فلمداراة مع كل أحد من الأهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة
من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل لكل شيء جوهر
وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه
الحافظ المقدسى قال أنا أبو محمد الصرفيني قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن حبابة قال أنا
أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال أنا شعبة عن
الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قلت من هو قال
ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال ان مؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من
الذي لا يخاطبهم ولا يصبر على أذاهم (وفي الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم
قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان إذا أصبح قال اللهم انى تصدقت اليرم بعرضى

على من ظلمني فمن ضربني لا أضربه ومن شتمني لا أشتمه ومن ظلمني لا أظلمه
 (وأخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب قال أنا أبو الفتح الهروي قال حدثنا الترياقى
 قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا ابن أبي عمر قال
 حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت استأذن
 رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخو
 العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له
 القول قال يا عائشة ان من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه
 (وروي) أبو زر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت
 وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن * فما شئ يستدل به على قوة
 عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشتمئز ممن يعكس
 مرادها ويستفزه الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها *
 وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه داه الله يوم القيامة على رؤوس
 الخلائق حتى يخيره في أى الحور شاء (وروي) جابر رضى الله عنه عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب (وروي)
 أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه قال أتى النبي عليه السلام برجل فكلمه فأرعد
 فقال هون عليك فاني لست بملاك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد
 (وعن بعضهم) في معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون ايسار بنو يسر سواس مكرومة ابناء ايسار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثر

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

(وروي) أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى
 حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا
 ضياء الدين أبو النجيب املاء قال حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الملبني قل
 أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموى
 السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندى قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن

الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجل نعل كشيقة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفخني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله اوجعتني قال فبت لئنفسى لا يما أقول أوجعت رسول الله ﷺ قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هذا والله الذي كان مني بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي انك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفختك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها * ومن أخلاق الصوفية الايثار والمواساة ومحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما حد الزهد عندكم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا (وقال ذوالنون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تهريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت (روى) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأَنْصار ان شئتم قسمتم المهاجرين من أموالكم ودياركم وأشار كونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركم فيها فأَنْزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي ﷺ إلي أزواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نبياً ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أيا رسول الله فأتني به منزله فقال لأهله هذا ضيف رسول الله ﷺ فاكرميه ولا تدخرى عنه شيئاً فقالت

ما عندنا إلا قوت الصبية فقال فقوى عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيئاً ثم اسرجى فاذا أخذ الضيف لياً كل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالى نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت إلي الصبية فعلاهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئاً ثم قامت فارتدت وأسرجت فلما أخذ الضيف لياً كل قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعل يعضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ فلما نظر إليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد مجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وقال) أنس رضى الله عنه اهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهوداً فوجه به إلى جاره فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك * وروى ان أبا الحسن الانطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية بقرى الرى وله أرغنة ممدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم ايثاراً منه على نفسه * وحكى عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عمى لى ومعى شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رفق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به إليه فخبث إليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فخبث إليه فاذا هو قدماء ثم رجعت إلى هشام فاذا هو أيضاً قدماء ثم رجعت إلى ابن عمى فاذا هو أيضاً قدماء (وسئل) أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ما وصف الله تعالى به الأنصار فى قوله والذين تبوءوا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يعنى جوداً وفقراً (قال) أبو حفص الايثار هو ان يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار إنما الايثار ان تقدم حقوق الخلق اجمع على حتمك ولا تميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة (وقال يوسف) ابن الحسين من رأى لنفسه

ملكا لا يصح منه الايثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الايثار
 ممن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فاذا وصل شيء من ذلك إليه
 يرى نفسه ويده فيه يد امانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه وقال بعضهم حقيقة
 الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون
 لا يثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر
 الكثير في وجهه فانكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت ان رسول الله ﷺ قال
 إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لقلهما
 بشرا فأردت ان أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر (أخبرنا) الشيخ
 ضياء الدين أبو النجم أجازة قال أنا أبو حفص عمر بن الصفا النيسابوري قال أنا أبو بكر
 أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم
 الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا
 نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده
 (وقال سهل بن عبدالله) الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال رويم
 التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبدل والايثار
 وترك التعرض والاختيار (قيل) لما سعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض
 على الشجاء والرقم والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له
 إلى ماذا تبادر فقال أوثر اخواني بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذباري دار بعض
 أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفي وله باب مغلق اكسروا الباب
 فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يباع فانفذوه إلى السوق واتخذوا رقفا
 من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها
 كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعه فقال
 الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا
 ويبقى لنا شيء ندخره عنه (وقيل) مرض قيس بن سعد فاستبطن أخوانه في عيادته
 فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال اخزي الله ما لا يمنع
 الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل

فكسرت عتبة داره بالعشي لثائرة عواده (وقيل) أتى رجل صديقاله ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتني قال لاربعمائة درهم على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم واخرجهما إليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا عملت حين شق عليك الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحنى به (وأخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا محمد بن محمد بن إمام جامع أصفهان قال حدثنا أبو عبد الله الجرجاني قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن الحمد اباذي قال حدثنا أبو البحتري قال حدثنا أبو اسامة قال حدثنا برودة بن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ان الاشعريين إذا أرملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا في اناء واحد بالسوية نهم منى وأنا منهم (وحدث) جابر عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه إذا أراد أن يغزو قال يا عشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مل ولاعدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جملة الاعقبة كعقبة أحدكم قال فضممت إلى اثنين أو ثلاثة مالى لإعقبة كعقبة أحدكم من جملة (وروى) أنس قال لما قدم عبدالرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له أذ سمكت مالى نصفين ولى امرأتان فأطلق احدهما فاذا انقضت عدتها تزوجها فقال له عبدالرحمن بارك الله لك فى أهالك ومالك فما حمل الصوفى على الايثار الاطهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخى يوشك ان يصير صوفيا لان السخاء صفة الغريزة وفى مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوقى الشح وحكم بالفلاح لمن أتق وبذل فقال ومهارزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل إحدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع فانه لا ينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها الترابي

وفي التراب قبض وامسك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزّه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل مامن الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعراض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فإتخض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا ليريد منكم جزاء ولا شكورا) انه نفى في الآية الاطعام لطلب الاعراض حيث قال لا يريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق لا العوض وذلك أكمل السخاء من أظهر الغرائز روت أسماء بنت أبي بكر ذل قلت يا رسول الله ليس لي من شيء إلا ما أدخل على الزبير فأعطى قال نعم لا توكي فيوكي عليك * ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة (قال) سفيان الاحسان ان تحسن إلي من اساء إليك فان الاحسان إلى الحسن متاجرة كنفد السوق خذ شيئا وهات شيئا وقال الحسن الاحسان ان تعلم ولا تخلص كالشمس والريح والنيث (وروى) أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبرائيل لمن هذه قال لا تكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (روى) أبو هريرة رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه كان مع النبي ﷺ في مجلس خباء رجل فوقع في أبي بكر وهو ساكت والنبي عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذي قال فغضب النبي وقام فلاحقه أبو بكر فقال يا رسول الله شتمني وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقت فقال انك حيث كنت ساكنا كان معك ملك يرد عليه فمات كما وقع الشيطان فلم أكن لأقعد

في مقعد فيه الشيطان يأبأ بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا
أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس
عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة (أخبرنا)
خضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياقى قال أنا الجراحي قال
أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا أبو هشام الرفاعى قال حدثنا محمد
ابن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله
ﷺ لا تكونوا أمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن
وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا فلا تظلموا (وقال) بعض
الصحابة يارسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيئني فيمر بي أفأجزيه قال لا
أقره * وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله ﷺ
ليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمة وصلها (وروى) عن
رسول الله ﷺ من كرم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى
من حرمك * ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفى بكأؤه فى خلوته
وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل
باطن الصوفى منازل إلهية وموآب قدسية يتوي منها القلب ويمتلئ فرحا
وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور إذا تمكن من القلب فاض
على الوجه آثاره قال الله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة مشرقة مستبشرة
أي فرحة قيل أشرفت من طول ما أغبرت فى سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه
من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج
والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيق المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى
(تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أي نضارته وبريقه يقال أنضرت النبات إذا أزهت
ونور وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة
من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها
نور الجمال الأزلى وإذا شرقت الشمس على المرأة المصقولة استنارت الجدران قال
الله تعالى (سيامى فى وجوههم من أثر السجود) وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال

وهي القوالب في قول الله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) كيف لا يتأثر بشهود
الجمال (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا الكروخي قال أنا الترياقى
قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال
حدثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
ﷺ كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلتقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من
دلوك في إناء أخيك (وقال) سعد بن عبد الرحمن الزبيدى يعجبني من القراء كل
سهل طلق مضحاك فأما من تلتناه بالبشر ويلتقناك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر
الله في القراء مثله (ومن أخلاق الصوفية) السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس
إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله
ﷺ أخبار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله ﷺ وكان يقول
عليه الصلاة والسلام أما اني أمزح ولا أقول إلا حقا * وروي ان رجلا يقال له زاهر
ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله ﷺ الا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله
ﷺ فجاها يوما من الأيام فوجده رسول الله ﷺ في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن
أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي
عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد فقال إذا تجدني
كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر
بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسى
عن أبيه قال أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو بن حكيم قال
أنا أبو أمية قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال حدثنا سنان بن هرون عن حميد
عن أنس قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله احملى على جمل فقال
أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة فقال
عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله ﷺ وبين يديه
تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أنا كل وأنت رمد
فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم (وروى)
أنس أن رسول الله ﷺ قال له ذات يوم ياذا الأذنين (وسئلت) طائفة رضى الله عنها

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان أليز الناس بساما
 ضحاكا (وروت) أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك
 فسبقتها فقال هذه بتلك (وأخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي
 قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا
 أبو العباس المجبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا عبد الله بن الوضاح
 الكوفى قال حدثنا عبد الله بن ادريس عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضى الله عنه
 قال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى أنه كان يقول لأخلى صغير يا أبا عمير ما فعل
 النغير والنغير عصفور صغير (وروى) أن عمر سابق زبير رضى الله عنهما فسبقته
 الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخرى فسبقته عمر فقال عمر سبقتك
 ورب الكعبة * وروى عبد الله بن عباس قال قال لى عمر تعال أنا فسك في الماء أنا
 أطول نفساً ونحن محرمون (وروى) بكر بن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يمتازحون حتى يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح
 يبدح إذا رمى أى يترامون بالبطيخ (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا الحسن
 ابن احمد الكرخى قال حدثنا أبو طالب محمد بن ابراهيم قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن
 عبد الله قال حدثنى اسحق الحربى قال حدثنا أبو سلمة قال حدثنا حماد بن خالد قال
 أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة قال حدثنا أبو الحسن بن محسن اللبى عن يحيى بن
 عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال ان مائسة رضى الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
 بمحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بينى وبينها كلى فأبت فقلت لها كلى
 فأبت فقلت لتأكلن أو لأطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الحربة فلطخت بها
 وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع نخذه وقال لسودة أطخى وجهها
 فلطخت بها وجهى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فر عمر رضى الله عنه على الباب
 فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاعسلا وجهكما
 فقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ووصف
 بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبياً ومع الكهل كهلاً وكان فيه مزاحة إذا خلا
 (وروى) معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان

يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظروهم إلى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسبوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفوس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعمدهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتمنح إلى العناد فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل إليهم وإلى طباعهم حتى ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزح من طباعهم ونزوسهم الجاحمة الأمارة بالسوء إذا دخلت في هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتمت ما ربهها واستروحت إلى الرخصة والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فالصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب إلى ذلك والشئ إذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة في ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد (قال) سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤمنين ويوحش المخالطين * قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء في غير ارب وذكرفرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة ما لا يفضب جده والمزاح ما يفضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة من الذنب

وحكم ببطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فلا اعتدال في المزاح
 والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبه فانه يتقوم
 بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فالبسط والرجاء
 ينشئان المزاح والضحك والخوف والقبض يحكان فيه بالعدل * ومن أخلاق الصوفية
 ترك التكلف وذلك ان التكلف نصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك
 يبين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار
 ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين
 (روي) أنس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز ولا لحم (وروي)
 عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول نعم الا دام الخل وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان
 الفارسي فأخرج إلى خبزنا وملحاً وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا
 أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الأشياء كالتكلف
 بالملبوس للناس من غيرنية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب
 أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا آحاد وأفراد وكمن متملق لا يعرف أنه تملق
 ولا يفتن له فقد يتملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبين لحال
 الصوفي (أخبرنا) الشيخ العالم منيأه الدين عبد الوهاب بن علي قال أنبأنا أبو الفتح
 الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي
 قال أنا أبو عيسى الترمذى حدثنا احمد بن منيع قال حدثنا يزيد بن هرون عن محمد
 ابن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء
 والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق البذاء انفحش
 وأراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم واطهار
 التصفح وذلك ليس من شأن أهل الصدق (وحكى) عن أبي وائل قال مضيت مع
 صاحبلى زور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في
 هذا الملح سمعت كان أطيب نخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سمعتراً فلما أكلنا
 قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن

مطهرتى مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولاً وفعلاً وفي حديث يونس
 النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا
 كان يزرعه ثم قال لولا ان الله لعن المتكافين لتكلفت لكم قال بعضهم إذا قصدت
 للزيارة فقدم ما حضر وإذا استزرت فلا تبق ولا تذر (وروى) الزبير بن العوام
 قال نادى مناد رسول الله ﷺ يوماً اللهم اغفر للذين يدعون لأموال أمتى ولا
 يتكلمون إلا انى برىء من التكلف وصالحوا أمتى وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ
 قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقصباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة
 وأبا) ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويبد عمر عصاة فضر بها الأرض
 ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا
 به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه إلى الله * ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من غير افتتار
 وترك الادخار وذلك ان الصوفى يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ
 بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربته وراوبته (روى) أبو هريرة رضى الله
 عنه عن رسول الله ﷺ انه قال ما من يوم الا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم اعط
 منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً * وروى أنس قال كان رسول الله
 ﷺ لا يدخر شيئاً لغد * وروى انه أهدى لرسول الله ﷺ ثلاث طوافاً طعم
 خادمه طيراً فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ﷺ ألم أنك أن تجباً شيئاً لغد فان الله
 تعالى يأتى رزق كل غد * وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل
 على بلال وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال ادخر يا رسول الله قال أما
 تخشى أنفق بالالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا * وروى ان عيسى بن مريم
 ﷺ كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويميت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا
 بيت يخرب ولا يجبأ شيئاً لغد فالصوفى فى كل خباياه فى خزانة الله لصدق توكله وثقته
 بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا لمنها استكثار * قال عليه
 السلام لو توكلمت على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً
 (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله
 الماليتى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله المرخسى قال

أنا أبو عمر ان السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن أبي المنكدر عن جابر قال ما سئل النبي ﷺ شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبلا سناد عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال ان جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشيرة من أبيات الا قلبتهم فما وجدت أحدا أشد انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا (قال ذوالنون المصري) من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر بن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الجمال الحر عبد مطمع والعبد حر ما قنع * وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص * وقال أبو بكر المراغي العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل * وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه * وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول مقل وكفى خيرا مما كثر وألهى (وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قد أفاح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه (وروي) أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروي) جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القناعة مال لا ينفد (وروي) عن عمر رضى الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب وينايع الحكمة وعدوا أنفسكم في الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبي الفضل والده أنا أبو القاسم اسمعيل بن عبد الله الشاوي قال أنا احمد بن علي الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصرى قال حدثنا مروان بن معاوية

قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي سلمة الانصاري قال أخبرني سلمة بن عبدالله بن محسن عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (وقيل) في تفسير قوله تعالى (فلننجينه حياة طيبة) هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط طالم بطباع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها وادائها (وقال) أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما ان الورع من الزهد * ومن أخلاق الصوفية ترك المرء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر في الممارين والصوفي كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها باللب وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة والنفقات الفتنة قال الله تعالى تعليماً لعباده (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ولا ينزع المرء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل في النفوس مرء الباطن وإذا انتزع المرء من الباطن ذهب من الظاهر أيضاً وقد يكون الغل في النفس مع من يشاكله ويمائله لوجود المنافسة ومن استصحب في تذويب النفس بنار الزهادة في الدنيا ينمحي الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنيوية في حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة المتقين (ونزعنا ما في صدورهم من غل) قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب المتقن بالله واتنقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هو اجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخواناً فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشرط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق * والناس رجلان رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو الى ما عند الله نفسه وغيره فما للمحقق الصوفي مع هذا من فسة ومرء وغل فان هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبيان يشد بعضه بعضاً ورجل مفتتن بشيء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لأنزهة فيما فيه رغب فمن شأن الصوفي أن ينظر الي مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوباً مفتتناً فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعلمه بظهور نفسه الأمانة بالسوء في المرء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم

ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر التبريقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمأري أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفي الخبر من ترك المرء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المرء وهو محق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن السهروردي محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني النعمان بن مكحول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله تعالى جهنم * انظر كيف جعل رسول الله ﷺ الممارسة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي (وقال بعضهم) المجادل المماري يضع في نفسه عند الخوض في الجدل أن لا يقنع بشيء ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فما إلى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه من يقوم وهم يجدون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطاناه وشيطان أخيه فكلمه * وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو زر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيتك فتضر بنى فتأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظي فأعتقه (وروى) الأصمعي عن اعرابي

قال اذا أشكل عليك أمران لاتدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ من متابعة الهوى (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن احمد بن علي قال أنا خورشيد قال حدثنا ابراهيم بن عبدالله قال حدثنا احمد بن محمد بن محمد بن سليم قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح الا من عالم رباني أمير على نفسه يصر فيها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضؤون عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب (وقال) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحمل جبهة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل إلى العدوان يتجاوز الحد فبالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه مما يعجز عن انقاذ الغضب فيذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع في القلب ويصير منه الهم والحزن والانكساد ولا ينطوي الصوفي على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولا يعتم والصوفي صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه السلام أخبر ان الهم والحزن في الشك والسخط (سئل) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحدا واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً والحرد غضب أيضاً ولكن يستعمل إذا قصد المنضوب عليه وان كان الغضب على من يشاكله ويمثله ممن يتردد في الانتقام منه يتردد دم القلب بغير الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا يأوى مثل هذا إلى قلب الصوفي قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وسلامة قلب الصوفي وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم أمواج الأانس والهبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب

إذا نار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم في القلب نار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخلد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتمهم النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيل) لبعضهم من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء وإذا اتهم الصوفي النفس عند الغضب تداركه العلم وإذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الخلد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السميت الحسن والتؤدد والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يا رسول الله أوصني واقلل لعملي أعيه قال لا تغضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام ان الغضب حمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليضطجع (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنبأنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قررة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا شج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة * ومن أخلاق الصوفية التؤدد والتألف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الله تعالى (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم) والتؤدد والتآلف من ائتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى (فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال عليه السلام المؤمن آل مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف * وقال

عليه السلام مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تغسل احداها الأخرى وما
التقى مؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا (وقال) أبو ادريس الخولاني
لمعاذ اني أحبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ينصب لطائفه من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر
ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله
(وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة
خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية
مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصلوا بمحاسن الاخلاق ووقع
القبول بينهم لوجود المحبة فانفع لذلك المرید بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى
أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل
محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد والضمائم أهل السواد إلى البلدان في
الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج
كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام المؤمن
للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضا (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا والدي أبو الفضل
قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن حمش الزيادي قال أنا
أبو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى قال حدثنا يحيى الكرمانى قال حدثنا حماد
ابن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ^{صلى الله}
^{عليه وسلم} يقول ألا إن مثل المؤمنين في توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى
عضو منه تداعى سائرُه بالسهر والحمى والتآلف والتودد يؤكد أسباب الصحبة
والصحبة مع الأخبار مؤثرة جدا (وقد قيل) لقاء الاخوان لقاح ولا شك ان
البواطن تتلحح ويتقوى البعض بالبعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر
صلاحا والنظر في الصور يؤثر أخلاقا مناسبة خلق المنظور اليه كدوام النظر إلى

المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفك لحظه لا ينفك
 لفظه والجل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان
 والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزرع تنفي عن أنواع
 العروق في الأرض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة
 في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الانسان انسانا
 لأنه يأنس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة
 والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء
 والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما ان
 محبتهم محبة الله والجماع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي
 مع غير الجنس كائن بأئن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن من مرة المؤمن إذا نظر
 إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليات إلهية وتعريفات
 وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وأدركها أهل الأنوار * ومن
 أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والثناء له وذلك منهم مع كمال توكلهم
 على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم
 الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ على ما ورد أن رسول الله
 ﷺ خطب فقال ما من الناس أحدا من عليينا في صحبته وذات يده من ابن
 أبي قحافة ولو كنت متخذنا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال ما نفعني مال كمال
 أبي بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي في الابتداء يقنى
 عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب
 الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه
 الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت
 لهم وجودا في المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة
 معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق
 عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى
 والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول ما يدعى إلى الجنة الحمدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال عليه السلام من عطش أو تجشئ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى به سبعين داء أهونها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من عبد ينعم عليه بنعمة حمد الله إلا كان الحمد أفضل منها فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتتمل أن الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التي حمد عليها فاذا شكروا المنعم الأول يشكرون الوسطة المنعم من الناس ويدعون له (روى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد ابن محمد بن أحمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوي قال أنا عمرو بن زرارة قال حدثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء * ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا للصوفي تام الحال عالم رباني (روى) عن زيد ابن أسلم أنه قال كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لتقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لأن يرانى الرجل سمنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن آم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا في خدمته ما طغى ولا استطال ولو دخل إلي أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصرح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من الصادقين ينسلخون عن ارادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى بمراده منهم في الأشياء

بمراد الله تعالى فاذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصرح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته ولا يكون في قطر من الأقطار الا واحد متحقق بهذا الحال (قال) أبو عثمان الحيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والدل ومثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه (قال) سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها للضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى

﴿ الباب الحادي والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف ﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال ادبى ربي فاحسن تأديبي فالأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أدبيا وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لاسبيل إلى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل وقد قال تعالى لا تبدل خلق الله والأصح ان تبدل الأخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال حسنوا أخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهياً لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكانه من اصلاحه بالترية إلي ان يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار وكما جعل في نفس

الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فتسويتها بصلاحيتها للشئيين جميعاً ثم قال عز وجل (قد أفلح من زكاهما وقدخاب من دساها) فإذا تركت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالآداب استخراج مافي القوة إلى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لاقدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمي فهكذا الآداب منبعها السجيا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجيا فيها توصلوا بحسن الممارسة والريضة إلى استخراج مافي النفوس مركزوز بخلق الله تعالى إلى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع في حق بعض الأشخاص من غير زيادة ممارسة وريضة لقوة ماودع الله تعالى في غرائضهم كما قال رسول الله ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لتقصان قوي أصولها في الغريرة فلهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عوناً على استخراج مافي الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال ابن عباس رضي الله عنهما فقوهم وأدبوهم وفي لفظ آخر قال رسول الله ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * قال يوسف ابن الحسين بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعلم تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى (قيل) لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطيء أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك

أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة
فكنت ربما أقعد بمحذاة الكعبة وربما كنت أستلقي وأمد رجلى فجاءتني عائشة
المكية فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم أقبل منى كلمة لا تجالسها إلا بآداب
والأفيمحى اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء
النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجرى
بطباعها في مدان المخالفة والعبد يردّها بمجهد إلى حسن المطالبة فمن اعرض عن
الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الزاوية ومهما اعانها فهو شريكها وقال الجنيد
من اعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه لأن العبودية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي
قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا العباس
المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا يحيى بن يعلى عن ناصح
عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لأن يؤدب الرجل ولده خير
له من أن يتصدق بصاع (وروي) أيضا انه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من
نحلة أفضل من أدب حسن (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه
(وقال) أبو علي الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبإدبه في طاعته إلى الله تعالى
(قال) أبو القاسم القشيري رحمه الله كان الاستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء فكان يوما
في مجمع فأردت أن اضع وسادة خلف ظهره لاني رأيت غير مستند فتنجى عن الوسادة
قليلا فتوهمت انه توفى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد
الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبدا (وقال) الجلالى البصرى
التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة
له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا
توحيد (وقال) بعضهم يؤم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب
ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق أنظرت
إلى غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غمها ولو بعد سنين قال

فوجدت غيبها بعد عشرين سنة إن أنسيت القرآن (وقال) سرى صليت وردى ليلة من الليلي ومددت رجلي في الحراب فنوديت يا سرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا (قال عبدالله) بن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة (وسئل السرى) عن مسألة في الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتهما فقبل له ألا تدفعها عن نفسك قال استحي من الله ان اتكلم في حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله ﷺ أنه قال زويت لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) يس بن مالك الادب في العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال ان تعامل الله سرا وعلمنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد

إذا نطقت جاءت بكل مليحة وإن سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن الادب مع الله أحسن وأولى * وقال أبو علي ترك الادب موجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الادب على الباب رد إلى سياسة الدواب

﴿ الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب ﴾

كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ فإنه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه في الحضرة بقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس في الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراء ظهره الأرضين والدار العاجلة بمحوظها والسموات والدار الآخرة بمحوظها فما التفت إلى ما عرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب في اعراضه قال الله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر أخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم

فكان مازاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلتقي ماورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره في مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فقطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فوسى عليه السلام صح له في الحضرة أحد طرفي مازاغ البصر وما التفت إلي مافاتاه وماطغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها وضاق لطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارني أنظر إليك فنع ولم يطلق في فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والأحوال السنية فكل قبض بوجد عقوبة لأن كل قبض سدي في وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بايقاف المنازل من المنح على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعقيب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما قوبل بالقبض فدام من يده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشا كل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس ابن عطاء في قوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شروط اعتدال القوى وقال سهيل ابن عبدالله التستري لم يرجع رسول الله ﷺ إلى شاهد نفسه ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهيل بن عبدالله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن

أحمد بن منصور الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر بن عبد الله بن علي السراج قال أنا أبو الطيب العكي عن أبي عبد الجري قال التسرع إلي استدراك علم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الاقبال مساءة والاصغاء إلى تلتقي ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقي جراءة والانبساط في محل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفي قوله تعالي مازاغ البصر وماطغى وجه آخر أطف ماسبق مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وماطغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة الظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففي تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقلبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى العكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتي البراق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث المعراج فكان البراق بقلبه مشا كلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حائه ومعناه وأشار في حديث المعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماء بعض الأنبياء اشارة إلى تعويقهم وتخليفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله أرني أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا باهو الاخلال حد الوصفين من قوله تعالي مازاغ البصر وماطغى فرسول الله حمل مقترا قدمه ونظره في حجال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادم على نظره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتطال بالنظر متعديا حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء فلم يزل ^{صلى الله عليه وسلم} متجلس حجاله في خفارة

أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجبا حجبا حتى استقام على صراط مازاغ البصر وماطعى فمر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الأدب ونهاية في الأرب (قال) أبو محمد بن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه حيث وقف قلبه يكون مقره (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا القاضي أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي قال حدثنا محمد بن رزام الابلي قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمي قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية رب أرني أنظر إليك قال قال ياموسى انه لا يرانى حى الامات ولا يابس الاندهده ولا رطب الاتفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ومن آداب الحضرة ما قال الشبلي الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدينوية حتى رفعه الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال أطلب منى ولولمحا لعجبتك فلما بسط انبسط وقال رب انى لما أنزلت إلى من خير فقير لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة ان يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمت ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معرفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى من أزمته القيام مع أسمائى وصفائى أزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى أزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى ان الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الاثار بالانوار

ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الارب (وقال) أبو علي الدقاق في قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل ارحمني لانه حفظ أدب الخطاط وقال عيسى عليه السلام (ان كنت قلتة فقد علمته) ولم يقل لم أقل رطاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخوصية من أهل الدين في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والأدب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن تقرب إلى الله تعالى بادب فعله منحه محبة القلوب (قال ابن المبارك) نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف * وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذوالنون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قداً كثير الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه اشارة منه إلي ان النفس هى منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا تظهر النفس بجمالة الا ويقمعها بصريح العلم وحيث يتأدب ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر

❦ الباب الثالث والثلاثون في اداب الطهارة ومقدماتها ❦

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبى هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انالستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج ثلاثاً أحجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال سلمان

أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحريري قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن مجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (والفرض) في الاستنجاء شيان إزالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية يحبون أن يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر ببساره ويضعه على مقدم الخرج قبل ملاقة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر في سره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر الخرج ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول الممرية وان استجمر بحجر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لثلاثا يندفق بقية البول ثم ينثره ثلاثا ويحتاط في الاستبراء بالاستنقاء هو أن يتنحج ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذكروا بالتنحج تتحرك وتقذف ما في مجرى البول فان مشى خطوات وزاد في التنحج فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بلوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكروا ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الذكروا بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة مادام يمد فيراعى الحد في ذلك ويراعى الوتر في ذلك أيضاً والمسحات تكون على الأرض الطاهرة.

أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والدكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لاليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر وينقع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشی بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنتين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد وإذا كان في الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضي الله عنه ان النبي ﷺ كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد * وروى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد في المذهب * وروي ان النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحلتيه في الصحراء أو بذيله إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله ﷺ فأراد أن يبول فليرتد لبوله وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والأولى اجتنابه لذهاب بعض النجس إلى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش * قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال أبعاد الشر وأعد المدر وأستقبل الشيخ وأستدبر الريح وأقعى اقعاء الظي وأجفل اجفال النعام يعنى أستقبل أصول النبات من الشيخ وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجى من الفواحش ويكره أن يبول الرجل في
المغتسل * روى عبدالله بن مغفل ان النبي عليه السلام نهى أن يبول الرجل
في مستحجمه وقال ان طامة الوسواس منه * وقال ابن المبارك يوسع في البول في
المستحجم إذا جرى فيه الماء وإذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث (حدثنا) شيخنا
شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا أبو منصور المقرئ قال أنا أبو بكر
الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصري قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر
ابن أنس عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذه الحشوش محتضرة
فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش
الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل أن
تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفي الجلوس
للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولج بيده ولا يخط الأرض والحائط
وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته الا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد
ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما
يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله
الذى أذهب عني ما يؤذيني وأبقى على ما ينفعني ولا يستصحب معه شيئاً عليه
اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس * روت عائشة رضى الله
عنها عن أبيها أبي بكر رضى الله عنه أنه قال استحيوا من الله فاني لأدخل
الكنيف فألرق ظهري وأغطي رأسي استحياء من ربي عز وجل

﴿ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره ﴾

إذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبدالله
الطائي قال أنا الحافظ الفراء قال أنا عبدالواحد بن أحمد المليحي قال أنا أبو منصور
محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد بن زنجويه
قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن

عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء الي ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل لاسكوت ازم لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضاً فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويتندى بيسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت عنى راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبيض وجهي يوم تبيض وجوه وأولياك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك وعند غسل اليمن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتي كتابي بيمينى وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم اسمعني منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم

صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه إلى السماء ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا * وفرائض الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدأ تسطيرح الوجه إلى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن إلى الأذن عرضا ويدخل في الغسل البياض الذي بين الأذنين واللحية وموضع الصلغ وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء إلى شعر التحذيف وهو القدر الذي يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء إلى العنققة والشارب والحاجب والعدار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية إن كانت خفيفة يجب إيصال الماء إلى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وإن كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين (الواجب الثالث) غسل اليدين إلى المرفقين ويجب ادخال المرفقين في الغسل ويستحب غسلهما إلى انصاف العضدين وإن طالت الاظافر حتى خرجت من رءوس الاصابع يجب غسل ما تحتهما على الاصح (الواجب الرابع) مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدها إلى القفا ثم بردها إلى الموضع الذي بدأ منه وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستديرا والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين في الغسل ويستحب غسلهما إلى انصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تحليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وإن كان في الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن ترك فيها عجينا

أو شحما يجب ازالة عين ذلك الشيء (الواجب السادس) الترتيب على النسق المذكور في كلام الله تعالى (الواجب السابع) التتابع في القول القديم عند الشافعي رحمه الله تعالى وحدث التفريق الذي يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء ﴿ وسنن الوضوء ثلاثة عشر ﴾ التسمية في أول الطهارة وغسل اليدين إلى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتى يرد الماء إلى الغلصمة ويستمد في الاستنشاق الماء بالنفس إلى الخياشيم ويرفق في ذلك ان كان صائماً وتخليل اللحية الكثيفة وتخليل الأصابع المنفرجة والبداءة باليمنى وإطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين والتثليث وفي القول الجديد التتابع ويحتمب ان يزيد على الثلاث ولا ينفذ اليد ولا يتكلم في اثناء الوضوء ولا يلمطم وجهه بالماء لطم وتجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ما تيسر والا فمكروه

﴿ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخُصوص والصوفية في الوضوء ﴾
 آداب الصوفية بعد التيام بمعرفة الأحكام * آدابهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء سلاح المؤمن والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها * قال عدى بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسأمت إلا وأنا على وضوء وقال أنس بن مالك قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لي يابني ان استطعت أن لاتزال على الطهارة فافعل فإنه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة فشان العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصري انه قال مهما انتبه من الليل لا يحملنى النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود إلى النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ على ابن الهيثمى انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لأأكون أسأت الأدب

فيقوم ويحدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال
 لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بارجي عمل عملته في الاسلام فاني سمعت
 دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا في الاسلام ارجى عندي اني لم اتطهر
 طهرا في ساعة ليل او نهار الا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي ان
 أصلي ومن أدابهم في الطهارة ترك الاسراف في الماء والوقوف على حد العلم
 (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال
 أنا أبو نصر الترياقى قال أخبرنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا
 أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود قال حدثنا خارجة
 ابن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن بن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي
 ابن كعب عن النبي ﷺ أنه قال للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوا وسائس
 الماء قال أبو عبد الله الروذباري ان الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال
 بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أو ينقصوا عنه (وحكى)
 عن ابن الكرنبي انه اصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة
 نجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فخرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح
 نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لا أنزعها من بدني حتى
 تجف على فمكثت عليه شهرا ثم خانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن
 الاثمار لأمر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه على كثرة شرب
 الماء وقلة صبه على الأرض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس
 وامانة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء
 للوضوء (قيل) كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية لا يحمل معه الا ركوة من
 الماء وربما كان لا يشرب منها إلا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج
 من مكة إلى الكوفة ولا يحتاج إلى النيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب
 وقيل إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز فاعلم انه قدم عزم على ترك الصلاة
 شاء أم أبي وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني
 جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه

كان يقضى حاجته إذا خلا الموضوع في وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص
 في جامع الري في وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل
 نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان
 ابراهيم بن آدم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يحدد
 الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح
 الا في وقت البراز راعى الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه
 قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم
 ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر قال أنا
 أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا سفيان بن وكيع
 قال حدثنا عبد الوهاب بن وهب عن زيد بن حبان عن أبي معاذ عن الزهري عن
 عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضائه
 بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح
 وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة
 والأخلاق المذمومة لا الاستقصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم
 وتوضأ عمر رضي الله عنه مع جرة نصرانية مع كون النصراني لا يحتزون عن الخمر
 وأجرى الأمر على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يهلون
 على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت
 النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجرج في الاستنجاء في
 بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاءهم في الطهارة
 الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة
 ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تخرج ولا يبالي بما في باطنه
 من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص
 لو داس الأرض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة
 يخرب به دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء
 الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك في الاستبراء لأنه ربما يسترخي العرق

ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكاية) المتصوفة في الوضوء والطهارات أن أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا إليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أيا ما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها

(روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلواته وسلامه لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلواته وسلامه أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمانة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية ما ينزل به اعوجاجه بل يتحقق به معراجة فالمصلى كالمصطفى بالنار ومن اصطفى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس بن محمد بن أبي العباس الخليلي قال أنا أبو سعيد الفرخزادى قال أنا ابو اسحق احمد بن محمد بن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد ابن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال حدثنا جعفر بن احمد ابن الحافظ قال أنا احمد بن نصير قال حدثنا آدم بن أبي اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلواته وسلامه قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدي عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدي عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اني على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلي عبدي فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل * فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصلاة الربوبية على العبودية وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له ومن يتحقق بالصلة في الصلاة تلمع له طوابع التجلي فيخشع والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينثني الفلاح وقال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلي وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلي لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى (فاخلع نعليك انك بالوادئ المقدس طوى) قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت (الذين هم في صلاتهم خاشعون) جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلى الأرض (وروي) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد إذا قام إلى الصلاة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ابن آدم أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت إليه * وأبصر رسول الله ﷺ رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله ﷺ إذا صليت فصل صلاة مودع فلمصلي سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان المصلي يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا

وباطنا ولبشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب وفي الهيات تملمات متضرع
سائل محتاج فاذا دعا بكليته اجابه مولاه لانه وعده فقال (ادعوني أستجب
لكم) كان خالد الربيع يقول عجبت لهذه الآية (ادعوني أستجب لكم) أمرهم
بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هي نفوذ دعاء
العبد فان الداعي الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف
الدعوة بين يدي الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الأمانة بانزال
فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلى الاجابة وهي تعليم
الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم
قيل سميت مثاني لأنها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله ﷺ بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله ﷺ
بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون
من أمتهم ينكشف لهم عجائب أسرارها وتذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل
سميت مثاني لأنها استثنيت من الرسل وهي سبع آيات * وروت أم رومان
قالت رأيتني أبو بكر وأنا أتميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن
صلاتي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن
أطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله
ﷺ تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن
ونفاق القلب فأما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى اسرائيل على ظاهر الأمور
لقلة ما في باطنهم فكان يهيه الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى اليه
أن يحل التوراة بالذهب ووقع لى والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في
صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتمتلاطم
الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه
نسائم القلب وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلاء
وللقالب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا
من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ انكارا على

أهل الوسوسة هكذا خرجت عظيمة الله من قلوب بني اسرائيل حتى شهدت
أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه
وان الرجل على صلته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم
ان الله تعالى أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله ﷺ الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة * قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد
إلى السنن الرواتب لتكميل القرائن ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج
إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا والذي ذكره سهل هو معنى
ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليصيب عارضا في الاسلام وما أكمل لله صلاه قيل
وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها * وقد ورد في الأخبار
ان العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت
الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي
لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلي من ناجي
ما التفت أو ما انقتل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة مافرق على أهل السموات
فله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفعون من الركوع إلى يوم القيامة وهكذا
في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم
وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي
غير القريضة ينبغي للمصلي أن يكثر في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه
فان طريقته سامة بحكم الجبلية استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق
الحشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترأى للراكع المحقق
أنه ان سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى الرفع منه ماوفى الهيئة حقها
فيكون همه الهيئة مستغرقاً فيها مشغولاً بها عن غيرها من الهيات فبذلك يتوفر
حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التي يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح
ويقف في مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحي آثاره بحسن
الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال (وقيل) في الصلاة أربع هيات وستة أذكار

فأهليآت الأربع القيام والقعود والركوع والسجود والأذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة

الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهياتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على السكالم باقضى ما ينتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شئ من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار ولا يجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد ان يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بأن الظل مادام في الانتقاص فهو النصف الأول من النهار فاذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج إلى معرفة المنازل ليعلم طلوع الشجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة في ذلك سر وحكمة ذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة من الناس وقيامه بهمام المعاش أو سهو جرى بوضع الجبلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهياً للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعداً للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر هما أو مآ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات المقربين * ثم لا يصلى إلا جماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل صلاة الجماعة

صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية
بباطنه ويقرأ قل أعوذ برب الناس ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل
الصلاة والاستفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص
جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه ورؤس الأصابع مع الأذنين ويضم
الأصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل النشر نشر الكف لانشر الأصابع
ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ويجزم أ أكبر ويجعل المد في الله ولا يبلغ
في صم الهاء من الله ولا يبتدىء بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين
ويرسلهما مع التكبير من غير نفث فالوقار إذا سكن القلب تشككت به الجوارح
وتأيدت بالأولى والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن
قلبه حالة التكبير انه يصلى الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد انه قال لكل شيء
صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى وانما كانت التكبيرة صفوة لأنها
موضع النية وأول الصلاة قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول
النية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب
العدو وإن كثرت لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإن قل (وسئل) أبو سعيد الخزاز
كيف الدخول في الصلاة فقال هو أن تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك
بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي
من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الأولى
فقال ينبغى إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والهيبة
مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في
مطالعة العظمة والكبرياء وامتلاً باطنه نورا وصار الكون بأسره في فضاء شرح
صدره كخردلة بأرض فلاة ثم تلتى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس
وما يتخايل في الباطن من السكون الذي صار بمثابة الخردلة فألقيت فكيف تراحم
الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والغيوبة في
ذلك كوني النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز

بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلها بين السرة والصدر واليمنى لسكراتها تجعل فوق اليسرى ويمد المسمحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى (فصل ربك وانحر) قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرفا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم (وانحر) أى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبته ما فى أرضه وسماؤه روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الأعلى من حد القواد مستودع أسرار السموات ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض فحمل نفسه ومركزها النصف الأسفل ومحل روحه الروحاني والقلب النصف الأعلى لجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحدان وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها ولجوارح وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استوت جواذب الروح وتملكت من الفرق إلى القدم عند كمال الأانس وتحقق قررة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ وجهته وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت

الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت
بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً انه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق
فانه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت
لبيك وسعديك فالخير كله بيدك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك ويترك
رأسه فى قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير
الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده
إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويتكون الجيد بتكون القلب من الخشوع
ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فان ضم الكعبين هو الصنف المنهى عنه ولا
يرفع احدى الرجلين فانه الصنف المنهى عنه نهى رسول الله ﷺ عن الصنف والصفد
وإذا كان الصنف منهيًا عنه ففي زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى رعاية الاعتدال فى الاعتماد على الرجلين جميعاً ويكره اشتمال السماء
وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويحتمل السدل وهو أن يرخى أطراف الثوب إلى
الأرض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع
ويسجد كذلك وفى معناه ما إذا جعل يديه داخل القميص ويحتمل الكف وهو أن يرفع
ثيابه بيده عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب
وهو وضع اليدين جميعاً على الخصرين وتحافى العضدين فاذا وقف فى الصلاة على الهيئة
التي ذكرناها مجتنباً للمكاره فقد تم القيام وكماله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرناه
ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها فى كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة
وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة
والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وإن قرأ بين
الفاتحة وما يقرأ بعدها إذا كان إماماً فى السكته الثانية اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما
باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم
اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد فحسن وإن قالها فى السكته الأولى فحسن * روى عن
النبي عليه السلام أنه قال ذلك وإن كان منفرداً يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته
نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما فى

قلبه ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأ القلب قا اللسان ترجمانا ولا القارئء متكلمها قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا إلى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حر كة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فينبغي أن يكون متكلمها مناجيا أو مستمعا واعيا فأقل مراتب أهل الخُصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخُصوص يطول شرحها (قال بعضهم) ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول * وقيل لعامر بن عبد الله هل تجدد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأسنة أحب إلى من أن أجد في الصلاة ما تجددون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق بمعنى الانابة لأن الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة فينيب إلى الله تعالى ويتق الله تعالى ولتبرى عما سواه وقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غير هافيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذنعمة الاصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعي ويدرك لطيف معناها وشريف خواها معاني تल्प عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفى الفكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعرضة بمعاني القرآن عن حديثها لكونها معاني ظاهرة متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التي يكشفها من الملكوت قوت القلب وتخلص إلى الروح المقدس إلى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم ومثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في لحج الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى القامة والنصف الأسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويحافى مرفقيه عن جنبه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع (روى) مصعب بن سعد قال صليت إلى جنب سعد

ابن مالك فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يابني انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأ كف على الركب ويقول سبحانه ربي العظيم ثلاثا وهو أدني الكمال والكمال أن يقول احدى عشرة وما يأتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وانما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسأمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي وسخي وعصي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمده ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجند منك الجند فان أطال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهما شاء فأما في القرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع في الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله صلوات الله وسلامته عليه أنه قال لا ينظر الله إلي من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون في هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله فمن الساجدين من يكشف أنه يهوى إلي تخوم الأرضين متغيبا في أجزاء الملك لا امتلاء قلبه من الحياء واستشعار روجه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبريل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان فيهوى دون هويه أطباق السموات وتنمحي لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذلك أقصى ما ينتهي إليه طائر الهمة البشرية وتفي بالوصول إليه القوى الانسانية ويتفاوت الأنبياء والأولياء في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذي علم عليم ومن الساجدين من يتسع وهاؤه وينتشر ضياؤه ومحطى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع

بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار
 والقرار والاسرار والجهار فيكون في سجوده ساجدا في بحر شهوده لم يتخلف منه
 عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادى وخيالى (ولله يسجد
 من في السموات والأرض طوعا وكرها) الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهمية
 والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا
 إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي
 الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود
 فهو أبلغ في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى ولا يلفهما في الثوب ويكون رأسه
 بين كفيه ويدها حدو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك
 سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره
 فتبارك الله أحسن الخالقين * وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه أن رسول الله
 ﷺ كان يقول في سجوده ذلك وإن قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح خسن
 (روت) عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده ذلك ويحافى
 مرفقيه عن جنبيه ويوجه أصابعها في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام
 ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب
 اليمنى موجهها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما
 وتفريجهما ويقول رب اغفرلى وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عني ولا
 يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم
 مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن
 يضع أليتيه على عقبيه ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة
 للاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو
 معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيات على تدرج طبقات
 السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول
 ويدور كيف يقول ويسلم على النبي ﷺ ويمثله بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله
 الصالحين فلا يبقى عبد في السماء ولا في الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة

الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الأصابع
إلا المسبحة ويرفع المسبحة في الشهادة في الإله لا في كلمة النبي ولا يرفعها منتصبه
بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية
خشوع القلب اليها ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين إن كان إماما ينبغي
أن لا ينقر د بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن ورائه فان الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب
دخل على سلطان ووراء أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون
كالبنين يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى في كلامه بقوله سبحانه (كأنهم
بنيان مرصوص) وفي وصف هذه الأمة في الكتب السالفة وصفهم في صلاتهم
كصفهم في قتالهم (حدثنا) بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء
قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن
ابن محمد المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
قال أنا مجاهد بن موسى قال حدثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل كعب الأحبار
كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة
ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب في الأسواق ولا
يكافي بالسبيمة السيئة ولكن يعفو ويعقر أمته الحمادون يمدون الله في كل سرء
ويكبرون الله على كل نجد يوضون أطرافهم ويأترزون في أوساطهم يصفون في
صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديتهم في
جو السماء فالامام في الصلاة مقدمة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى المصلين
بالخشوع والالتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا والمصاون المتيقظون كلما اجتمعت
ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاقد وتسرى من البعض إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع المساهمين المصلين في أقطار الارض بينهم تعاقد وتناصر بحسب
القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما
أمد رسول الله ﷺ بالملائكة المسومين حاجاتهم إلى محاربة الشيطان أمس من
حاجتهم إلى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله ﷺ رجعنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر فتداركهم الأملاك بل بأنفاسهم الصداقة تتماسك
 الأفلاك فإذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه وينوي مع التسليم الخروج
 من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمني الجن ويجعل
 خده مبينا لمن على يمينه بلواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يسار
 فقد ورد النهي عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان تختص بالامام وهو أن
 لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو أن لا يوصل
 تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام
 والمأمومين وهو أن يوصل تسليم الفرض بتسليم النقل ويجزم التسليم ولا يمد
 مدا ثم يدعو بعد التسليم بما شاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا
 في صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملاء البر
 والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس في جماعة وهي سر
 الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام
 ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن
 عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر
 محمد بن العباس بن زكريا قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا الحسين
 ابن الحسن المروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى بن عبد الله قال
 سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقروا إن شئتم إن الحسنات يذهبن
 السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

❦ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها ❦

أحسن آداب المصلي أن لا يكون مشغول القلب بشيء قل أو كثير لأن الاكياس
 لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أصروا لأن الدنيا واشتغالها لما كانت
 شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة في أوطان القربات واذنانا
 بالباطل لب البريات لأن حضور الصلاة بالظاهر اذنان الظاهر و فراغ القلب في
 الصلاة عما سوى الله تعالى اذنان الباطل فلم يروا حضور الظاهر وتحلف الباطن

حتى لا يختل اذعانهم فتنخرم عبوديتهم فيجتنب أن يكون باطنه مرتها بشيء
ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا
ورد إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلي وهو حاقن
يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخلق ولا يصلي أيضا
وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لارأي لحازق قيل الذي يكون معه ضيق وفي
الجملة ليس من الأدب أن يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه
الأشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفي الخبر) لا يدخل أحدكم في
الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغي للعبد أن يتلبس
بالصلاة إلا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلي سكون الأطراف وعدم
الالتفات والاطراف ووضع اليمين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبد ذليل
واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حرركات متواليات
جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة
وعندي شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكرك على وقال عندنا ان
العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جمادا مجمدا لا يتحرك منه شيء * وقد
جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو
والشك (وقد روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الخشوع
في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله (ونقل عن سفیان) أنه قال من
لم يخشع فسدت صلاته وروى عن معاذ بن جبل أشد من ذلك قال من عرف
من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ
كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه
عملا وقيل في تفسير قوله تعالى (والذين هم على صلاتهم دائمون) قيل هو سكون
الاطراف والطمأنينة (قال) بعضهم إذا كبرت التكبير الأولى فاعلم ان الله
ناظر إلي شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن

(١٥ - عوارف المعارف)

شمالك وانما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنبأنا عمر بن احمد الصفار قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قل سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخزاز إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتبدل في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله تعالى ويصغر في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال أيضا) ويكون معه في الخشية ما يكاد يذوب به (قال السراج) إذا أخذ العبد في التلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكانهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطيء ومن أتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف

(وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجله خطيئة أصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال أن اقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروي) عن أبي عمرو بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا إماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استموا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط * وقال عليه السلام ان العبد إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقبتها قالت حفظك الله كما حفظتى ثم صعدت ولها نور حتى تنتهى إلى السماء وحتى تصل إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى إلى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الداراني) إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدى فاذا التفت يقول الله ارخوها فيما بيني وبينه وخلوا عبدى وما اختار لنفسه * وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فانصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا العظيم الادب عنده ومعرفة كل النمان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر ان الناس أفسدوا عليك الصلاة بممرهم بين يديك قال ان الذى أصلى له أقرب إلي من الذى يمشى بين يدي (وقيل) كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له ذلك فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقف * وروى عمار بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وقد ورد في لفظ آخر منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والرابع والخمس حتى

يبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شيء * بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين (وقال أيضا) انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين احدهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من حامل عملا إلا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلاة أولى من تغميض العين إلا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان تناوب في الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدرة ولا يزاحم في الصلاة غيره (قيل) ذهب المزحون بصلاة المزاحم (وقيل) من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق على أهله فقام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء (وقيل) ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل (وروت) عائشة رضی الله عنها ان رسول الله ﷺ كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة (وسئل) الجنيد ما فريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع الهمم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك (وقيل) أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال) أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يارسول الله أوصني فقال ياأبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلي (وقال) ابن عباس رضی الله عنهما ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة (وقيل) ان محمد ابن يوسف الفرغاني رأى حاتما الأصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال أقوم بالأمر وأمشي بالخشية وأدخل بالهيبية وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها إلى ربي وأحفظها أيام

حياتي وأرجع باللوم على نفسي وأخاف أن لا تقبل مني وأرجو أن تقبل مني وأنا بين
الخوف والرجاء وأشكر من علمني وأعلمها من سألتني وأحمد ربني إذ هداني فقال محمد
ابن يوسف مثلك يصلح أن يكون واعظا وقوله تعالي (ولا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى) قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم
يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله ما تقدم من ذنبه وقال ان الصلاة تمسكن وتواضع
وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج أى
ناقصة * وقد ورد ان المؤمن إذا تواضعا للصلاة تباعد عنه الشيطان فى أقطار الأرض
خوفامنه لأنه تاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه وبينه
صرا دق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا لم يكن
فى قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت الله فى قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق
بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو
ذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل إذا قام إلى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحموش
الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الله على قلبه فاذا كان شيء فى قلبه أكبر من الله تعالى
عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق
بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم
الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته
ولا يعقل ما كان فيه * وفى الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا
إلى ملكوت السماء والقلوب الصافية التى كل أديها لكمال أدب قوا لها تصوير سماوية
تدخل بالتكبير فى السماء كما تدخل فى الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين
فالقلب السماوى لا سبيل للشيطان إليه فتبقى هو اجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع
بالتحصن بالسماء كما تنقطع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالقرب
وتعرج فى طبقات السموات وفى كل طبقة من أطباق السماء يتخاف شيء من ظلمة النفس
وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى أن يتجاوز السموات ويتف أمام العرش فعند ذلك يذهب
بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس فى نور القلب اندراج
اللليل فى النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب (وما ذكرنا) من

أدب الصلاة يسير من كثير. وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى وإذا حصل الذكر فأى حاجة إلى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا إلى أباطيل الخيال ومحو الرسوم والأحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا أدتهم إلى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان الله في كل هيئة من الهيات وكل حركة من الحركات أسراراً وحكماً لا توجد في شيء من الاذكار فلاحوال والاعمال روح وجسمان ومادام العبد في دار الدنيا اعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

﴿ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره ﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا يقتص أحد منه شيئاً (وفي الخبر) الصوم لي وأنا أجزى به قيل اضافه إلى نفسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى السائمون الصائمون لأنهم ساءوا إلى الله تعالى بمجموعهم وعظمتهم وقيل في قوله تعالى إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويمجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ إذا ابتلى المرید بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرقت بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو أو احترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضائه وامكن الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم

فكيف إذا كان قائماً ويعانق الشيطان سبعانا قائماً فكيف إذا كان نائماً فقلب
المريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب * دخل رجل
إلى الطيالىسى وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي
هذا قال أدعه حتى أشتهي به (وقيل) من أسرف في مطعمه ومشربه يعجل الصغار
والذل إليه في دنياه قبل آخرته (وقال) بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله
تعالى قطع الغذاء (وقال بشر) ان الجوع يهني الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم
الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله
أو همت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يأتي علينا
الشهر ونصف شهر ما تدخل بيتنا ناراً للمصباح ولا غيره قال قلت سبحان الله فبأى
شيء كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الأنصار جزأهم الله خيراً
كانت لهم منائح فربما واسونا بشيء (وروي) ان حفصة بنت عمر رضى الله عنهما
قالت لا يباها ان الله قد أوسع الرزق فلوأكلت طعاماً أكثر من طعامك ولبست ثياباً
ألين من ثيابك فقال اني أخاصمك إلى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله ﷺ كذا
يقول مراراً فبكت فقال قد أخبرتك والله لا شاركنه في عيشه الشديد لعل أصيب
عيشة الرخاء وقال بعضهم ما نخلت لعمر دقيماً الا وأنا له حاص (وقالت) عائشة رضى
الله عنها ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت
عائشة رضى الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت
بالجوع والعطش والظمأ (وقيل) ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه
معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجدى فيها شهوة
قال لا غير انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لا جرم اني لأشبع
أبداً قال إبليس لا جرم اني لأأنصح أحداً أبداً ﴿ وقال ﴾ شقيق العبادة حرفة
وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه إذا ملئت المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لا تجمعوا بين
الأدمن فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعود بالله من زاهد قد أفسدت معدته
ألوان الأغذية فيكره للمريد أن يوالى في الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس

عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا وقال عليه السلام ماملا آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لاحالة فنلت لطعامه وثلت لشرا به وثلت لنفسه وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل

الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يدمجون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى وكان أبو عبد الله بن جبار قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد (روى) أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقدت سبعين أي لم يكن له فيها موضع وكرهه قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر وأول قوم ان صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكى) عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج إلى علم فقد يكون الداعي إلى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لي سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى الشيء فأراه من فضل الله ونعمته

وفعله فأوافق الحق في فعله (وذكر) أنه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر ومن عادة تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في أخذ الرمانة (ورأيت) الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات أي وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار في مأكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلي تناول شيء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة وكانوا يتكفون الأطعمة ويأتون بها إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلل والأليق بموافقة العلم امضاء الصوم قال الله تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقة كيف تقلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا وقيل إذا كان جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مريد يخونهم على الصيام فإن لم يساعدهم هتيموا لافطاره ويتكفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأدب به ويصوم بصيامه وحكى عن أبي الحسن المكي أنه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دوانيق يعمل

بيده جبال الليف وبييعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لأنه كان مشهوراً بين الناس وقال بعضهم ما أخلص الله عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف ومن أكل فضلاً من الطعام أخرج فضلاً من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسي بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشراً بطيخ فأخذه وأكله فراه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنى منك هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشراً بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنائتك ورفقك فقال أنا تأب من جنائتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الأول من شعبان وافتطار نصفه الأخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن إن لم يكن صام فلا يستقبل رمضان يوماً أو يومين وكان يكره بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة بـرمضان ويستحب صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الأشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام

❦ الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه ❦

آداب الصوفية فى الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام (سمعت) ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه انهم كانوا يصومون وكلما ففتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب أن يمسك المرید عن المباح ويفطر بحرام الآثام (قال) أبو الدرداء يا حبيذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحتمى وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى فضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحد

الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فاذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والاقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا أقهرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك الى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها إلا عبد يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الأهل بالملاسة فان ذلك أزه للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو أدعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسجروا فان في السجور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقيمات إن كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا اسحق بن موسى الانصارى قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قررة عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل أحب عبادى إلي أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات (وفى الخبر) كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب

قال الشيخ أبو طالب المكي قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل
الحرام فقال سماعون للكذب أكلون للسحت (وورد) في الخبر ان امرأتين صامتا
على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا
أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذنانه في الافطار فأرسل اليهما قدحا
وقال قولوا لهما قئما فيه ما أكلتما فقأت أحدها نصفه دما عبيطا ولحما غريضا
وقأت الأخرى مثل ذلك حتى ملأناه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله
ﷺ هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلاة والسلام
إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم
(وفي الخبر) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (والصوفي) الذي لا يرجع
إلى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله الادب
وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره أفضل من الذي له معلوم معد فان كان
مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل (حكى) عن رويم قال اجتزت في المهاجرة
ببعض سلك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد
خرجت ومعها كوز جديد ملائ من الماء المبرد فلما أردت أن أتناوله من يدها
قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم
فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم
كرهوه لمكان ان النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا
بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل في أن لا تركز النفس إلى عادة ورأوا
ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقهاء ان الواحد إذا
كان بين جمع وفي صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع
متعلقة بفظوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم بشيء لا يلزمهم
ادخاره للمصائم مع العلم بأن الجمع المفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتي
للمصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج الي الفرق لضعف حاله أو ضعف بنيته
لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيدخره لان ذلك
من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه

لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام
 ولا يلزمهم موافقة الجمع في الافطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار
 فاما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء
 الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية
 وأحوال النفس فكل ما صححت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة
 فهو الأفضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للموافقة وأن
 صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر
 عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد
 أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال حدثنا عبد الله بن حماد
 قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر
 عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فاما
 قدم اليهم قال رجل من القوم اني صائم فقال رسول الله ﷺ دعاكم أخوكم وتكاف
 لكم ثم تقول اني صائم افطر واقض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا
 ورزق بلال في الجنة فاذا علم ان هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجي من موافقة من يغتم
 موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فاذا لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن
 يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس
 لالقضاء حتى أخيه * ومن أحسن آداب الفقير الطالب انه اذا أفطر وتناول الطعام
 ربما يجده باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متعجبة عن اداء وظائف العبادة فيعالج مزاج
 القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصلحها أو بآيات يتلوها أو
 بذكر واستغفار يأتي به فقد ورد في الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام
 آداب الصوم كتمانها مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي
 ظهر أم بطن

الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام

وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتبانه بأدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب ووقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه أمرا له (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فتدخل على الصوفي أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحذف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتشكل بالعبادات ولهذا ورد نور العالم عبادة ونفسه تسيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلي علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقلب مركب وبهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) أرض الجنة قيعان ثباتها التسبيح والتكبير والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة واجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الأدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الأدمي قال الله تعالى (خلق لكم ما في الأرض جميعا) فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للأدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل إلى المعدة وفي المعدة طباع أربع فإذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعدل المزاج ويأمن الاغوجاج وإذا أراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من الماء كقول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم (روى) عن وهب بن منبه قال وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام اني خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنني خلقتة من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته

من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق
 هن ملاك الجسم باذني وهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة
 الا بأخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض
 هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة
 في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأبما جسد
 اعتدلت فيه هذه القطر الأربع التي جعلتها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة
 منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة
 عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف
 عن طاقتهم ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل
 مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر
 الأمر وأتعب طلب الحلال * ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن
 يتندىء بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله ﷺ الوضوء قبل الطعام ينفي
 الفقر وإنما كان موجبا لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة
 بالأدب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا
 للنعمة مذهبا للفقر * وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ
 أنه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى
 فقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) تفسيره تسمية الله تعالى
 عند ذبح الحيوان واختلف الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم
 الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام الا مقرونا بالذكر
 فقرونه فريضة وقته وأدبه ويرى ان تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس
 ومتابعة هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضي الله عنها
 قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه
 فجاء اعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ أما أنه لو كان يسمى الله
 لكفأكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي أن يقول بسم الله فليقل
 بسم الله أولا وآخره ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم الله وفي الثانية

بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول في أول نفس الحمد لله إذا شرب وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما انى للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلي الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة ببوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقلب فالقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقي الاسواء ويذهب الداء ويحلب الشفاء * حكي ان الشيخ مجدا الغزالي لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصدته زائرا فصادفه وهو في صحراء له يبذر الخنطة في الأرض فلما رأى الشيخ مجدا جاء اليه وأقبل عليه فحذاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لأنني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذا كر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذا كر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقراء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن تحضر الوقت بذلك حتى تنعمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلى يشير إلى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الأكل ويرى للذكر وحضور القلب في الأكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هياً الله تعالى من الاسنان المعينة على الأكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاخنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلوى في الفم

حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالخا لما كان شحمياً حتى لا يفسد وكيف جعل الندوة تنبع من أرجاء اللسان والقمح ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقاتها بالكبدة والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبدة تقل الهاضمة ولا يفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلي كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبدة والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشریح الأعضاء ليري العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والنفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنها خالصاً سائغاً للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما تحب اجعله عوناً لنا على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب

﴿ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل ﴾

فمن ذلك أن يبتدىء بالملح ويختم به (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس (وروى) عائشة رضي الله عنها قالت لدد رسول الله ﷺ في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال علي بذلك الأبيض الذي يكون في العجين فحُثْنَا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها (روى) جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي (وروى) أنه قيل يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلمكم تفرقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن طاعة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة رسول الله ﷺ (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة (١٦ - عوارف المعارف)

عن المقومى باسناده الى ابن ماجه الحافظ القزوينى قال أنبأنا محمد بن المنثى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنا أبى عن يونس ابن القرات عن قتادة عن أنس بن مالك قال ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الأكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكبر ولا متمعز نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل متكئاً (وروى) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فخنا رسول الله ﷺ على ركبتيه يأكل فقال أعرابي ما هذه الجلسة يارسول الله فقال رسول الله ﷺ ان الله خلقنى عبداً ولم يجعلنى جباراً عنيداً * ولا يتدىء بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ (روى) حذيفة قال كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ ويأكل باليمين (روى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله وإن كان الماء كقول تمرأ أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى وما يؤكل على الطبق ولا فى كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد (روى) عبد الله ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال إذا وضع الطعام نخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل فى وسطه * ولا يعيب الطعام (روى) أبو هريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلق أصابعه فقد روى جابر عن النبي ﷺ قال إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة وهكذا أمر عليه السلام بأسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله ﷺ بأسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله بن عباس أنه

قال لم يكن رسول الله ﷺ ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الاناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل (روت) أم سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الا دام الخلل اللهم بارك في الخلل فانه كان ادم الانبياء قبلي ولم يفقر بيت فيه خل ولا يصب على الطعام فهو من سيرة الأاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ التوم وليتعلم فان الرجل يججل جلسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة * وإذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله ﷺ ماملاً آدمى وطاء شرا من بطنه ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة (روى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه وإذا فرغ من الطعام حمد الله تعالى (روى) أبو سعيد قال كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاما قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين * وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روى عن رسول الله ﷺ تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلي الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة ويغسل يديه فقد روى أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ من بات وفي يده غمر لم يغسل فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد (روى) ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ اترعوا الطمسوس وخالفوا الجوس ويستحب مسح العين

ببلل اليد (وروى) أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا توضأتم فاشربوا أعينكم
الماء ولا تنفضوا أيديكم فانها سراوح الشياطين قيل لأبي هريرة في الوضوء
وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد يأخذ الاشنان باليمين
وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال من الاشنان وأما ما يلوكه باللسان فلا
بأس به ويجتنب التصنع في أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فان
الرياء يدخل في العبد في كل شيء وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل
له تعلم به بأسا قال نعم رأيت يتصنع في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه
التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات
وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً وإن
كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عوناً على معصيتك
وليكثر الاستغفار والحزن ويبكي على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو
يبكي كمن يأكل وهو يضحك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش
ويجتنب الدخول على قوم في وقت أكلهم فقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى
فاسقا وأكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا إلا أن يتفق دخوله
على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقتهم ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار
ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويجتنب المضيف التكلف إلا أن يكون له
نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا وإذا أكل عند قوم طعاما
فليقل عند فراغه إن كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار
وصلت عليكم الملائكة (وروى) أيضا عليكم صلاة قوم ابرار ليسوا بأئمين ولا بخار
يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب أن
لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول ما ندري
أيهم أعظم وزرا الذي يحتمر ما يقدم إليه أو الذي يحتمر ما عنده أن يقدمه ويكره
أكل المباحة وما تكلف للاعراس والتعازي فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل
للغزاة لا بأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط
إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير اذنه قال

الله تعالى (أو صديقكم) قيل دخل قوم على سفيمان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيمان ففرح وقال ذكروني في أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي إلى طعام فالاجابة من السنة وأوكذ ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وإن عمل ذلك تصنعوا ورياء فهو أقل من التكبر (روي) ان الحسن بن علي صر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الأرض وهو على بعلته فلما صر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا لهم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين ثم ثني ورکه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال (وروي) ان هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

﴿ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ﴾

ونياتهم ومقاصدهم فيه ﴿

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة وما رب محتلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم (قيل) لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فریضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد

﴿حكي﴾ ان سفيان الثوري رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا
 فقيل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت اني ألبسه
 لله الآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه والصوفية خصوا
 بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق إلا بالصلاحية والاهلية والاستعداد
 الذي هياه الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود
 تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى (إذا سويته
 ونفخت فيه من روحي) فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشا كلا
 لطعامهم وطعامهم مشا كلا لكلامهم وكلامهم مشا كلا لمقامهم لأن التناسب الواقع
 في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل في الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان
 ملتزمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع إلى التناسب رشح
 حال سلفهم في وجود التناسب قال أبو سليمان الداراني يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم
 وشهوته في بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي أن
 يكون مأ كوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأ كول يدل على وجود انحراف
 لوجود هوى كامن في أحد الطريق إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في
 طرف المأ كول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى المداواة ليعود إلى حد
 الاعتدال * لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسيفا فقال له احمد لو لبست ثوبا أجود من
 هذا فقال ليت قاي في القلوب مثل قيص في الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما
 كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل
 الصلاح وهو لاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت
 لقمهم من الابواب (وكان) أبو عبد الله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة
 وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أتم تأكلون بحق
 التوكل وأنا آكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشاءين لطلب الكسر من الابواب وهذا
 شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة ﴿ وحكي ﴾ ان جماعة من أصحاب
 المرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي
 فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا

ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر
 أحسنت يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكلن أحدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا
 يملك غير ثوبه الذي عليه (وروى) ان أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قميصاً
 اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رؤس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب
 إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع
 ﴿وحكى﴾ عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد
 في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب ليلة فيما يرى
 فرأيت النائم كأنني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فأردت
 أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء
 أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتهبت ونذرت أن لا ألبس إلا
 ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان
 عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه ﴿وحكى﴾ لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه
 بقي زماناً لا يلبس الثوب إلا المستأجراً حتى أنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً (وقال)
 أبو حفص الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره (وقيل) مات
 ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدى وعليه مرقعته قيل كان وزن فردكم له وتخاريفه
 ثلاثة عشر رطلاً فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع
 من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال
 أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس
 الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب
 الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم
 ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية
 تكون لهم في ذلك فلا يعرض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء
 بنية التقليل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على
 لبسه ألبسه الله تعالى من حلال الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا للعالم بحاله بصير
 بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك فله حسن

النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعمته بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جليلة في الثوب الذي أدخله الله عليه يخرجه إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسمعه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلمس وكان الشيخ علي بن الهيثمي يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بن نجان يلبس فروا خشنا كأحد العوام ولكن في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقال لا نلتقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أبواب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يجب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزي إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزي فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وإيقان ولا يبالي بما لبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه وهو با له يوافق الله تعالى في إرادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير ان ههنا مزية قدم لكثير من المدعين ﴿ حكى ﴾ عن يحيى بن معاذ الرازي أنه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره

هم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لأبي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على
 الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق إليه علم ماسوف يدخل عليه من
 الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل
 كل يعمل على شاكلة فر بكم أعلم بمن هو أهدي سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو
 الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات (قال) مسامة بن عبد الملك دخلت
 على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا
 ثياب أمير المؤمنين فقالت تفعل إن شاء الله قال ثم عدته فإذا التميميص على حاله فقلت
 يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا (وقال) سالم كان عمر بن
 عبد العزيز من أين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب
 رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له رثة فللبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد
 في ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال) زيد بن وهب لبس على بن
 أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مد كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال
 أتعيبونني على لباس هو أبعد من الكبر وأجدد أن يقتدي به المسلم (وقيل) كان عمر
 رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات
 للنساء (وروى) عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة
 في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم (وروى)
 أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه احتذى نعلين فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل
 له في ذلك فقال خشيت أن يعرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما
 تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم
 أمرفاشترى له نعلانا مخصوصتان (وروى) أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لبس الصوف واحتذى
 المحصوف وأكل مع العبيد وإذا كانت النفس محل لآفات فالوقوف على دسائسها وخفي
 شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالأليق والأجدد والأولى الأخذ بالأحوط
 وترك ما يريب إلى ما لا يريب ولا يجوز للعبد الخول في السعة إلا بعد اتقان علم
 السعة وكمال تركية النفس وذاك إذا غابت النفس بغيبية هواها المتبع وتخلصت النية
 وتسدد التصرف بعلم صريح وواضح وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول

إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل)
من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع
(روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه
حسناً ولعله حسناً فقال النبي عليه السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة
في حق من يلبسه ليهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب
للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد (روى) أبو هريرة أن رسول الله
^ﷺ قال إزدة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين فهو في النار من جر
إزاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في رداءه إذ
أعجبه رداءه غسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ومن صح حاله بصحة
علمه صحت نيته في ما كوله ولملبوسه وسائر تصاريفه وفي كل الأحوال يستقيم ويتسدد
باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدرك ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن
توفيق الله تعالى

﴿ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل ﴾

قال الله تعالى (إذ يغشىكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجس الشيطان) نزلت هذه الآية في المساميين يوم بدر حيث نزلوا
على كتيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء
بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسامون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ
فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون
على الماء وأنتم تصولون محدثين ومجننين فكيف ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه الوادي فشرب المسامون منه واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الدواب
وملؤا الأسمية ولبد الأرض حتى ثبتت به الأقدام قال الله تعالى (ويثبت به الأقدام إذ
يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم) أمدم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين
ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل الناس رحمة
وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس

قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمانة لقلوبهم من منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب إذ في شكايها وتعها تكدير القلب وباحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المرید بالليل ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل الشهر وقلة النوم وجود الروح والأنس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماع ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويحشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالتقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح (نقل) عن علي بن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحن نبي الإطولع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال أبو سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في ههوىهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ثواب طاجل لأهل الليل (وقال) بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستقيظين في الأسحار فيملؤها نورا فتزد الفوائد على قلوبهم فتستثير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الغافلين وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه ان لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكركم وينظرون إلي وأنظر إليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحمنون إلى غروب الشمس كما تحمن الطير إلى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلال كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم واقتروا لي وجوههم وناجوني

بكلامى وتملقوا إلى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعينى ما يتحملون من
أجلى وبسمى ما يشتهكون من حى أول ما أعطيتهم أن أفذف من نورى فى قلوبهم
فيخبرون عنى كما أعنهم والثانى لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما فى
موازينهم لاستقلتها لهم والثالث أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه
أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه فالصادق المرید إذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت
أنوار ليله على جميع أجزاء نهاده ويصير نهاده فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار
فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ويصير
قلبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون لمعنيين أحدهما ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا
صار سراج اليقين فى القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشرافا
وتكتمب مشكاة القالب نورا وضياء * كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار
والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)
وقال تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فنور اليقين من نور الله فى زجاجة
القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار
الزجاجة على مشكاة القالب وأيضا يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين
القالب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما قال الله تعالى (ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله) وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب
بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الأئس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور
القلب ويندرج فيه الكلام والآيات والسور وتشرق الارض أرض القالب بنور ربه
إذ يصير القلب سماء والقالب أرضا ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تسترقون
الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود فلا
يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع الهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من فاحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل
العظيم * الوجه الثانى لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان
وجوه أموره التى يتوجه اليها تحسن وتتدارك المعونة من الله الكريم فى تصاريفه

ويكون معانا في مصدره ومورده فيجسمن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب

﴿ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب المعينة

على قيام الليل وأدب النوم ﴾

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبلاً القبلة منتظراً مجيء الليل وصلاة المغرب مقياً في ذلك على أنواع الأذكار ومن أولها التسييح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه (واستغفر لذنوبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين العشاءين ينجس عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فإن ذلك كله له أثر وخذش في القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدراً في القلب يدركه من رزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالتقذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ويقيد من قيام الليل سيما إذا كان عرياً عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضاً معين على قيام الليل * حكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الآخرة ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فلو وضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فإن التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقاً من نفسه وعادته فيتعلم للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم العرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزعجت بصديق العزيمة لا تسترسل في

الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة هو التجافي الذي قال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) لأن الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والموضع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر إلي تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلي فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوا حظها فالنفس بما فيها مركز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى (هو الذي خلقكم من تراب) وللآدمي بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان فأرباب الهممة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) حتى قال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقدار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى الذات الروحانية إلى ذرا حقيقتها فتمجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل المهاجع (ومن ذلك) أن يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى وسادة فانها تدعوني إلى النوم ولتغير العادة في الوسادة والعطاء والوطاء تأمير في ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير ما رام (ومن ذلك) خفة المعدة من الطعام ثم تناول ماياً كل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي أن يعلم ان ثقله على القلب أكثر فلا ينسام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لأن أنقص من عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فانه لا يدري ماذا يحدث ويعد ظهوره وسوا كه عنده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله ﷺ إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم

على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل في الالتذاذ وغفل فتنجب الروح أيضا لمكان صلافته ومن الطهارة التي تثمر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتتره عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما احترم وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الانباء ففي الصديقين من يكون له في منامه مكاملة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون موضع مايفتح له في نومه من الأمر والنهي كالأمر والنهي الظاهر يعصى الله تعالى إن أخل بها بل تكون هذه الاوامر أكد وأعظم وقعا لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى فاذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلى العبد في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففي ذلك فضل كثير لمن كثير نومه وقل قيامه (روى) ان رسول الله ﷺ كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالملحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك لا ملجأ

ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبئك الذي أرسلت اللهم
 قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي حكم فقهر الحمد لله الذي بطن خير
 الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير
 اللهم اني أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه
 ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الاول والآية الخامسة (إن في خلق
 السموات والارض) وآية الكرسي وآمن الرسول وإن ربكم الله وقل ادعوا الله
 وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله
 أحد والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن أضاف
 إلى ماقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم ايقظني
 في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الاعمال إليك التي تقربني إليك زلني
 وتبعدي من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك
 فتسجيب لي اللهم لا تؤمنني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا
 تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (ورد) ان من قال هذه الكلمات بعث
 الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دوائه وإن
 لم يقيم تعبثت الاملاك في الهواء وكتب لهم ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد
 ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

❖ الباب السابع والاربعون في أدب الانتباه

من النوم والعمل بالليل ❖

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة
 وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلي الجماعة
 كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم انها سنة وإذا صلى
 المغرب يصلي ركعتي السنة السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع
 الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة
 الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين

الكاتبين اكتبنا في صحيفتي اني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليهما اللهم احطط بها وزري واغفر بهاذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أمانتي وتجاوز عني يا أرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين في مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وان رأي انصرافه إلى منزله وان المواصلة بين العشاءين في بيته اسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص واجمع لهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهكم إله واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر الواقعة ويصلي بعد ذلك ماشاء فان أراد ان يقرأ شيئا من حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وان شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام طالبا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل ان يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير أو آية أخرى في معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففي ذلك جمع اللهم وظنم بالفضل ثم يصلي قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعا أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ في هذه الأربعة سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلي بعد الأربعة إحدى عشرة ركعة يقرأ فيها

(١٧ - عوارف المعارف)

ثلثمائة آية من القرآن من السماء والطارق إلى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون وانما من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم تنفل ماشاء ويوفي آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما باذا زلزلت والهاكم وقيل جعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجيد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النقل لا غير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيةهما وان قرأ في كل ليلة المسبحات وأضاف إليها سورة الأعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يقرؤون هذه السور ويترقبون بركتها فإذا استيقظ من النوم فمن احسن الأدب عند الانتباه ان يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره إلى أمر الله قبل ان يحول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصديق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فليتنظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر ان كان همه الله فهمه هو والافهمه غير الله والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه حائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن بتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فارا إلى ربه بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفي الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الالهية فجدير ان تنصب إليه أقسام الليل انصبا وبسير جناب القرب له مؤثلا ومأبا ويقول باللسان الحمد لله الذي أحيانا بعد ما ماتنا وإليه النشور ويقرأ العشر الاواخر من سورة آل عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية

بقدرها قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما الماء القرآن والأودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ماوسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير اجدر فالما يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالما الظهور يظهر الظاهر والعلم والقرآن يظهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من أثار الطبع وجديران يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى اني خالق بشرا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة عن باطنه وأدميته والادمية مجمع الاخلاق الحميدة كان التراب موطن اقدم إبليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة في طينة الآدمي ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطائه ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمل الظهور أمر شرعى له تأثير في تنوير القلب بازاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذى له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مامست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رأها حكما طبيعيا جالبا للأثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولوان المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في مباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولاً وفعلاً عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبث القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لا يزال بخفة حركته يجلو البصر وما يعقلها الا العاملون فتفكر فيما نهيتك عليه تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان ازيد في تنوير قلبه ولكان الاجدران العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله ويجدد

غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة
 قدم الانابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة
 السمحة ان رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز اداء مفترضات بوضوء
 واحد دفعا للحرج عن عامة الأمة وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم
 تحمك عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الاعلى فاذا قام إلى الصلاة وأراد
 استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا
 ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك
 والملكوت والجبروت والكبرياء العظيمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور
 السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم
 السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن
 أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنادي حق والنبىون حق ومحمد
 عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك
 حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت
 المؤخر لا إله إلا أنت اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكها أنت وليها
 ومولاها اللهم اهديني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها إلا أنت واصرف عني
 سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء
 الفقير الدليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيا يا خير المسؤولين
 ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ولوانهم
 إذ ظلموا أنفسهم الآية وفي الثانية ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
 الله غفورا رحيا ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين
 ان أراد يقرأ فيهما بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين
 طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتشهد هكذا ثم يصلى ركعتين
 طويلتين أقصر من الأولىين وهكذا يتدرج إلى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان
 ركعات أو يزيد على ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

﴿الباب الثامن والأربعون في تقسيم قيام الليل﴾

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل في تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل في تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصاربة العدو (وفي الخبر) عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الأثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وأبوسليمان الداراني علي بن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وأبو حازم ومحمد بن المنكدر وأبو حنيفة رحمه الله وغيرهم عددهم وسماهم بالنسابة الشيخ أبو طالب المسكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الأول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر وينام النصف الأول ويقوم ثلثه وينام السدس (روى) ان داود عليه السلام قال يارب اني أحب ان أتعبد لك فأى وقت أقوم فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فإنه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلي حوائجك ويكون القيام بين نومتين والافيعال النفس من أول الليل ويتنقل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلح وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول (وقد ورد) لا تكابدو الليل (وقيل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليتم (وقال عليه السلام) لا تشادوا هذا الدين فإنه ممتين فمن تشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له ان يطلع الفجر وهو نائم إلا ان يكون قد سبق له في الليل قيام طويل فيعذر في ذلك على انه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام

قليل سبق في الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر فإذا
 استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتم تلك الساعة وكلما صلى بالليل
 يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله ﷺ فإنه يمجّد
 بذلك ترويحاً وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي أول نومة فإن انتهت
 ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عيني (وحي) لى بعض الفقراء عن شيخ له أنه
 كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليل (وقد جاء)
 في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر
 ركعتين (وقيل) في تفسير قوله تعالى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو
 قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة أوتها ونا به لقلّة الاعتماد
 بذلك أو اغتراراً بحاله فليبك عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب
 الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويحذ من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق
 ويرى ان القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين
 والذي له ذلك ينبغي ان يعلم ان استمرار هذه الحالة معتذر والانسان متعرض
 للقصور والتخلف والشبهة ولاحالة أجل من حال رسول الله ﷺ وما استغنى عن
 قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقديقول بعض من يحتاج في ذلك ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم
 ان رؤية الفضيلة في ترك القيام واداء الايواء إلى جناب القرب واستواء النوم
 واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تفيد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في
 العبد والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم
 متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانارأينا من الأصحاب من
 كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور (قيل) للحسن
 يا أبا سعيد اني ابيت معافي وأحب قيام الليل وأعدطه ورى فإبالي لأقوم قال ذنوبك
 قيدتك فليحذر العبد في نهاره ذنوبا تقيدته في ليله (وقال النوري) رحمه الله حرمت
 قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته فليل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت
 في نفسي هذا صراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز ابن وبرة وهو يبكي فقلت ما

بإلك أنك لعمري بعض أهلك فقال أشد فقلت وجمع يؤلمك قال أشد فقلت وماذا
قال بابي معلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذاك إلا بذنب أحدثته
(وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لأن المراعى المتحفظ بحسن تحفظه
وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سدباب الاحتلام ولا يتطرق للاحتلام الا على جاهل
بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله
قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة إذا كان ذاعزيمة
في ترك الوسادة وقد يتهمد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من
لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام وقد يكون ذلك ذنباً بالنسبة إلى
بعض الناس فإذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنباً جالباً للاحتلام فقس على هذا
ذنوب الاحوال فانها تختص باربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق
من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام إذا كان طالماً ذانية يعرف
مداخل الامور ومخارجها وكم من نائم يسبق التائم لو فر علمه وحسن نيته (وفي الخبر)
إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فلن يقعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة
وان توضع انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطاً
طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس (وفي خبر آخر) ان من نام حتى
يصبح بالشيطان في اذنه والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة
اشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو
واللغلط واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه
ولا يهمل فيهمل

﴿الباب التاسع والأربعون في استقبال النهار والأدب فيه والعمل﴾
قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار أجمع المفسرون على ان أحد الطرفين أراد به
الفجر واختلفوا في الطرف الآخر قال قوم أراد به المغرب وقال آخرون صلاة العشاء
وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل
صلاة العشاء ثم ان الله تعالى أخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها وثمرتها وقال
ان الحسنات يذهبن السيئات أى الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات (وروى) ان

أبو اليسر كعب بن عمر والانساري كان يبيع التمر فانت امرأة تبتاع تمرا فقال لها ان
 هذا التمر ليس بمجيد وفي البيت أجود منه فهل لك فيه رغبة قالت نعم فذهب بها
 إلي بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقال له اتق الله فتركها وندم ثم أتى النبي عليه السلام
 وقال يا رسول الله ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شيء مما يفعل الرجال
 بالنساء الا ركبته غير انه لم يجامعها قال عمر بن الخطاب لقد ستر الله عليك لو سترت علي
 نفسك ولم يرد رسول الله ﷺ عليه شيئا وقال انتظر أمر ربي وحضرت صلاة
 العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر فلما فرط أنه جبريل بهذه الآية فقال
 النبي عليه السلام أين أبو اليسر فقال ها أنا ذا يا رسول الله قال شهدت معنا هذه
 الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذاله خاصة
 أولنا طامة فقال بل للناس طامة * فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة
 قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في أول الليل ثم يؤذن
 ان لم يكن اجاب المؤذن ثم يصلي ركعتي الفجر يقرأ في الأولى بعد الفاتحة
 قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد وان أراد قرأ في الأولى قولوا آمنا بالله
 وما أنزل الآية في صورة البقرة وفي الأخرى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول
 ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالى بما تيسر له من العدد وان اقتصر على كلمة أستغفر الله
 لذني سبحان الله بحمد ربي آتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار (ثم يقول)
 اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع
 بها شملي وتلم بها شعبي وترد بها الفتن عني وتصلح بهاديني وتحفظ بها غائبي وترفع
 بها شهادي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها رشدي وتعصمني بها من
 كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف
 كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء
 وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم اني انزل بك حاجتي
 وان قصر رأئي وضعف عملي وافتقرت إلى رحمتك وأسألك يا قاضي الأمور وباشافي
 الصدور كما تحيّر بين البحور ان تحيّرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن
 فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأئي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيته من خير

وعدته أحدا من عبادك أوخير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا راغب إليك فيه
 وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهدين غير ضالين ولا مضلين حربا
 لا أعدائك وسالما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من
 خلقك اللهم هذا الدعاء مني ومنك الاجابة وهذا الجهد عليك التكافل إنا لله
 وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذى الجبل الشديد والأمر
 الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع
 السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحانه من
 تعطف بالعز وقال به سبحانه من لبس الحمد وتكرم به سبحانه الذي لا ينبغي التسبيح
 الاله سبحانه ذى الفضل والنعمة سبحانه ذى الجود والكرم سبحانه الذي أحصى
 كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا
 في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في
 عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا
 من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا ولهذا الدعاء
 أثر كثير ومارأيت أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية
 الصادقين بعضهم بعضا يحفظه والمحافظة عليه منتول عن رسول الله صلوات الله عليه انه كان
 يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد المسجد للصلاة في الجماعة
 ويقول عند خروجه من منزله وقلرب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج
 صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ويقول في الطريق اللهم اني أسألك بحق
 السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة
 خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تمنقذني من النار وان تغفر لي
 ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت (وردى) أبو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال من قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك
 يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضى صلاته وإذا دخل
 المسجد أو دخل سجاده للصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على
 رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويقدم رجله اليميني في

الدخول واليسرى في الخروج من المسجد أو السجادة فسجادة الصوفى بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلى صلاة الصبح في جماعة فإذا سلم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين إسماً إلى آخرها فإذا فرط منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأسمى وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقة اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسد محمد في الأجساد واجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام خينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتها بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسيء بي صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها وما عملت فيه من سيئة فاعف عني انك غفور رحيم ودود رضىت بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلوات الله عليه نبياً اللهم انى أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الأمور وجات الأقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وأعوذ بك ان أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز

جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك وعظمت نعمائك أعوذ بك من شر ما يلج
 في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أعوذ بك من حدة
 الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة اللهم إني
 أعوذ من مباحة المكثرين والازراء على المقلدين وان أنصرظالما أو أخذل مظلوما
 وان أقول في العلم بغير علم أو أعمل في الدين بغير يقين أعوذ بك أن أشرك بك
 وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من
 سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم
 أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن عبدك وعلى عهدك ووعدك
 ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي
 إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا
 وأوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكمرة أصبحنا
 وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار
 وما سكن فيهما لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى
 دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة آيينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين
 اللهم اننا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الخنان المنان بديع السموات والأرض
 ذو الجلال والاكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
 أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت
 الأحياء ووارث الأرض والسماء اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم
 وباسمك الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك
 باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذي إذا دعيت به أجبت به وإذا سئلت به
 أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب
 الدعاء يا لطيفا لما يشاء يا رؤف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال
 والاكرام ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا لهي
 وإله كل شيء إلهها واحدا لا إله إلا أنت اللهم إني أسألك باسمك يا الله الله الله
 الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو

رب العرش الكريم أنت الأول والآخِر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة
 وعلمها كهي عصص حم عسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا أحد يا صمد
 يا ودود يا غفور هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
 لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أعوذ باسمك المكنون
 المحزون المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يادهر ياديهور ياديهار يا أبد
 يا أنزل يا من لم يزل ولا يزال ولا يزول هو ياهو لا إله إلا هو يا من لا هو إلا هو
 يا من لا يعلم ما هو إلا هو يا كان يا كينان ياروح يا كائن قبل كل كون يا كائن
 بعد كل كون يا مكنو نالكل كون أهيا أشرا هيا أدوناي اصبوت يا مجلي عظام الأمور فان
 تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله
 شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
 وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد
 اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم إني
 أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ
 بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم وأعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني
 وقلبي اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر
 والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة
 والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الأقسام
 اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحوِيل عافيتك ومن خِلة نعمتك ومن
 جميع سخطك اللهم إني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله
 عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت
 منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار
 وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسألك
 مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل
 عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلفني إلى نفسي
 طرفة عين وأصلح لي شأني كله يا نور السموات والأرض يا جمال السموات والأرض

يا عماد السموات والأرض يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا صريح
المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين
والمروح عن المغموين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف سوء وأرحم الراحمين وإله
العالمين منزل بك كل حاجة بأرحم الراحمين اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي وأقلني
عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ
بك أن اغتال من تحتي اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلي الخير بناصيتي
واجعل الإسلام منتهى رضائي اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني ذليل فأعزني
اللهم اني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي
فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم
إني أسألك إيمانا يباشر قلبي وبقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي
والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والإكرام اللهم يا عادي المضلين ويا أرحم المذنبين
ومقبل عثرة العائرين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا
مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمر على من تشاء
من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو أنت المصير
يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشته عليه الأصوات ويا من
لا تغلظه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يتبرم بالحاح الملمحين اذقني برد
عقوبك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا
أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت
علام الغيوب اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرّة عين الأب دو مرافقة
نبيك محمد وأسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقرب إلي حبك اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على خلقك أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة
خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد
في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرّة
وفتنة مضلة اللهم أقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ومن طاعتك

ما يدخلني جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف
 الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نحمد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم
 البس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحاً واسكن في نفوسنا من عظمتك
 مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى
 لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وداء
 الشكر بحسن العبادة اللهم إني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر
 الحياة وشر الوفاة وأسألك خيراً ما بينهما أحيى حياة السعداء حياة من تحب بقاءه
 وتوفى وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم
 الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم
 ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت
 وأحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فإنه لا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة
 بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح
 بغير محاسنتك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت
 إليك منه ثم عدت فيه اللهم إني أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به
 اللهم إني أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فقويت بها على معصيتك اللهم
 إني أستغفرك من كل عمل عملته لك نخالطه ما ليس لك اللهم إني أسألك أن تصلي
 على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه وأعوذ بك من
 جوامع الشر وفوائده وخواتمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ
 لنا ما أعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذا كرا لدا كرين ويا شاكرا لسا كرين بذكرك
 ذكروا وبفضلك شكروا يا غياث يا مغيث يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكفني
 إلى نفسي طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فاضيع كلاً في كلاءة الوليد
 ولا تحمل عني وتولني بما تتولى به عبادك الصالحين أنا عبدك وابن عبدك ناصيتي
 بيدك جار في حكمك عدل في قضاؤك نافذ في مشيئتك أن تعذب فأهل ذلك
 أنا وأن ترحم فأهل ذلك أنت فافعل اللهم يا مولاي يا الله يارب ما أنت له أهل
 ولا تفعل اللهم يارب يا الله ما أنا له أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة يا من

لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك يا ربنا
أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة
والعصمة من المعصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإيداع الشكر في النعمة أسألك
حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل
عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن المنقلب إليك اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا جلا ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي ولمن تولدا وارحمهما كما ربياني صغيرا
واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواننا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين ياخير
الغافرين (ولما كان) الداء مخ العبادة أحببنا أن نستوفي من ذلك قسما صالحا
نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ أبو طالب الملكى رحمه الله في
كتاب قوت القلوب وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات
منفردا أو في الجماعة إماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

﴿الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات﴾

فمن ذلك أن يلزم موضعه الذى صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله
إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في
هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجرده أهل المعاملة وأرباب القلوب
وقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى
المفلحون والآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسي والآيتين بعدها وآمن
الرسول والآية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وإن ربكم الله الذى خلق

السموات والأرض إلى المحسنين ولقد جاءكم رسول إلى الآخر وقل ادعوا الله
الأيّتين وآخر الكهف من ان الذين آمنوا وذا النون إذ ذهب مغاضبا إلى خير
الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك إلى آخر السورة
ولقد صدق الله وأول سورة الحديد إلى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو
أنزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله ويتمها مائة بلا إله
إلا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو
من المصحف أو يشتغل بأنواع الأذكار ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور
ونعاس فإن النوم في هذا الوقت مكروه جدا فإن غلبه النوم فليقم في مصلاه
قائما مستقبلا القبلة فإن لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة يتأخر
بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففي ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم
ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله
ونوصى به الطالبين وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان
أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله بهذه
الرقية فقد أحكم بنيانه وتبنتى أوقات النهار جميعا على هذا البناء فاذا قارب طلوع
الشمس يبتدىء بقراءة المسبعات العشر وهي من تعليم الخضر عليه السلام
علمها ابراهيم التيمي وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ وينال بالمداممة
عليها جميع المتفرق في الأذكار والدعوات وهي عشرة أشياء سبعة سبعة الفاتحة
والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي وسبحان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر والصلاة على النبي وآله ويستغفر لنفسه ولو اديه وللمؤمنين
والمؤمنات ويقول سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة
ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حلیم جواد كريم رؤف
رحيم (وروى) ان ابراهيم التيمي لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى في
المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة
وقيل أنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام
الجنة فاذا فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع

الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلى الركعتين وبهاتين الركعتين تبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بمجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يمجّد في باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا إذا كان صادقا والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض الى آخر الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه في يومه وليلته ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما في كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيد بالله تعالى من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجري به الليل والنهار ان ربي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الأوليين اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبحت صرتهنا بعملى وأصبح أمرى بيد غيرى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسيء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم انى أعوذ بك من الذنوب التى تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم ثم يصلى ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمل فى يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الاطلاق والا فلاستخارة التى وردت بها الأخبار هى التى يصلحها أمام كل أمر يريد ويقرأ فى هاتين الركعتين قل يا أيها الكافرون وقول هو الله أحد ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره فى غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل أريده فى هذا اليوم اجعل فيه الخيرة * ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ فى الأولى سورة الواقعة وفى الأخرى سورة الأعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (١٨ - عوارف المعارف)

واجعل حبك أحب الأشياء إلى وخشيتك أخوف الأشياء عندى واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك وإذ أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عيني بعبادتك واجعل طاعتك في كل شئ منى يأرحم الراحمين ثم يصلى بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئاً من حزه من القرآن ثم بعد ذلك ان كان متفرغاً ليس له شغل في الدنيا يتنقل في أنواع العمل في الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وان كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لعياله فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبداً لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين ليقبه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلى ركعتين ليقبه الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن في البيت أحد يسلم أيضاً ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وإن كان متفرغاً فأحسن اشغاله في هذا الوقت إلى الصلاة صلاة الضحى فان كان عليه قضاء صلى صلاته يوم أو يومين أو أكثر وإلا يصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يختم القرآن في الصلاة بين اليوم والليله وإلا فليصل اعداداً من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم والليله مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى (قال) سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلى الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله ﷺ صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس وقيل الضحى إذا ضحيت الاقدام بحر الشمس

وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك حق يقضى مما ندب إليه من زيارة أو عيادة يمضى فيه وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهره وباطنه وقلبا وقلبا وإلا فباطنا وترتيب ذلك انه يصلى مادام منشرا ونفسه مجيبة فان سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة فان مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فان سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فان سئم الذكر يدع ذكر اللسان ويلزم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب ينظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله فان عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوسواس وتزاحم في باطنه حديث النفس فليتم في النوم السلامة وإلا فكثرة حديث النفس تقسى القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز عن ذلك * قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصى حديث النفس والطلب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر في باطنه فيتيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد أن يصلى من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزء من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن (قال سفيان) كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها انه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس يستريح ويصفو النهار لبقيّة النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت طادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تجدد في الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان في أول النهار فيكون للصادق في النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى والدؤب في العمل وينبغي أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبلا القبلة ذا كرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى (وأقم الصلاة طر في النهار) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) قيل قبل

طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر (ومن آناء الليل فصبح)
 أراد العشاء الأخيرة (وأطراف النهار) أراد الظهر والمغرب لأن الظهر صلاة في آخر
 الطرف الأول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار
 الظهر آخر الطرف الأول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة
 والذكر كما استقبل الطرف الأول وقد عاد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل ويصلى
 في أول الزوال قبل السنة والنفر أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصلها رسول الله
 ﷺ وهذه صلاة الزوال قبل الظهر في أول أوقاتها ويحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول
 الوقت بحيث يفتن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء
 فيشرع في صلاة الزوال ويسمع الأذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة
 الظهر فإن وجد في باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع
 إليه ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائدا إلى حالة من التصفاء والذاتتقون
 حلالة المناجاة لا بد أن يجدوا صفو الأنس في الصلاة ويتكبدون بيسير من الاسترسال
 في المباح ويصبر على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة
 والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الأبرار سيئات
 المقربين فلا يدخل الصلاة إلا بعد حل العقد وازهاب الكدر وحل العقد بصدق
 الانابة والاستغفار والتضرع إلى الله تعالى ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل
 والولد إن أن يكون في مجالسته غير راكن اليهم كل الركون بل يسترق القلب في ذلك
 انظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة إلا أن يكون قوى الحال
 لا يحجبه الخلق عن الحق فلا يعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة لا يجدها
 ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه
 منغمرا بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهرة ناظره إلى الخلق وعين قلبه
 مطالعة للحضرة الالهية فلا يعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال التي ذكرناها تحل
 العقد وتهيء الباطن لصلاة الظهر فيقرأ في صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة في
 النهار الطويل وفي القصير ما يتيسر من ذلك قال الله تعالى (وعشيا وحين تظهرون)
 وهذا هو الاظهار فإن انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض وقرأ الدعاء الذي بين

الفریضة والسنة من صلاة الفجر فحسن وكذلك ماورد أن رسول الله ﷺ دعا به إلى صلاة الفجر ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحى بين الظهر والعصر كما يحى بين العشاءين على الترتيب الذي ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو أحبه بين الظهر والعصر بركتين يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحى هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان صائما وإن لم يكن صائما فأى وقت تغير فيه الفهم وفي الحديث السواك مطهرة للفهم مرضاة للرب وعند القيام إلى المفرائض يستحب (قيل) ان الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الأولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا إلى السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان الآية (ثم) ربنا آمنابما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاعفر لنا (ثم) فاطر السموات والأرض أنت ولي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن الآية (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا إله إلا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على (الآية) من سورة الأحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين آمنوا والذين آمنوا من قبلنا والمؤمنين والمؤمنات والمؤمنات المؤمنين والمؤمنات ولا ترد الظالمين إلا تبارا مهما يصل

فليقرأ بهذه الآيات وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة موافقاً للقلب واللسان يوشك أن يرقى إلى مقام الاحسان ولو ردد فرداً آية من هذه في ركعتين من الظهر أو العصر كان في جميع الوقت مناجياً لمولاه وداعياً وتالياً ومصلياً والدؤب في العمل واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى ومتى بقي على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه في العمل بل ينشط وقتاً ويسأم وقتاً ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا وإذا صح في الزهد والتقوى فإن ترك العمل بالجوارح لا يفتقر عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستحلاء الدؤب في العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن تزول متابعتة والنبي عليه السلام ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعتة فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فإنه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعاً للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر إليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل إلا في الدنيا * ثم يصلي العبد قبل العصر أربع ركعات فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ في الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة والهالك ويصلي العصر ويجعل من قراءته في بعض الأيام والسماء ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والدعاء وما يتيسر له من ذلك فإذا صلى العصر ذهب وقت التنقل بالصلاة وبقي وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهد في الدنيا ويسدد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المريدين فإذا صححت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الأذكار وإن عدمت هذه المجالسة وتعدرت فليتروح بالتنقل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه في هذا

الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه في أول النهار ولا يخرج من المنزل إلا وهو على
الوضوء وكره جمع من العلماء تحمية الطهارة بعد صلاة العصر واجازة المشايخ والصالحون
ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ماشاء الله حسبي الله لا قوة إلا بالله اللهم إليك
خرجت وأنت أخرجتني وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ولا يدع أن يتصدق كل يوم بما
يتيسره ولو تمر أو لقمة فإن القليل بحسن النية كثير * وروى أن عائشة رضي الله عنها
أعطت السائل عنبية واحدة وقالت ان فيها لمثاقيل ذر كثير * وجاء في الخبر كل امرئ
يوم القيامة تحت ظل صدقته ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله
ﷺ ان من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة
ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدا
بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين
فقد ورد ان من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه
أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق
المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله
إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ومائة مرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض
الفقراء من المغرب بمكة وله سبحة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يديرها
كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر (ونقل) عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده
بين اليوم والليله ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم
والليله وليقل مائة مرة بين اليوم والليله هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان
الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن
عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان (روى) ان بعض
الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليله هذا التسبيح فقال من الذي أسمع
صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى
بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهلهيائيل فقلت ما ثواب هذا

التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يممت حتى يري مقعده من الجنة أو يري له (وروى)
 ان عثمان رضی الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات
 والأرض) فقال سألتني عن شيء عظيم ماسألني غيرك هو لا إله إلا الله والله أكبر
 وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل وأستغفر الله الأول الآخر
 الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا
 حين يصبح وحين يمسي أعطى ست خصال فأول خصلة أن يحرس من ابليس وجنوده
 الثانية أن يعطى قنطارا من الأجر الثالثة يرفع له درجة في الجنة الرابعة يزوجه الله من
 الحور العين الخامسة ائنا عشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له من الأجر كمن
 حج واعتمر ويقول أيضا في هذا الوقت وفي أول النهار اللهم أنت خلقتني وأنت تهديتني
 وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميئني وأنت تحيييني أنت ربّي لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ويقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة
 من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله ويقول حسبي الله
 لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء
 والطهارة ويقرأ المسبوعات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار بحيث تغيب
 الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضا والشمس والليل
 والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى (وهو الذي جعل
 الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) فكما ان الليل يعقب
 النهار والنهار يعقب الليل ينبغي أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب
 أحدهما الآخر ولا يتخللها شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء والذكر
 جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالى (اعملوا آل داود
 شكرا) والله الموفق والمعين

❖ الباب الحادى والخسون في آداب المرید مع الشيخ ❖

أدب المریدین مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم في ذلك اقتداء
 برسول الله ﷺ وأصحابه وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي
 الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع علم روى عن عبد الله ابن الزبير قال قدم وفد

على رسول الله ﷺ من بنى تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل
 أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك
 فتباريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية قال ابن عباس
 رضى الله عنهما لا تقدموا لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون
 قبل رسول الله ﷺ فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ وقيل كان قوم
 يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عائشة رضى الله عنها أى
 لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الكلبي لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل
 حتى يكون هو الذى يأمركم به وهكذا أدب المرید مع الشيخ أن يكون مساوب
 الاختيار لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا
 المعنى فى باب المشيخة وقيل لا تقدموا الا تمشوا بين يدي رسول الله ﷺ وروى
 أبو الدرداء قال كنت أمشى امام أبي بكر فقال لى رسول الله ﷺ تمشى امام من
 هو خير منك فى الدنيا والآخرة وقيل نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس
 رسول الله ﷺ فاذا سئل الرسول عليه السلام عن شىء خاضوا فيه وتقدموا
 بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المرید فى مجلس الشيخ ينبغى ان يلزم
 السكوت ولا يقول شىئا بمحضته من كلام حسن الا إذا استامر الشيخ ووجد من
 الشيخ فسحة له فى ذلك وشان المرید فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل
 بحر ينتظر رزقا يساق إليه فتطلعه إلى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ
 يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه إلى القول يردده عن مقام
 الطلب والاستزادة إلى مقام اثبات شىء لنفسه وذلك جنابة المرید وينبغى أن يكون
 تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج
 إلى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد لأن الشيخ يكون مستنظما
 نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقى لهم
 فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذ من إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين
 المحتاجين إلى ما يفتح به عليه لأن الشيخ يعلم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله
 والقول كالبذر يقع فى الأرض فاذا كان البذر فاسدا لا ينبت وفساد الكلمة

بدخول الهوى فيها فالشيخ ينتق بذرا الكلام عن شوب الهوى ويسلمه إلى الله ويسأل
 الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين
 أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون
 الشيخ في الالهام وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ ممتد
 برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس في القول
 بشيئين أحدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إليه وما هذا من شأن
 الشيوخ والشاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند
 المحققين والشيخ فيما يجرى على لسانه راقد النفس تشغله مطالعة نعم الحق في ذلك
 فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب فيكون الشيخ لما يجرى
 به الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعا كأحد المستمعين (وكان) الشيخ أبو السعود
 رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقى إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع
 كأحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول
 كيف يكون كمستمع لا يعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته في المنام
 كأن قائلا يقول له أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف
 في مخلاته والدر قد حصل معه لكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في
 رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب المرید
 مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولا
 وفعلا (وقيل أيضا) في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة
 وراء منزلته وهذا من محاسن الآداب وأعزها وينبغي للمرید ان لا يحدث نفسه
 بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة طالية ويتمنى للشيخ
 عزيز المنبج وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المرید في حسن الإرادة وهذا
 يعز في المریدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بأداب
 الإرادة قال السري رحمه الله حسن الأدب ترجمان العقل وقال أبو عبد الله بن
 حنيف قال لي رويم يابني اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا * وقيل التصوف كله
 أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الأدب

يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومرود
 من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله
 تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) كان ثابت بن قيس ابن شماس في
 أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم إنسانا جهر بصوته وربما كان
 يكلم النبي ﷺ فيمتأذي بصوته فأنزل الله تعالى الآية تأديبا له ولغيره (أخبرنا)
 ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر
 الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى
 الترمذي قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا مؤمل بن اسمعيل قال حدثنا نافع
 ابن عمر بن جميل الجمحي قال حدثني حابس بن أبي مليكة قال حدثني عبد الله
 ابن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ﷺ فقال أبو بكر استعمله على
 قومه فقال عمر لا تستعمله يارسول الله فتكلمها عند النبي ﷺ حتى علت
 أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافاك
 فأنزل الله تعالى الآية فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لا يسمع
 كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية آلى أبو بكر أن لا يتكلم عند النبي ﷺ الا
 كاخ السرار فهكذا ينبغي أن يكون المرید مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت
 وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية جلبات
 القلب الوقار والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وقد ينزل باطن بعض
 المریدین من الحرمة والوقار من الشيخ مالا يستطيع المرید أن يشبع النظر إلي
 الشيخ وقد كنت أحم فيدخل على عمي وشيخي أبو النجيب السهروردي رحمه
 الله فيترشح جسدي عرقا وكنت أتمنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند
 دخول الشيخ على ويكون في قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم في البيت
 خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمي على المنديل
 اتفاقا فتألم باطني من ذلك وهالني الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من
 باطني من الاحترام ما أرجو بركته (قال ابن عطاء) في قوله تعالى لا ترفعوا
 أصواتكم زجر عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة وقال

سهل في ذلك لا تخاطبوه إلا مستفهمين (وقال) أبو بكر بن طاهر لا تبدؤوه
 الخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض
 أى لا تغلطوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادى بعضهم بعضا ولكن
 فخموه واحترموه وقولوا له يا نبي الله يا رسول الله ومن هذا القبيل يكون الخطاب
 المراد مع الشيخ وإذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس
 بمحبة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان
 عبارات غريبة وهي تحت وقتها صاغها كلف النفس وهوها فإذا امتلأ القلب
 حرمة ووقار يعلم اللسان العبارة (وروى) لما نزلت هذه الآية فعد ثابت بن قيس في
 الطريق يبكي فر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف
 أن تكون نزلت في أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وأنا رفيع الصوت على
 النبي صلوات الله وسلامته عليه أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله
صلوات الله وسلامته عليه وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها
 إذا دخلت بيت فرسى فسدى على الضبة بمسما فرضبته بمسما حتى إذا خرجت عطفته
 وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلوات الله وسلامته عليه فلما أتى عاصم النبي
 وأخبره بنخبره فقال اذهب فادع عاصم إلى المسكن الذي رآه فلم يجده فجاء إلى
 أهله فوجداه في بيت الفرس فقال له إن رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا
 رسول الله صلوات الله وسلامته عليه فقال رسول الله صلوات الله وسلامته عليه ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأخاف
 أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل
 شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا
 على رسول الله فأنزل الله تعالى (إن الذين يعصون أصواتهم عند رسول الله) قال أنس
 كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيما
 وأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهمزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء وما
 يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلوات الله وسلامته عليه
 مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا تقاتلان حتى قتلوا واستشهدا ثابت كما وعد رسول الله صلوات الله وسلامته عليه
 وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم أن فلانا رجلا من

المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس يستن فى طيله
وقد وضع على درعى برمة فات خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وأت أبابكر
خليفة رسول الله عليه السلام فقل له إن على ديننا حتى يقضى عنى وفلان من عبيدى
عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر
خالدا أبابكر بتلك الرؤيا فأجاز أبوبكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم
وصية أجزت بعمدوت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه
وأدبه مع رسول الله ﷺ فليعتبر المرید الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من
الله ورسوله وأن الذى يعتمد عليه مع الشيخ عوض ما لو كان فى زمن رسول الله ﷺ
واعتمده مع رسول الله ﷺ فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحقى عن حالهم
وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أى اختبر قلوبهم وأخلصها
كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكما أن اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ
لتأدب القلب فهكذا ينبغي أن يكون المرید مع الشيخ (قال أبو عثمان) الأدب عند
الأكابرو فى مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير فى
الأولى والعقبى ألا ترى إلى قول الله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان
خير لهم) ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون) وكان هذا الحال من وفد بنى تميم جاؤا إلى رسول الله ﷺ
فنادوا يا محمد أخرج إلينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله ﷺ فخرج
إليهم وهو يقول إنما ذلكم الله الذى ذمه شين ومدحه زين فى قصة طويلة وكانوا أتوا
بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة وفى
هذا تأدب للمرید فى الدخول على الشيخ والأقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره
إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته * سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان
إذا جاء إليه فقير زائر يخبر بالفقر فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم
عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء
يخرج ويجلس معه فيخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه
إلى الفقير فانهى ما خطر للفقير إلى الشيخ فقال الفقير رابطنا معه رابطة قلبية

وهو أهل وليس عنده أجنبية فتكتفى به بموافقة القلوب وتفتح بها عن ملاقاته
الظاهر بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات
والظاهر فتم لم يعرف حقه من الظاهر استوحش خلق المرید عمارة الظاهر والباطن
بالأدب مع الشيخ (قيل) لأبي منصور المغربي كم صحبت أبا عثمان قال خدمته
لا صحبته فالصحبة مع الاخوان والأقران ومع المشايخ الخدمة وينبغي للمرید
أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما
السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرها
يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المرید لقلته علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ
فلاشيخ في كل شيء عنذر بلسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد
مسألة من الجنيد فأجاب الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك
الأدب وقيل من قال لأستاذه لا لا يفلح أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا هناد
عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلواته
اتركوني ما تركتكم وإذا حدثتكم فخذوا مني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال) الجنيد رحمه الله رأيت مع أبي حفص
النيسابوري انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لأصحابه من هذا فقبل لي هذا
انسانا يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد اتفق عليه مائة ألف درهم كانت له
واستدان مائة ألف أخرى اتفقها عليه ما يسوغ له أبي حفص أن يتكلم بكلمة
واحدة وقال أبو زيد البسطامي صحبت أبا علي السندي فكنت ألقنه ما يقيم به
فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا * وقال أبو عثمان صحبت أبا حفص
وأنا غلام حدث فطر دني وقال لا تجلس عندي فلم أجعل مكافأتي له على كلامه
ان أولى ظهري إليه فأنصرفت أمشي إلي خلف ووجهي مقابل له حتى غبت عنه
واعتمدت أن أحفر لنفسي بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا

بأذنه فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله * ومن آدابهم الظاهرة ان المرید لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فان المرید من شأنه التبتل للخدمة وفي السجادة ايماء إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ تملك المرید عن الاسترسال في السماع وتقيدته واستغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجح له من الاصغاء الى السماع ومن الأدب أن لا يتم عن الشيخ شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة ويكشف للشيخ عن حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحى من كشفه يذكره ايماء وتعريضاً فان المرید متى انطوي ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحاً أو تعويضاً يصير على باطنه منه عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الأدب أن لا يدخل في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المرید تطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ اليه فان المرید كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة والتألف هو الوسطة بين المرید والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمرید حال الشيخ أو بعض حاله (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا أنس بن أسلم قال حدثنا عتبة بن رزين عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له أن لا يخذله ولا يستأثر عليه فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرا الاسلام ومن الأدب أن يراعى خطرات الشيخ في جزئيات الأمور وكلياتها ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حر كاته معتمداً على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال) ابراهيم بن شيبان كنا نصحب أبا عبد الله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا في البراري والقفلات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين

سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ نتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان * ومن أدب المرید مع الشيخ أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر فان كان واقعة المرید من الله تعالى يوافقه الشيخ ويمضيها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المرید علماً بصحة الوقائع والكشوف فالمرید لعله في واقعته يخامرهم كمون ارادة في النفس فيتشبك كمون الارادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المرید باستئصال شافة الكامن في النفس وإذا ذكره للشيخ فما في المرید من كمون ارادة النفس مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كمون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المرید ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ايوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الأدب مع الشيخ ان المرید إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكاملة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكما ان للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني أمام مناجاتكم * قال عبد الله ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة فأدبهم الله تعالى وطمعهم عن ذلك وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويغلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلا أنهم لم يجدوا شيئاً وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى أشفقتم أن تقدموا بين يدي
 نجواكم صدقات وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة لم ينجح رسول الله ﷺ إلا على
 ابن أبي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد
 قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وروى أن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية دعا عليا
 وقال ماترى في الصدقة كم تكون دينارا قال على لا يطيقونه قال كم قال على تكون
 حبة أو شعيرة فقال رسول الله ﷺ انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية
 وما نبه الحق عليه بالأمر بالصدقة وما فيه من حسن الأدب وتقييد اللفظ
 والاحترام مانسوخ والفائدة باقية (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان
 قال أنا أبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا
 مطلب بن شعيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن
 عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من لم يجل كبيرا
 ويرحم صغيرا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك
 خذلان وعقوق

الباب الثاني والخمسون في آداب الشيخ وما يعتمد به مع الأصحاب والتلامذة
 أهم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم
 بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فإذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه
 المرادين والمسترشدين بمحسن الظن وصدق الإرادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء
 وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة وفي الخمول
 السلامة فإذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد
 بالارشاد والتعليم للمرادين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه
 في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى في معناه
 ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المرید بالكلمة إلا وقلبه
 ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا
 أبا النجيب السهروردي رحمه الله يوصي بعض أصحابه ويقول لا تكلم أحدا من الفقراء

إلا في أصنى أوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المرید الصادق كالحبة تقع في الأرض وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فبند الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغي أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما ان اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا إلى الله مصغيا إليه متلقيا ما يرد عليه مؤديا للامانة فيه ثم ينبغي للشيخ أن يعتبر حال المرید ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما يتأتى منه ومن صلاحته واستعداده فمن المریدین من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوال وطريق الأبرار ومن المریدین من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الأبرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب أن الصحر اوى يعلم الاراضى والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها وما يأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المرید وما يصلح له وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كاصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما في رتبة الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحججة وايضاح الحججة يدعو على الاطلاق ولا يخص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها ان استدامة الخلطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يأخذ منه وانه غير محتاج إلى الخلوة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصلحها ويدوم عليها وأوقات يخلو فيها فطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك أوكثر لطف ذلك أوكشف وكمن مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة

قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخاللطالين بلقمة تؤكل عنده
وبرفتي يوجد منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين
فافتتن وافتن وبقي في حطة القصور ووقع في دائرة الفتور فما يستغنى الشيخ عن
الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه ان لم يكن بقلبه وقلبه فيكون له
في كل كلمة إلى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وإنما دخلت الفتنة
على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلّة معرفتهم
بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تادبهم بالشيخ كان الجنيد
رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لي أفضل من جلوسى معكم ماجلست
عندكم فاذا رأى الفضل في الخلوّة يخلو وإذا رأى الفضل في الجلوة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوته في حماية خلوته وجلوته مزبدا لخلوته وفي هذا سر وذلك
ان الآدمي ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما أسلفنا من كونه مترددا بين
السفلى والعلوى ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق
ولهذا كان لكل قافل فترة والفترة قد تكون تارة في صورة العمل وتارة في عدم
الروح في العمل وان لم تكن في صورة العمل ففي وقت الفترة المرادين والسالكين
تضييع واسترواح للنفس وركون إلى البطالة فن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم
فترته إلى الخلق فافلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه في حق
المرادين فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الاقبال على الله
والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود إلى أوطان خلوته وخاص
حاله بنفس مشرّبة أكثر من عود الفقير بحمة إرادته من فترته فيعود من الخلق
إلى الخلوّة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح متخلصة عن مضيق
مطالعة الاغيار قادمة بحمة شغفها إلى دار القرار * ومن وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الارادة والطلب والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم
للمشايخ واستعماله التواضع (حكى) الرقي قال كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة
من الفقراء جلوسا فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من
صلاته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا أولى بهذا

من الشيخ فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بان أحترم وأقصد * ومن آداب الشيوخ النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم (قال بعضهم) إذا رأيت الفقير الفقه بارفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنس والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم * ومن آداب الشيوخ التعطف على الأصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على آرائهم وصدقهم قال بعضهم لا تضع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة (وحكى) عن الجريري قال وافيت من الحج فابتدأت بالجنيذ وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم أتيت منزلي فلما صليت الغداة التفت وإذا بالجنيذ خلفي فقلت ياسيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى ههنا فقال لي يا أبجد هذا حقك وذاك فضلك * ومن آداب الشيوخ انهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة ان يرفقوا به ويوقعوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتخطى حريم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرج في لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزيمة (قال أبو سعيد بن الأعرابي) كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لايه نعمة فانقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسي فرما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب ان يرفق به ونؤثره على غيره * ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء لله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا لوجه الله تعالى فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات (وقد ورد) ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبيته في الناس وقد قال الله تعالى تنبيهها على خلوص ماله وحراسته من الشوائب إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغي للشيخ أن يطلب على صدقته جزاء الا أن يظهر له في شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى في قبول الرفق منه أو صلاح يتراءى للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد

مأمونة الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم
ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معنى يحفكم أى يجهدكم ويلج
عليكم قال قتادة علم الله تعالى ان فى خروج المال اخراج الاضغان وهذا تأديب
من الله الكريم والأدب أدب الله * قال جعفر الخلدى جاء رجل إلى الجنيد وأراد
أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج من مالك كله
احبس منه مقدار ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد فى طلب
الحلال لا تخرج كل ما عندك فلست امن عليك ان تطالبك نفسك * وكان النبي
عليه السلام إذا أراد أن يعمل عملا تثبت وقديكون الشيخ يعلم من حال المرید انه
إذا خرج من الشىء يكسبه من الحال ما لا يتطلع به إلى المال فيتمد يجوز له ان يفسح
للمريد فى الخروج من المال كما فسح رسول الله ﷺ لابي بكر وقبل منه جميع ماله
(ومن آداب الشيخ) إذا رأى من بعض المریدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا
أو أحس منه بدعوى أو رأى انه داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع
الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل
بذلك الفائدة لكل فهذا أقرب إلى المدارة وأكثر أثر التالف القلوب وإذا رأى
من المرید تقصير فى خدمة ندمه إليها تحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة
بالرفق واللين وإلى ذلك نذب رسول الله ﷺ فيما أخبرنا ضياء الدين عبدالوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح الكروخى قراءة عليه قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد
الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا
رشدين بن سعد عن أبي هلال الخولانى عن ابن عباس بن جليد الخجورى عن عبد الله
ابن عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال
كل يوم سبعين مرة * وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته فى كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب
(ومن جملة مهام الآداب) حفظ اسرار المریدين فيما يكتشفون به ويمنعون من
أنواع المنح فسر المرید لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المرید ما يجده
فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شىء من خوارق العادات ويعرفه أن

الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه
 نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شأن المرید طلب المنعم لا النعمة
 حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذا اذاع الأسرار من
 ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لا ذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء
 العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكتاتهما
 تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالي وكل المعطية باظهار ما عندها
 ما ظهرت الأسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل
 حتى يضعها في مواضعها فيجبل حال الشيوخ من اذاعة الأسرار لرزاة عقولهم
 وينبغي للمرید أن يحفظ سره من بثه ففي ذلك صحته وسلامته وتأيد الله سبحانه
 وتعالى له بتدارك المریدين الصادقين في مورد هم ومصدرهم

﴿ الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحبة ﴾

وما فيها من الخير والشر ﴿

المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الأوصاف وقد يدعو اليها
 أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم إلى بعض
 والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك
 كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض فاذا
 علم هذا الأصل وان الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص
 أخرى فليتنفقد الانسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذي يميل به
 إلى صحبته ويزن أحوال من يميل اليه بميزان الشرع فان رأى أحواله مسددة
 فليشير نفسه بحسن الحال فقد جعل الله تعالي مرآة مجلوة يلوح له في مرآة
 أخيه جمال حسن الحال وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلي نفسه باللائمة
 والالتهام فقد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله فبالجدير أن يفر منه كفراره من
 الأسد فانهما إذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ثم إذا علم من صاحبه الذي مال
 اليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك في مرآة أخيه فليعلم ان
 الميل بالوصف الأعم مركز في جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه أحكام وللنفس

بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الأعم جدوى الميل بالوصف الأخص
ويصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين
خلوص الصحبة لله الا العلماء الواهدون وقد يفسد المرید الصادق بأهل الصلاح
أكثر مما يفسد بأهل الفساد ووجه ذلك ان أهل الفساد علم فساد طريقهم
فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فقال اليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل
بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتمب
من طريقهم الفتور في الطلب عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ
من الصحبة أصفى الأقسام ويذر منها ما يفسد في وجهه المرام قال بعضهم هل رأيت
شرا قط الا ممن تعرف ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا
الفضيلة في العزلة والوحدة كابراهيم بن أدحم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان
الخواص (وحكى) عنه أنه قيل له جاء ابراهيم بن أدحم أما تلقاه قال لأن ألقى سبعاً
ضارياً أحب إلي من أن ألقى ابراهيم بن أدحم قال لأنني إذا رأيت أحسن له كلامي
وأظهر نفسى باظهار أحسن أحوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها
وهذا واقع بين المتصاحبين الا من عصمه الله تعالى (أخبرنا) الشيخ الثقة
أبو الفتح محمد بن عبد الباقي اجازة قال أنا الحافظ أبو بكر محمد بن احمد قال أنا أبو القاسم
اسماعيل بن مسعدة قال أنا أبو عمرو محمد بن عبد الله بن احمد قال أنا أبو سليمان احمد
ابن محمد الخطابي قال أنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق قال حدثنا سليمان بن الأشعث قال
حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعاب
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن قال الله تعالى اخبارا عن خليفه ابراهيم
(وأعترلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى) استظهر بالعزلة على قومه
(قيل) العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة عزلة
الفضول وأهله ويجوز أن يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الاغيار والعزلة من
النفوس وتدعو اليه وما يشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود
قال أبو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة إلا بالخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا

وما سلم إلا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصمت وواحدة في العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليلزم الأصل ولا يخالف الا بقدر الحاجة وإذا خالط لا يخالف إلا بحجة وإذا خالط يلزم الصمت فانه أصل والكلام عارض ولا يتكلم إلا بحجة فخطر الصحبة كثير محتاج العبد فيه إلى مزيد علم والأخبار والآثار في التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة والكتب بها مشحونة وأجمع الأخبار في ذلك ما أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح باسناده السابق إلى أبي سليمان قال حدثنا أحمد بن سلمان النجاد قال حدثنا محمد بن يونس الكرمي قال حدثنا محمد بن منصور الجشمي قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا السري بن يحيى عن الحسن بن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شأق إلى شأق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزوج قال انه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة * وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله ورأوا ان الله تعالى من على أهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال سبحانه وتعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقد اختار الصحبة والاخوة في الله تعالى سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرها وفائدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض (قيل) أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطريق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالايمان ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتنقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتنفق في التوجه إلى الرفيق الأعلى ويصير مثالها

في الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام * ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ المؤمن كثير بأخيه وقال الله تعالى مخبرا عن لاصديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم في الأصل الهميم إلا انه أبدلت الهاء بالحاء لقرب خرجهما إذ هما من حروف الخلق والهميم مأخوذ من الاهتمام أى يهتم بأمر أخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة وقال عمر إذا رأى أحداً ودأ من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقد قال القائل

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال يداود مالى أراك منتبذ وحدك قال إلهى قلت الخلق من أجلك فأوحى الله اليه يداود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسى قلبك ويباعدك منى وقد ورد في الخبر ان أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون فالؤمن آلف مأوف وفى هذا دقيقة وهى أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفاً مأوفاً فان هذه الاشارة من رسول الله ﷺ الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل فى كل من كان أتم معرفة و يقينا وأرزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس حظا من هذا الوصف الأنبياء ثم الأولياء وأتم الجميع فى هذا نبينا صلوات الله عليه وكل من كان من الأنبياء أتم ألفة كان أكثر تبعا ونبينا ﷺ كان أكثرهم ألفة وأكثرهم تبعا وقال تنا كجوا تكثروا فاني مكاثر بكم الأيام يوم القيامة * وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله ﷺ فقال (ولو كنت فظا غليظ القلب لا تقضوا من حولك) وانما طلب العزلة مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر فى الابتداء ولهذا المعنى حجب إلى رسول الله ﷺ الخلوة فى أول أمره وكما يخلو فى غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفاً مأوفاً وقد غلط فى هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا فى أول الباب ان فى الانسان ميلا الى الجنس بالوصف الأعم فلما علم الخذاق ذلك ألهمهم الله تعالى محبة الخلوة

والعزلة لتصنيفية النفس عن الميل بالوصف الأعم لترتقي المهمم العالية عن ميل الطباع
الي تألف الأرواح فاذا وفوا التصنيفية حققها اشترأت الأرواح إلى جنسها بالتألف
الأصلي الأولي وأحاديها الله تعالى الى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس
الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفة الجبلة من الألفة المكتملة آلفة مألوفة
فصارت العزلة من أهم الأمور عند من يألف فيؤلف ومن أدل الدليل على ان الذي
اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وذم العزلة على الاطلاق
من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحبة
مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف
من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله منه فرجا وكان بشر بن الحرث يقول إذا
قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالأنيس يهيمه الله للصادقين رفقا من الله
تعالى وثوابا للعبد معجلا والأنيس قد يكون مفيدا كالمشايع وقد يكون مستقيدا
كالمريدين فصحيح الخلووة والعزلة لا يترك من غير أنيس فان كان قاصري يؤنسه الله بمن يتم
حاله به وان كان غير قاصري يقبض الله تعالى له من يؤنسه من المريدين وهذا الأنس ليس فيه
ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفي الله (روي) عبد الله بن مسعود عن رسول الله
ﷺ قال المتحابون في الله على عمود من يقوته حمراء في رأس العمود سبعون ألف
غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسبهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل
الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الي المتحابين في الله عز وجل فاذا اشرفوا
عليهم أضواء حسبهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس
خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل وقال أبو ادريس الخولاني
لمعاذ اني أحبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول
ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر
يقزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ف قيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله عز وجل
(روي) عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال يقول الله عز وجل حقت محبتي
للمتحابين في والمتبادلين في والمتصادين في (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد

ابن عبد الباقي اجازة قال أنا احمد بن الحسين بن خيرون قال أنا أبو عبد الله احمد
ابن عبد الله المحاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلام قال أنا
أبو اسحق ابراهيم بن اسحق الحرابي قال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد
ابن المسيب ان رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة
والصدقة قالوا وما هو قال اصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فانها هي الخائفة
وباسناد ابراهيم الحرابي عن عبيد الله بن عمر عن أبي أسامة عن عبد الله بن الوليد
عن عمران بن رباح قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت أبا هريرة يقول الخبر وفي
الخبر تحذير عن البغضة وهو أن يحقوا المحتلى الناس مقتاهم وسوء ظن بهم
وهذا خطأ وإنما يريد أن يخلو متنا لنفسه وعلمها بما في نفسه من الآفات وحذرا
على نفسه من نفسه وعلى الخلق أن يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا
الوصف لا يدخل تحت هذا الوعيد والاشارة بالخائفة يعني ان البغضة حائقة
للدن لأنه نظر إلى المؤمنين والمسلمين بعين المقت (وأخبرنا) الشيخ أبو الفتح
باسناده إلى ابراهيم الحرابي قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا أبو عاصم
عن ثور عن خالد بن معدان قال ان لله تعالى ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج
وان من دعائه اللهم فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ
النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وكيف لا تتألف
قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله ﷺ في وقته العزيز بقاب قوسيين في
وقت لا يسهه فيه شيء للطف حال الصالحين وجدتم في ذلك المقام العزيز وقال
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبهم
لازمة وعزيمتهم في التواصل في الدنيا والآخرة جازمة * وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله
ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك (أخبرنا) رضي الدين احمد بن اسمعيل بن يوسف اجازة
ان لم يكن سماعا قال أنا أبو المظفر عن والده أبي القاسم القشيري قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر التماساني
يقول اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم

بركة صحبتهم إلى صحبة الله (وأخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا
عمر بن احمد الصفار النيسابوري اجازة قال أنا أبو بكر احمد بن خلف قال أنا
أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الاصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد
يقول سمعت علي بن سهل يقول الأانس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق الا من
أهل ولاية الله فان الأانس بأهل ولاية الله هو الأانس بالله وقد نبه (القائل)
نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة وفائدتهما وما يحذر فيهما بقوله

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

﴿الباب الرابع والخمسون في أدب حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى﴾

قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا
بالمرحة) وقال في وصف أصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار رحماء بينهم
وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصحبة فمن اختار
صحبة أو اخوة فادبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء
والتضرع ويسأل البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة
وإما بابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة
قال الله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقيل إن أحد الاخوين
في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى
يعطى أخوه مثل منزله فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل على
وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أخوه إلى درجته وإن فتح الله تعالى عليهما
بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتنا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) وإن كانت
الآية وردت في قصة مشهورة ولكن الله تعالى نبه بذلك عباده على الحذر من كل
خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا من غير نية في ذلك وتثبت في
أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار وقد قال
عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس فالفساد

بالصحبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر في أوله ويحكم الأمر
 فيه بكثره اللجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والحيرة في ذلك
 وتقديم صلاة الاستخارة ثم إن اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج إلي
 النية وإلى حسن الخاتمة وقد قال عليه الصلاة والسلام في الخبر الطويل سبعة يظلمهم
 الله تعالى فمنهم اثنان تحابا في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه اشارة إلى أن الاخوة
 والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة ومتى أفسد
 المؤاخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الأول (قيل) ما حسد الشيطان
 متعاونين على بر حسده متآخين في الله متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويبحث قبيله
 على افساد ما بينهما (وكان) الفضيل يقول إذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة
 والاخوة في الله تعالى مواجهة قال الله تعالى (اخوانا على سرر متقابلين) ومتى أضمر
 أحدهما للآخر سوا أو كره منه شيئا ولم ينبهه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى إزالته
 منه فما واجهه بل استدره (قال الجنيد) رحمه الله ماتوا أخى اثنان في الله واستوحش
 أحدهما من صاحبه إلا لعلة في أحدهما فالمؤاخاة في الله أصفى من الماء الزلال وما كان
 لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام والأصل في دوام صفائه عدم الخلفة قال
 رسول الله ﷺ لا تمارأك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه (قال أبو سعيد
 الخراز) صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقيل له وكيف ذلك
 قال لأنني كنت معهم على نفسي (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي اجازة قال
 أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي
 قال سمعت عبد الله الداراني قال سمعت أبا عمرو والدمشقي الرازي يقول سمعت أبا عبد
 الله بن الجلاء يقول وقد سأله رجل على أي شرط أصبح الخلق فقال إن لم تبرهم فلا
 تؤذهم وإن لم تسرهم فلا تسؤهم (وبهذا الاسناد) قال أبو عبد الله لا تضيع حق أخيك
 بما بينك وبينه من المودة والصدقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها
 إلا من لم يراع حقوق الله عليه ومن حقوق الصحبة إنه إذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر
 أخاه إلا بخير (قيل) كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكرهه فكان يقال له
 استخبارا عن حالها فيقول لا ينبغي للرجل أن يقول في أهله إلا خيرا ففارقها وطلقها

فاستخبر عن ذلك فقال امرأة بعدت عني وليست مني في شيء كيف أذكرها وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى أنه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح وإذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أو لا يختلف القول في ذلك كان أبو ذر يقول إذا انقلب عما كان عليه أبغضه من حيث أحببته وقال غيره لا يبغض إلا بعد الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فان عصوك فقل إني بريء بما تعملون) ولم يقل إني بريء منكم (وقيل) كان شاب يلزم مجالس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه فقيل له لو أبعدته وهجرته فقال سبحانه الله لا يترك الصاحب بشيء كان منه (قيل) الصداقة لحة كحكمة النسب (وقيل) الحكيم مرة أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديق وهذا الخلاف في المفارقة ظاهرا وباطنا وأما الملازمة باطنا إذا وقعت المباينة ظاهرا فتختلف باختلاف الأشخاص ولا يطلق القول فيه إطلاقا من غير تفصيل فمن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سوء السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجي عوده فلا ينبغي أن يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود إلى أوطان الصلح فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذي أتى بفاحشة قال مه وزجرهم بقوله ولا تكونوا عون للشيطان على أخيكم (وقال) إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا (وفي الخبر) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئتمه (وروى) أن عمر رضي الله عنه سأل عن أخ له كان أشاه فخرج إلى الشام فسأل عند بعض من قدم عليه فقال ما فعل أخي فقال له ذلك أخوه الشيطان قال له مه قال له إنه قارف الكبائر حتى وقع في الحمر فقال إذا أردت الخروج فاذا قال فكتب إليه (حم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع وروى أن رسول الله ﷺ رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يا رسول الله آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال

ياعبد الله إذا آخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان صريضا عدته وإن كان مشغولا أعتته وكان يقول ابن عباس رضي الله عنهما ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافأته في الدنيا وكان يقول سعيد ابن العاص جليسي على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو احسان فإن ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند في خلته إلى علة يحكم بدوام خلته ومن شرط الحب في الله إيثار الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدينا قال الله تعالى يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقله تعالى لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يحسدون اخوانهم على دألمهم وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدينا والثاني الايثار بالمقدور وفي الخبر) عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه (وكان) يقول أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلتني على نفسه فهو خير مني ولبعضهم نظما :

تذلل لمن ان تذلت له يرى ذاك للفضل لا لبله
وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له
﴿الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة﴾

سئل أبو حفص عن أدب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمان المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان والنصيحة للأصاغر وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في أمر الدين والدنيا فمن أدبهم التعاقل عن زلل الاخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكنتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحمه الله امرأ أهدي إلى عيوني وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن يذبهه على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لي ميمون ابن مهران قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى لا يقول له في

وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى
(ولكن لا تحبون الناصحين) والنصيحة ما كانت في السر * ومن آداب الصوفية
القيام بخدمة الاخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير روى أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبدالمطلب إلي
الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه بيده
فقال إذا لا يردّه إلي مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير طاق عمر فأقامه على طاقه
ورده إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون لنفسهم ملكا يختصون به قال إبراهيم
ابن شيبان كسنا لناصر من يقول نعلي (أخبرنا) بذلك رضى الدين عن أبي المظفر
عن والده أبي القاسم القشيري قال سمعت أبا حاتم الصوفي قال سمعت أبا نصر السراج
يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسي دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة
فاكرموني وبجلوني فقلت يوما لبعضهم أين ازاري فسقطت من أعينهم (وكان)
إبراهيم بن أدهم إذا صحبه انسان شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان
له وان تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيده فقال رجل من أصحابه
أنا لأقدر على هذا فقال اعجبني صدقك (وكان) إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين
ويعمل في الحصاد وينفق على أصحابه (وكان) من أخلاق السلف ان كل من احتاج
إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى وأمرهم شورى بينهم
أى مشاعهم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استثقلوا صاحباً يهتمون أنفسهم
ويتسببون في إزالة ذلك من مواظهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب
وليحجة في الصحبة * قال أبو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً فوهبت
له شيئاً بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل نخلوت به يوماً وقلت له وضع رجلك على
خدي فأبى فقلت له لا بد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده في باطني قال
الرقى قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية * ومن
أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والايثار بالموضع روى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدرين فلم يجدوا موضعاً
يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر جلسوا مكانهم فاشتمد

ذلك عليهم فأنزله الله تعالى (وإذا قيل انشروا فالنشروا) الآية (وحكى) أن علي بن بندار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائراً فتماشياً فقال له أبو عبد الله تقدم فقال بأى عذر فقال بأنك لقيت الجنيد وما لقيته ومن أديهم ترك صحبة من همه شئ من فضول الدنيا قال الله تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) ومن أديهم بذل الانصاف للاخوان وترك مطالبة الانصاف قال أبو عثمان الخيري حق الصحبة أن توسع على أخيك من مالك ولا تطمع في ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف منه وتكون تبعاً له ولا تطمع أن يكون تبعاً لك وتستكثر ما يصل إليك منه وتستقل ما يصل إليه منك * ومن أديهم في الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصلوة قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوقك فحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز * ومن أديهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه التقديرات عليه اعتراضاً * ومن أديهم في الصحبة حذر المفارقة والحرص على الملازمة (قيل) صحب رجل رجلا ثم أراد المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحداً إلا إذا كان فوقنا وإن كان فوقنا أيضاً فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولاً فقال الرجل زال عن قلبي نية المفارقة * ومن أديهم التعطف على الأصاغر (قيل) كان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر في بعض الأيام في العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع فافطروا وناموا فرجع إبراهيم فوجدهم نياماً فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شئ من الدقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له في ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنتمتم فقالوا أنظروا بأى شئ عاملناه وبأى شئ يعاملنا * ومن أديهم أن لا يقولوا عند الدعاء إلى أين ولم وبأى سبب قال بعض العلماء إذا قال الرجل للصاحب قم بنا فقال إلى أين فلا يصحبه * وقال آخر من قال لأخيه أعطني من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

(٢٠ - عوارف المعارف)

ومن أدبهم أن لا يتكلفوا للاخوان قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فانكر ذلك أبو حفص وقال صير أصحابي مثل الخائث يقدم لهم الألوان والقنوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وترك التكلف يستوى مقامه وذهابه ومن أدبهم في الصحبة المداراة وترك المداينة وتشبته المداراة بالمداينة والفرق بينهما ان المداراة ما أردت به صلاح أخيك فدأريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره والمداينة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه * ومن أدبهم في الصحبة رطابة الاعتدال بين الانقباض والانبساط ونقل عن الشافعي رحمه الله انه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط * ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم ناعما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونعطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها * ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم (حكى) ان أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال انى ابتليت بهوى فان شدت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاجل عقد أخائك لاجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه وطوى أربعين يوما كلما يسأله عن هواه يقول ما زال فبعد الأربعين أخبره ان الهوى قد زال فأكل وشرب * ومن أدبهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة ولا يلجؤوه إلى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب ما يشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم * قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة أو الجأك إلى اعتذار وتكفله (وقال) جعفر الصادق أنقل اخوانى على من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي فاداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات في ذلك يطول نقلها وقد رأيت في كتاب الشيخ أبي طالب المكي

رحمه الله من الحكايات في هذا المعنى شيئا كثيرا فقد أودع كتابه كل شيء حسن من ذلك وحاصل الجميع ان العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد كل ما يريد لمولاه لا لنفسه وإذا صاحب شخصا تكون صحبته إياه لله تعالى وإذا صحبه لله تعالى يجتهد له في كل شيء يزيده عند الله زلفى وكل من قام بحقوق الله تعالى برزقه الله تعالى علما بمعرفة النفس وعبوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويوفقه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق لكل تقصير وجد من خبث النفس وعدم تركيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيما يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآداب وسماعها لا يعمل في النفس زيادة تأثير ويكون كبر يقلب فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى والزهد في الدنيا نفع منها ماء الحياء وتمقته وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى

الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك
 حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزيني قال أنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهني قال أخبرنا أبو عبد الله القربري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال حدثنا زيد بن وهب قال حدثنا عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين أي حريز

لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم إنشأناه خلقاً آخر قبل هذا الإنشاء نفخ الروح فيه واعلم أن الكلام في الروح صعب المرام والامساك عن ذلك سبيل ذوى الاحلام وقد عظم الله تعالى شأن الروح واسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً وقد أخبرنا الله تعالى في كلامه عن إكرامه بنى آدم فقال (ولقد كرمنا بنى آدم) وروى أنه لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خالقهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال وعزتي وجلالي لأجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان فتح هذه الكرامة واختياره سبحانه وتعالى إياهم على الملائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال ويسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربي الخ قال ابن عباس قال اليهود للنبي عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجيبهم فأناه جبرائيل بهذه الآية وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تقاضت الأنفس الانسانية المتطالعة إلى الفضول المنشوفة إلى المعقول المتحركة بوضعها بالسكون فيه والمتسورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه واطلقت عنان النظر في مسارج الفكر واخضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت اراءها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولولزمتم النفوس حدها سعترفة بعجزها كان ذلك اجدر بها وأولي فأما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فننزله الكتاب عن ذكرها لانها أقوال ابرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالى كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حججوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحججوا بالمعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين

فلم تنقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه وأما المستمسكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لباستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه السلام * وقد قال الجنيد الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين محملا لأقوالهم وأفعالهم ويجوز ان يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله اذ لا يسمع القول في التفسير الا نقل وأما التأويل فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتل الاية من المعنى من غير القطع بذلك واذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل قال أبو عبد الله النبا جى الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللبس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد حكم بانه جسم فكانه عبر عنه وقال ابن عطاء خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى ولقد خلقناكم يعنى الارواح ثم صورناكم يعنى الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا الا أن يحمل على معنى الاحياء فقد قال بعضهم الاحياء صفة المحي كالخلق صفة الخالق وقال قل الروح من أمر ربي وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أى صار الحي حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد فن الاقوال ما يدل على ان قائله يعتقد قدم الروح ومن الاقوال ما يدل على انه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون في الروح الذى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبرائيل ونقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه انه قال هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صورة بنى آدم وما نزل من السماء ملك

الا ومعها واحد من الروح وقال أبو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال
 مجاهد الروح على صورة بني آدم لهم ايد وأرجل ورؤس يأكلون الطعام وليسوا
 بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء
 ان يبلغ السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة
 وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة
 معه في صف واحد وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ولو لا ان بينه وبين الملائكة ستر
 من نور احرق أهل السموات من نوره فهذه الاقويل لا تكون الا نقلا وسماحا
 بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واذا كان الروح المسؤول عنه شيئا
 من هذا المنقول فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول في هذا
 الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله
 الى اما كن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم
 الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن أى شيء
 خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه
 وحياتها بكلامه فهي معتقة من ذل كن (وسئل) أبو سعيد الخزاز عن الروح مخلوقة
 هي قال نعم ولو لا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت بلى والروح هي التي قام
 بها البدن واستحق بها اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجة ولو
 لم يكن الروح كان العقل معطلا لا حجة عليه ولا له وقيل انها جوهر مخلوق
 ولكنها ألطف المخلوقات وأصفي الجواهر وأنورها وبها تتراءى المعنويات وبها
 يكون الكشف لأهل الحقائق وإذا حجبت الروح عن مراعاة السير أساءت
 الجوارح الأدب ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع وقيل
 الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ
 وتبصر أحوال الدنيا والملائكة وتسمع ما تتحدث به في السماء عن أحوال الآدميين
 وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة الى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدرها من السبي
 إلى الله أيام الحياة وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ
 من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردّها الى جسدها وقيل اذا

ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحادثوا وتساءلوا ووكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى اذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعتذر إلى الله ظاهرها عنه فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بمحسنتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تتمهم حتى تهديهم كما هديتنا وهذه الأخبار والأقوال تدل على انها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض (سئل) الواسطي لأي علة كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكّن والاستقرار ألا تراه يقول كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي لم يكن روحاً ولا جسداً وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي للطاقتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند أكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والموت بعدمهما وان الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا وبالاطاعة اليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام الى انه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة لاشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الاخبار الدالة على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ حيث وصف بأوصاف دل على انه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم انه عرض (سئل) ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان فقال أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان قيل له فأين تذهب الجسوم إذا بليت قال فأين تذهب لحمها إذا مرضت وقال بعض

من يتهم بالعلوم المردودة المذمومة وينسب الى الاسلام الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة لهواني والمحسوسات لأن تجردها من هيآت البدن عند المفارقة غير ممكن وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخلية بنفسها مقهورة وتتصور جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم أسلم المقالات أن يقال الروح شيء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحى البدن مادام متصلًا به وانه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما ان الجسد بمفارقتة يذوق الموت فان الكيفية والماهية يتماشى العقل فيهما كما يتماشى البصر في شعاع الشمس ولما رأى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح من أى هؤلاء فاختار قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم فما أحسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبى طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى ان الارواح أعيان في الجسد وهكذا النفوس لانه يذكّر ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك وتتحرك للشر ومن حركتها تظهر ظلمة في القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء وحيث وجدت أقوال المشايخ تشير الى الروح (أقوال) ما عندي في ذلك على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أقطع به إذ يميل في ذلك الى السكوت والامساك فأقول والله أعلم الروح الانساني العلوى السماوى من عالم الامر والروح الحيواني البشرى من عالم الخلق والروح الحيواني البشرى محل الروح العلوى ومورده والروح الحيواني جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب أعنى بالقلب ههنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الايسر من الجسد وينتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذى قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبًا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العلوى على هذا الروح تجنس الروح الحيواني

وبابن أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصارت نفسا محلا للنطق والالهام قال الله تعالى (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوى وصارت تكون النفس التي هي الروح الحيواني من الآدمي من الروح العلوى في عالم الأمر كتكون حواء من آدم في عالم الخلق وصار بينهما من التألف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العلوى إلى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكن الروح إلى نفس القلب وأعنى بهذا القلب اللطيفة التي محلها المضغعة اللحمية فالمضغعة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ماتكون القلب فمن القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوى ميال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله ﷺ فيما رواه حذيفة رضى الله عنه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها والقلب المنكوس ميال إلى الأم التي هي النفس الامارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في ميله إليها وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر الروح العلوى ولسانه والذال عليه وتديره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمئنة تدير الوالد للولد البار والزوج للزوجة الصالحة وتديره للقلب المنكوس والنفس الامارة بالسوء تدير الوالد للولد العاق والزوج للزوجة السيئة فمنكوس من وجهه ومن جذب إلى تديرهما من وجهه إذ لا بد له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل فن قائل أن محل الدماغ ومن قائل أن محل القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه بالارتارة إلى العاق أخرى وللقلب والدماغ

نسبة إلي البار والعاق فاذا رؤى في تدبير العاقل قبل مسكنه الدماغ وإذ رؤى في تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوى بهم بالارتقاء إلى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الآكوان ومن الآكوان القلب والنفس فاذا ارتقى القلب إليه حنوا لولد الحنين البار إلى الولد وتحن النفس إلى القلب الذي هو الولد حين الوالدة الحنينة إلي ولدها وإذا حنت النفس ارتقت من الأرض وانزوت عروقها الضاربة في العالم السفلى وانطوى هواها وانحسرت مادته وزهدت في الدنيا وتجاقت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود وقد تحللت النفس التي هي الأم إلى الأرض بوضعها الجبلى لتكونها من الروح الحيوانى الجنس ومستندها في ركونها إلى الطبائع التي هي أركان العالم السفلى قال الله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) فاذا سكنت النفس التي هي الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميل إلى الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد إلى ولده فعند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك تقدير العزيز العليم (وقد ورد) في أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان أين موضع العقل منك قال القلب لأنه قلب الروح والروح قالب الحياة (وقال) أبو سعيد القرشى الروح روحان روح الحياة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هي التي إذا خرجت من الجسد يصير الحي ميتا وروح الحياة ما به مجارى الانفاس وقوة الأكل والشرب وغيرها (وقال) بعضهم الروح نسيم طيب يكون به الحياة والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات ويقال فلان حار الرأس وفي الفصل الذى ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس وإشارة المشايخ بماهية النفس إلي ما يظهر من آثارها من الأفعال المذمومة والأخلاق المذمومة وهي التي تعالج بحسن الرياضة إزالتها وتبديلها بالأفعال الرديئة تزال والأخلاق الرديئة تبدل (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى قال أنا اجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلى قال أنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزادى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أنا الحسين بن محمد بن عبد الله السفينانى قال

حدثنا محمد بن الحسن اليقطيني قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن زيد عن سعيد ابن أبي هلال أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية (قد أفلح من زكاهها) وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكها (وقيل) النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في التلب منها الأخلاق والصفات المحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتمم محل الذوق وهكذا النفس محل الأوصاف المذمومة والروح محل الأوصاف المحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيش والثاني الشره وطيشها من جهلها وشرهها من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مكان أملس مصوب لا تزال متحركة بمجباتها ووضعها وشبهت في حرصها بالفراس الذي يلقي نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون الهجوم على جرم الضوء الذي فيه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيش صفة النفس وهواها وروحها لا يغلبه إلا الصبر إذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا في آدم حيث طمع في الخلود فحرص على أكل الشجرة وصفات النفس لها أصول من أصل تكونها لأنها مخلوقة من تراب ولها بحسبه وصف وقيل وصف الضعف في الآدمي من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شيء من الشيطنة لدخول النار في الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستعانة ببارئها وفاطرها فلا يتحقق العبد بالإنسانية إلا بعد أن يدبر دواعي الحيوانية فيه بالعلم والعدل وهو رعاية طرفي الإفراط والتفريط ثم بذلك تتقوى إنسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيه والأخلاق المذمومة وكمال إنسانيته ويتقاضاه أن لا يرضى لنفسه بذلك ثم تنكشف له الأخلاق التي تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وغير

ذلك فيرى ان صرف العبودية في ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف بالطائفة قال يأتها النفس المطمئنة وسماها لوامه قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وسماها امارة فقال ان النفس لآمارة بالسوء وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينه خلج على النفس خلج الطمأنينة لان السكينه مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب إلى محل الروح تتوجه النفس إلى محل القلب وفي ذلك طمأنينتها وإذا انزعجت من مقار جبلاتها ودواعي طبيعتها متطلعة إلى مقار الطمأنينة فهي لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها إلى محلها التي كانت فيه امارة بالسوء وإذا أقامت في محها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها امارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعي الروح وتارة يملكه دواعي النفس وأما السر فقد أشار القوم إليه ووجدت في كلام القوم ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح واعلى منها والطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذي وقعت اشارة القوم إليه غير مذكور في كتاب الله وإنما المذكور في كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ورأينا الاختلاف في القول فيه وأشار قوم إلى انه دون الروح وقوم إلى انه الطف من الروح فنقول والله أعلم الذي سموه سرا ليس هو بشيء مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس فأخذ في العروج إلى أوطان القرب وانتزع القلب عند ذلك عن مستقره متطلعا إلى الروح فاكسب وصفا زائدا على وصفته فاعجبه على الواجدين ذلك الوصف حيث رآه أصفى من القلب فسموه سرا ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه بتطلعه إلى الروح اکتسب الروح وصفا زائدا في عروجه وانعجم على الواجدين فسموه سرا والذي زعموا أنه الطف من الروح روح متصفة بوصف أخص مما عهدوه والذي سموه قبل الروح سرا هو قلب التصف بوصف زائد غير

ما عهدوه وفي مثل هذا الترتي من الروح والقلب تترقى النفس إلى محل القلب وتنخلع
 من وصفها فتصير نفساً مطمئنة تريد كثيراً من مرادات القلب من قبل إذ صار القلب
 يريد ما يريد مولاه متبرئاً عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعندها ذاق
 طعم صرف العبودية حيث صار حراً عن ارادته واختياراته وأما العقل فهو لسان
 الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقد
 ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل
 ثم قال له أدبر فادبر ثم قال له أقعد فقعده ثم قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت
 فقال وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً أحب
 إلي منك ولا أكرم على منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك
 أعطى وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما أكرمك بشيء أفضل
 من الصبر * وقال عليه السلام لا يعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا ماعقدته وعقله
 وسألت عائشة رضی الله عنها النبي ﷺ قالت قلت يا رسول الله بأي شيء يتفاضلون
 الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة قالت قلت اليس يحزى الناس بأعمالهم قال
 يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر
 ما يعملون يجزون وقال عليه السلام ان الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته
 لا تعدل جناح بعوضة وان الرجل ليأتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أحد
 إذا كان أحسنهما عقلاً قيل وكيف يكون أحسنهما عقلاً قال أوردعهما عن محارم
 الله واحرصهما على أسباب الخير وان كان دونه في العمل والتطوع (وقال) عليه
 الصلاة والسلام ان الله تعالى قسم العقل بين عباده أشدنا فان الرجلين يستوى
 علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب
 أحد (وروى) عن وهب بن منبه أنه قال اني أجد في سبعين كتاباً ان جميع ما أعطى
 الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله ﷺ كهيئة
 رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في
 ذلك يكثر ولا يؤثر نقل الأقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم العقل من العلوم
 فان الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فان الخالي

عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل فهو إذا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب الحواس المختلطة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من أقسام العلوم لانه لو كان منها لوجب الحكم بأن الداهل عن ذكر الاستحالة والجواز لا يتصف بكونه عاقلا ونحن زى العاقل في كثير من أوقاته ذاهلا وقالوا هذا العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم (ونقل عن الحرث) ابن أسد المحاسبي وهو من أجل المشايخ أنه قال العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ما ذكرناه في أول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من أمر الله وهي المتحتملة للأمانة التي أبت السموات والارضون ان يحملنها ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل تتشكل للعلوم فالعقل للعلوم بمنابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس متطلع الى النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فن كان العقل فيه منكوسا الى النفس فرقه في اجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك واخطأ طريق الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تايده العقل بالبصيرة التي هي للروح بمنابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا أقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله اقباله في أمره على اقباله عليه وما كرهه الله في أمره على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويحتمل مسأخه وكلما استقام العقل وتأيده بالبصيرة كانت دلالاته على الرشده ونهيه عن الغي **قال** بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به أمر دنياه وضرب يبصر به أمر آخرته (وذكر) أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية فالعقل الأول موجود في عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود في الوجود في الوجودين مفقود من المشركين (وقيل) إنما سمي العقل عقلا لأن الجهل ظلمة فاذا غلب النور بصره في تلك الظلمة زالت الظلمة فابصر فصار عقلا للجهل (وقيل) عقل الايمان مسكنه في القلب ومتعمله في الصدر بين عيني الفؤاد والذي ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا

انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الأشياء في مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضيء بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداة إلى الاستضاءة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبي المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي يضيق عنها نطاق العقل لأنها تستمد من كلمات الله التي ينفذ البحر دون نقادها والعقل ترجمان تؤدى البصيرة إليه من ذلك شطرا كما يؤدى القلب إلى اللسان بعض مافيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ولهذا المعنى من حمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظى بعلوم الكائنات التي هي من الملك والمملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على المملوكوت والمملوكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر والعقول دون الجامدين على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقلاان عقل للهداية مسكنه في القلب وذلك للمؤمنين الموقنين ومتمعله في الصدر بين عيني الفؤاد والعقل الآخر مسكنه في الدماغ ومتمعله في الصدر بين عيني الفؤاد فبالأول يدبر أمر الآخرة وبالثاني يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحدا وهو واضح وأبين وقد ذكرنا في أول الباب من تدبيره للنفس المطمئنة والامارة ما يتنبه الانسان به على كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملهم للصواب

﴿الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها﴾

(أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أخبرنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو مجد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أبو هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاملة الشيطان فيعاد بالشر وتكذيب بالحق

وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الآخري فليمتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان بعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وإنما يتطلع إلى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مرید يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالخطوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به طريقهم ومن أخذ في طريق الابرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو في مقام عامة المؤمنین والمسلمين لا يتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر (ومن الخواطر) ماهي رسل الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم لي قلب ان عصيته عصيت الله وهذا حال عبداستقام قلبه واستقامة القلب لطمأنينة النفس وفي طمأنينة النفس يأس الشيطان لأن النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب وإذا تكدر طمع الشيطان وقرب منه لأن صفاء القلب مخفوف بالتذكر والرعاية ولذا ذكر نور يتقيه للشيطان كاتقاء أحدنا النار (وقد ورد) في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه فخدته ومناه وقال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال الله تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فبالتقوى وجود خالص الذكر وبها ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقى حتى يحمي الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول ومالا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم تنتقل تقواه الى باطنه ويظهر الباطن ويقيده عن المكاره ثم من الفضول حتى يتقى حديث النفس (قال) سهل بن عبد الله أسوأ المعاصي حديث النفس ويروي الاصغاء إلى ما تحدث به النفس ذنبا فينتقيه وبتقة القلب عندهذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب في كبد السماء وبصير القلب سماء محفوظا بزينة كواكب الذكر فاذا صار كذلك بعد الشيطان ومثل هذا العبد يندر في حقه الخواطر الشيطانية ولما ويكون له خواطر النفس ويحتاج إلى أن يتقيها ويميزها

بالعلم لأن منها خواطر لا يضر امضاؤها كمطالبات النفس بمحاجاتها وحاجاتها تنقسم الى الحقوق والحظوظ ويتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات الحظوظ قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتثبتوا (وسبب) نزول الآية الوليد بن عقبة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق فكذب عليهم ونسبهم إلى الكفر والعصيان حتى هم رسول الله ﷺ بقتالهم ثم بعث خالد اليهم فسمع أذان المغرب والعشاء ورأى ما يدل على كذب الوليد بن عقبة فأنزله الله تعالى الآية في ذلك فظاهر الآية وسبب نزولها ظاهر وصار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت في الأمور (قال) سهل في هذه الآية الفاسق الكذاب والكذب صفة النفس لأنها تملى أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها فتعين التثبت عند خاطرها والقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ولا يستغزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تقف عند الجهل وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة ومن الأدب عند الاشتباه انزال الخاطر بمحرك النفس وخالقها وبارئها وفاطرها واطهار الفقر والفاقة اليه والاعتراف بالجهل وطلب المعرفة والمعونة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب يغاث ويعان ويتبين له هل الخاطر لطلب حظ أو طلب حق فان كان للحق أمضاه وإن كان للحظ نقاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لأن الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يعمه في صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وان أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويمضى خاطره بمزيد علم لديه من الله وهو علم السعة لعبد مأذون له في السعة عالم بالاذن فيمضى خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لأنه أمر خاص لعبد خاص وإذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير

(٢١ - عوارف المعارف)

الخواطر الاربعة في حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان إلا نادرا لضيق مكانه من
 النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى
 والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه
 وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين المتعلقين
 بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزيينا بزينة كوكب الذكر يصير قلبه سماويا
 يترقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات وكلما تترقى تتضاءل
 النفس المظلمة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه كما كان
 ذلك لرسول الله صلوات الله وسلامه بظاهره وقلبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر
 النفس لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك ينقطع عنه خواطر
 الحق أيضا لان الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب وهذا الذي
 وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس
 وخواطره فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعي
 وجودا وما أشرنا اليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخواطر الحق اتفق لمكان القرب
 وخواطر النفس بعد عنه لبعده النفس وخواطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل
 في ليلة المعراج عن رسول الله صلواته وسلامه حيث قال لو دنوت أنملة لاحترقت * قال
 محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم إذا تحققا في درجتها لم يخافا من حديث
 النفس (فكما) ان النبوة محفوظة من لقاء الشيطان كذلك محل المكلمة والمحادثة
 محفوظة من لقاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لأن السكينة حجاب
 المكلم والمحدث مع نفسه (وسمعت) الشيخ أبامحمد بن عبد الله البصرى بالبصرة
 يقول الخواطر أربعة خاطر من النفس وخواطر من الحق وخواطر من الشيطان
 وخواطر من الملك فأما الذي من النفس فيحس به من أرض القلب والذي من الحق
 من فوق القلب والذي من الملك عن يمين القلب والذي من الشيطان عن يسار
 القلب والذي ذكرناه إنما يصح لعبه أذاب نفسه بالتقوى والزهد وأصفي وجوده
 واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا
 ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان (روى) عن أبي هريرة

رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ان العبد إذا أذنب نكثت في قلبه نكتة سوداء فان هوزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقا كوشف به فقال الحديث في باطن الانسان والخيال الذي تراءى لباطنه وتخييل بين القلب وصفاء الذكر هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما تقرر فسألته عن ذلك فذكر ان بين القلب والنفس منازعات ومحاذات وتألفا وتوددا وكما انطلقت النفس في شيء يهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره ومحل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعاقبة للنفس وذكر النفس شيئا شيئا من فعلها وقولها كالملاثم للنفس والمعائب لها على ذلك فاذا كان الخاطر أول الفعل ومفتتحه فعرفته من أهم شأن العبد لأن الأفعال من الخواطر تنشأ حتى ذهب بعض العلماء إلى ان العلم المفترض طلبه بقول رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم الخواطر قال لأنها أول الفعل وبفسادها فساد الفعل وهذا لعمرى لا يتوجه لأن رسول الله ﷺ أوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عندهم من القرحة والمعرفة ما يعرفون به ذلك وليكن يعلم الطالب ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة (وسبب) اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لا خامس لها اما ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها وما لها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يطلبها وانكشف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفتها صعبة المثال لا تكاد تيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى (واتفق) المشايخ على ان من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة * وقال أبو علي الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الاطلاق إلا بقيد وذلك ان من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى لعبد باذن يسبق اليه في الأخذ منه

والتقوت به ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر انما ذلك يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه ينحجب لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسوخ من ارادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا ان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد الخاطر الأول لأنه اذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول (وقال) أبو عبد الله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون واردة سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط (وقيل) بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو * ومن قصر عن درك حقائق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر أولا بميزان الشرع فما كان من ذلك نقلا أو فرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما أو مكروها ينفيه فان استوى الخاطران في نظر العلم ينفذا قريهما الى مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوى كامن في احدهما والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلى الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن انه بهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق بسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة منه الا العلماء الراسخون وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب والأكاذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لثقة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم وينبغي أن يعلم العبد قطعا انه مهما بقى عليه أثر من الهوى وإن دق وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في تمييز الخواطر من هو قليل العلم

ولا يؤاخذ بذلك ما لم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخفاء في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت (وذكر) بعض العلماء ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس والروح وان النفس إذا تحركت انقده من جوهرها ظلمة تنكت في القلب همة سوء فينظر الشيطان إلى القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر ان حركة النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهي عن الجهل الغريزي أو دعوى حركة أو سكون وهي آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة الا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب نفيه فانها ترد بخلاف مأمور أو على وفق منهي ومنها ما يكون نفيها فضيلة إذا وردت بمباحات (وذكر) ان الروح اذا تحركت انقده من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور في القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بفضل ندب اليه وإما بمباح يعود صلاحه اليه (وهذا) الكلام يدل على ان حركتي الروح والنفس هما الموجبتان للمتين (وعندي والله أعلم) ان للمتين يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهي من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحي أثر أحدهما بالأخري والمتفطن المتيقظ يفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته باب أنس ويبقى أبدا متقدما حاله مطالعا آثار اللمتين (وذكر) خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحججة على العبد ليدخل العبد في الشيء بوجود عقل إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب (وذكر) خاطر سادس وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم ولا يبعد أن يقال الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع إلى ما يرد من خاطر الحق

وخطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب الى دواعي النفس تارة وإلى دواعي الملك تارة وإلى دواعي الروح تارة وإلى دواعي الشيطان تارة فعلى هذا لا تزيد الخواطر على أربعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما الأصل والخطاران الآخران فرع عليهما لأن لمة الملك إذا حركت الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت أن تهتز بالهمة الصالحة الى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق وإذا تحقق بالقرب يتحقق بالفناء فتثبت الخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرناه قبل لموضع قربه فيكون أصل خواطر الحق لمة الملك ولمة الشيطان إذا حركت النفس هوت بجلبتها إلي مركزها من الغريزة والطبع فظهر منها حركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصلها لمتان وينتجان آخرين وخاطر اليقين والعقل مندرج فيهما والله أعلم

﴿الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما﴾

قد كثرت الاشتباه بين الحال والمقام واختلقت اشارات الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشيء حالاً وتراءى للبعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق فالحال سمي حالاً لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره (وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتتهجر النفس وتنضب وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه فيصير في مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة (ثم ينازله حال المراقبة فن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال (ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله

عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل يحرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة (وقد) قال رسول الله ﷺ اللهم إني أسألك إيمانا يباشرفلبي (قال) سهل بن عبد الله للقلب تجوفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومنل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها وانسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجر من الثواب إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الاول والاصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع ولما كان الاصل في الاحوال هذه الحالة وهي أشرف الاحوال وهي محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فأطلقوا القول وتداولت ألسنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والاحوال السموات ومنتزل البركات وهذه الاحوال لا يتحقق بها الا ذوق قلب سماوي (قال بعضهم) الحال هو الذكر الخفي وهذا اشارة إلى شيء مما ذكرناه (وسمعت) المشايخ بالعراق يقولون الحال مامن الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا مامن العبد فاذا لاح للمرید شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسموه حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة (وقال) بعض مشايخ خراسان لاحوال مواريث الاعمال (وقال بعضهم)

الاحوال كالبروق فان بقي خديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما
 مواهب وعلى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالمواهب
 والمواهب محفوفة بالمكاسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن
 في المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب وفي الاحوال بطن الكسب وظهرت المواهب
 فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 رضى الله عنه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الارض اشارة إلى
 المقامات والاحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك
 لهذه الطرق يصير قلبه سماويا وهى طرق يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم
 تستلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء
 (وذهب) بعضهم إلى ان الاحوال لا تكون إلا إذا دامت فلما إذا لم تدم فهى لوائح
 وطوالع ووارد وهى مقدمات الاحوال وليست بأحوال (واختلفت المشايخ)
 في ان العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل أحكام حكم
 مقامه (قال بعضهم) لا ينبغي أن ينتقل عن الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه
 وقال بعضهم لا يكمل المقام الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه
 العالى إلى مادونه من المقام فيحكم أمر مقامه والأولى أن يقال والله أعلم الشخص في
 مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى اليه فبوجدان ذلك الحال يستقيم
 أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشىء إلى العبد انه يرتقى
 أو لا يرتقى فان العبد بالأحوال يرتقى إلى المقامات والاحوال مواهب يرتقى إلى
 المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه
 إلا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرتقى إلى المقامات بزائد الاحوال فعلى ما ذكرناه
 يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام
 وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيرى
 منذ أربعين سنة ما أقامنى الله في حال فكرهته أشار إلى الرضا ويكون منه حالا ثم يصير
 مقاما والحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق
 حال التوبة بالانزجار أولا (قال بعضهم) الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا

الانتباه من الغفلة فيرده إلى اليقظة فاذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم
 الزجر ضياء في القلب يبصر به خطأ قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه
 زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال
 الزجر وهي موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة فلا يزال بالعبد ظهور هوى النفس
 يحجوه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال
 يتزهد بنزلة حال تربيته لئلا ترك الاشغال بالدنيا وتقبح له الاقبال عليها فتمحوه أثر
 حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من
 الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل تقرع
 باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقامه وهما
 لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا
 يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة مجدها الراضى بحكم
 الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يعمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع في وجود الكراهية
 المغمورة بالعلم لا يخرجها عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لأن الحال لما تجردت
 موهبة أحرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام في الرضا ولا يكون صاحب
 حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام أثبت نقول لأن المقام لما كان مشوبا بكسب
 العبد احتمال وجود الطبع فيه والحال لما كانت موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع
 فحال الرضا أصلف ومقام الرضا أمكن ولا بد للمقامات من زائد الأحوال فلا مقام
 إلا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال فبها ما يصير مقاما
 ومنها ما لا يصير مقاما والسرفيه ما ذكرناه ان الكسب في المقام ظهر والموهبة بطنت
 وفي الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الأحوال الموهبة غالبية لم تنقيد
 وصارت الأحوال إلى المالا نهاية لها ولطف سنى الأحوال أن يصير مقاما ومقدورات
 الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى
 ومكلمة موسى وخلة ابراهيم عليه السلام لطلبت ما وراء ذلك لان مواهب الله لا تنحصر
 وهذه أحوال الانبياء ولا تعطى الاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام
 تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لان سيد الرسل صلوات

الله عليه وسلامه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام كل يوم لم أزد فيه علما فلا بورك لي في صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم ما قصر عنه رأبي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيبي وأمنيته من خير وعدهته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا أُرغب إليك وأسألك إياه فاعلم ان مواهب الحق لا تنحصر والاحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله التي ينفد البحر دون نفاذها وتنفذ اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطي

الباب التاسع والخمسون في الاشارات إلى المقامات على الاختصار والايجاز
 أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو مجد الحسن بن علي بن مجد الجوهري اجازة قال أنا أبو عمرو مجد بن العباس بن مجد قال أنا أبو مجد يحيى بن صاعد قال أنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الهيثم بن حميل قال أنا كثير بن سليم المدائني قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إني رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أنت من الاستغفار فاني أستغفر الله في اليوم واليلة مائة مرة (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه في حديث آخر فاني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة (وروى) أبو بردة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال الله عز وجل (إن الله يحب التوابين) وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) *
 التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإني ببلغ علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والأحوال وثمرتها فرأيتهما يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة ثم رأيتهما في افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التي جعلها الله تعالى باجراء سننه مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق

هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق
 وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلمها
 من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأ وتأكدت فأحد الثلاث بعد الايمان التوبة
 النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله
 تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقلبية من غير فتور وقصور ثم يستعان
 على اتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تماما وقوامها وهي قلة الكلام وقلة
 الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الناس واتفق العلماء الزاهدون والمشايخ على
 أن هذه الأربع بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الابدال أبدا
 بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تندرج
 في صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها أولها بعد الايمان التوبة وهي
 في مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ولا بد
 في ابتدائها من وجود زاجر ووجد ان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى
 على ما تقرر أن الأحوال مواهب حال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها قال رجل
 لبشر الحافي مالي أراك مهموما قال لأنني ضال ومطلوب ضلت الطريق والمقصد
 وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة
 أدركتني وليس لي منها خلاص إلا أن أزر فأنزجر وقال الأصمعي رأيت أعرابيا
 بالبصرة يشتمكي عينيه وهما يسيل منهما الماء فقلت له ألا تمسحك عينيك فقال
 لا لأن الطيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها
 الله تعالى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه
 قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه (وقال) أبو يزيد علامة الانتباه خمس
 إذا ذكر نفسه افتقر وإذا ذكر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر وإذا ذكر
 الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اقشعر (وقال) بعضهم الانتباه أوائل دلالات
 الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفاته أداه ذلك الانتباه إلى التيقظ فإذا تيقظ
 ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب وإذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق
 فيطلب الحق ويرجع إلى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال التيقظ (قال) فارس

أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار (وقيل) التيقظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة (وقيل) إذا صححت اليقظة كان صاحبها في أوائل طريق التوبة (وقيل) اليقظة خردة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة فإذا تمت يقظته نقل بذلك إلى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة (نقل) عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فالمحاسبة بحفظ الانقاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ويعلم العبد أن الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم واليلة رحمة منه لعله سبحانه بعبدته واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستعبده الهوى وتستترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والراية ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت في القلب نكتة سوداء وتعقد عليه عقدة والمتفقد المحاسب يهيم الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك لهلاته نور يشرق على أجزاء وقته إلى الصلاة الأخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطأ وكلما تكلم أو تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه لتضييق المحاسبة بحجارى الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لموضع صدقه في حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والراية يقع من ضرورة صحة التوبة (قال) الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته * وسئل الواسطي أى الأعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة فى الظاهر والمراقبة فى الباطن ويكمل أحدهما بالآخره وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والراية حالان

شريفان ويصيران مقامين شرفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف أبي بكر الشيرازي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريري يقول أمرنا هذا مبني على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهره قائماً (قال) المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال الله تعالى (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا هو علم القيام وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان هو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الخواطر تحقق إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالارادة والمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الخواطر كفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلام عروق إرادة المكاره من القلب والمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة (أخبرنا) أبو زرعة عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا عثمان المغربي يقول أفضل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم وإذا صحت التوبة صحت الانابة قال إبراهيم بن أدهم إذا صدق العبد في توبته صار منيباً لأن الانابة ثاني درجة التوبة (وقال) أبو سعيد القرشي المنيب الراجع عن كل شئ يشغله عن الله إلى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه إليه لا من شئ غيره فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفي الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحاً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة * قال أبو سليمان ما استحسنت من نفسي عملاً فاحتسبه (وقال) أبو عبد الله السجزي من استحسنت شيئاً من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع إلي ابتداءه فيروض نفسه ثانياً ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الأفعال

من ضرورة صحة الانابة وهو في تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة إلا بصدق
المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر (وروي) فضالة بن عبيد
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك إلا بالصبر
وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد
الخطا والصبر ينقسم إلى فرض وفضل فالفضل كالصبر على أداء المفترضات والصبر
عن المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الأولى
وكتمان المصائب والأوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتم
المنح والكرامات ورؤية العبر والآيات ووجوه الصبر فرضاً وفضلاً كثيرة وكثير
من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة
المراقبة والرعاية ونفى الخطا فإذا حقيقة الصبر كائنة في التوبة كينونة المراقبة في
التوبة والصبر من أعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة (قال بعض
العلماء) أى شىء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين
موضعا وما ذكر شيئاً بهذا العدد وصحة النبوة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه
ومن الصبر الصبر على النعمة وهو أن لا يصر فيها في معصية الله تعالى وهذا أيضاً داخل في صحة
التوبة * وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء (وروي)
عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبرناو بلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد
في الرضا والغضب والصبر عن محبة الناس والصبر على الخمول والتواضع والدل داخل
في الزهد وإن لم يكن داخل في التوبة وكل مافات من مقام التوبة من المقامات السنية
والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من
طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس إذا تزكت بالتوبة
النصوح زالت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر من وجود الشراسة للنفس وابطأها
واستعصمها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين
لأن النفس بالحاسبة والمراقبة تصفو وتنظف نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ
بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن في مجاري الأقدار (قال أبو عبد الله) النباجي
لله عباد يستحيون من الصبر ويتلقفون مواضع اقداره بالرضا تلقفاً (وكان) عمر بن
عبد العزيز يقول أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء قال رسول الله ﷺ لابن

عباس حين وصاه عمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا (وفي الخبر) عن رسول الله ﷺ من خير ما أعطى الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له فالأخبار والآثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا إلا بتخلفه عن التوبة النصوح فاذن تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين وهما كائنان في صلب التوبة النصوح لأن خوفه حاملة على التوبة ولو لا خوفه ماتاب ولو لا رجائه ماخاف فالرجاء والخوف يتلازمان في قلب المؤمن ويعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم في التوبة دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدني أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال ما اجتمع في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وجاء في تفسير قوله تعالى (ولا تاتوا بأيديكم إلى التهلكة) هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول قد هلك لا ينفعني عمل فالتائب خاف فتاب ورجا المفقرة ولا يكون التائب تائبا إلا وهو راج خائف ثم أن التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لأن كل جارية من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة وأى شكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فقد جمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوي والمجاهدة ورؤية عيوب الأفعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء وإذا صححت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القاب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لا يزهده في الموجود إلا لاعتماده على الموعود والسكون إلى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكلما بقي على العبد بقية في تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الأربعة (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الهيثم

ابن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال قدم رسول الله ﷺ من سفر فبدأ بفاطمة رضی الله عنها فرآها قد أحدثت في البيت سترًا وزوائد في يديها فلما رأي ذلك رجع ولم يدخل ثم جلس فجعل ينسك في الأرض ويقول مالي وللدنيا مالي وللدنيا فرأت فاطمة أنه إنما رجع من أجل ذلك الستر فأخذت الستر والزوائد وأرسلت بهما مع بلال وقالت له اذهب إلى النبي ﷺ فقل له قد تصدقت به فضعه حيث شئت فأتني بلال إلى النبي ﷺ فقال قالت فاطمة قد تصدقت به فضعه حيث شئت فقال النبي ﷺ بأبي وأمي قد فعلت بأبي وأمي قد فعلت اذهب فبعه (وقيل) في قوله تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) قيل الزهد في الدنيا * سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها * وقال أبو بكر الواسطي إلى متى تصول بترك كنيف وإلى متى تصول باعراضك عما لا تزن عند الله جناح بعوضة فاذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتكون فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط إحداها بالأخرى أن يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصي إلى تطهير الجوارح عما لا يعني فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن وتستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الأركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاستقم كما أمرت) ومن تاب معك أمره الله تعالى بالاستقامة في التوبة أمره ولاتباعه وأمه (وقيل) لا يكون المرید مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق النائب في النادر إذا ابتلى بذنب ينمحي أثر الذنب من باطنه في أطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا فاذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا

حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق
 هم بعد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لأن
 الفقير عادم للشيء اضطرارا والزاهد تارك للشيء اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله
 يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس
 النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات والزهد
 والتوبة إذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها
 وهو دوام العمل لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة وتيسير بعضها
 متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد
 المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الأحوال لتخلها بهم عن هذا
 الرابع ولا يراد الزهد في الدنيا إلا لسكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل
 لله تعالى والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذا كرا أو تاليا أو مصليا أو مراقبا
 لا يشغله عن هذه إلا واجب شرعى أو مهم لا بد منه طبيعى فاذا استولى العمل
 القلبي عن القلب مع وجود الشغل الذى أداه إليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن
 العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل
 وما آلى جهدا في العبودية (قال أبو بكر الوراق) من خرج من قالب العبودية
 صنع به ما يصنع بالآبق (وسئل) سهل بن عبد الله التستري أى منزلة إذا قام
 العبد بها قام مقام العبودية قال إذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة
 والزهد ودوام العمل لله يشغله ووقته الحاضر عن وقته الآتى ويصل إلى مقام ترك
 التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون أختياره من اختيار الله
 تعالى لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه (قال) يحيى بن
 معاذ الرازى مادام العبد يتعرف يقال له لا تختتر ولا تكن مع اختيارك حتى
 تعرف فاذا عرف وصار طارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لا تختتر لأنك إن
 اخترت فباختيارنا اخترت وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك
 بنا في الاختيار وفى ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالى والحال
 العزيز الذى هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج

من الاختيار إلا بأحكامه هذه الأربعة التي ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله تعالى لعبده ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق وهذا العبد مابق عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستكانة والافتقار متحقة بقول رسول صلوات الله وسلامته عليه لا تكني إلي نفسي طرفة عين فاهلك ولا إلى أحد من خلقك فأضيع اكلاي كلاءة الوليد ولا تخل عنى

﴿الباب الستون في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب﴾

(قولهم في التوبة) قال رويم معنى التوبة أن يتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة أستغفر الله العظيم من قلة صدقي في قولي أستغفر الله (وسئل) الحسن المغازلي عن التسوية فقال تسألني عن توبة الانابة أو عن توبة الاستجابة فقال السائل ماتوبة الانابة فقال أن تخاف من الله عز وجل من أجل قدرته عليك فما توبة الاستجابة قال أن تستحي من الله لقربه منك وهذا الذي ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * قال ذوالنون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ماناله غيرهم (سئل) أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخاطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله ان ينسبه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته قال وان غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لا يضره (وهذا) الذي قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته (والعارف) القوى الحمال يتمكن من إزالة

الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن
 تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصراف يقين فأى حلاوة
 تبقى في قلبه وإنما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله (وسئل) السوسي عن التوبة
 فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن
 لمن كوشف بصريح العلم لأنه لا بقاء للجهد مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع
 الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بلوصف الخاص والعام وهذا العلم
 يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن باخص أوصاف التوبة وأعم
 أوصافها (وقال) أبو الحسن النوري التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى
 (قوله) في الورع قال رسول الله ﷺ ملائكة دينكم الورع (أخبرنا) أبو زرعة
 اجازة عن أبي بكر بن خلف عن أبي عبد الرحمن السلمي اجازة قال أنا أبو سعيد الخلال
 قال حدثني بن قتيبة قال حدثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مرزوق
 عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ توطأ على نهر
 فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم
 (قال) عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى ووزر بالورع أن يذل
 لصاحب دنيا قال معروف الكرخي احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الدم
 (نقل) عن الحرث بن أسد المحاسبي انه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق إذا مد
 يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق (سئل الشبلي) عن الورع فقال الورع
 أن تتورع أن ينشئت قلبك من الله طرفة عين (وقال) أبو سليمان الداراني الورع
 أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا (وقال) يحيى ابن معاذ الورع الوقوف على
 حد العلم من غير تأويل (سئل) الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق
 غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما رضى الله تعالى (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن
 أبي بكر بن خلف اجازة عن السلمي قال سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول سمعت
 محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين
 سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام
 جلب من مصر شيئاً (وقال) الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة

والمعرفة دليل القربة (قولهم في الزهد) قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التمتع (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال لازهد في الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنده فليس إلا ظلف النفس وبذل مواسات يشير إلى الأقسام التي سبقت بها الاقلام وهذا لو اطردهم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلي أن يقلل الزهد في عين المعتد بالزهد لئلا يعتربه (قال) رسول الله ﷺ إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد سمي الله عز وجل الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون (وقال) سهل بن عبد الله للعقل ألف إسم ولكل إسم منه ألف إسم وأول كل إسم منه ترك الدنيا (وقيل) في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدونا بأمرنا ما صبروا قيل عن الدنيا (وفي الخبر) العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم (وجاء) في الاثر لا تزال لآله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله ما لم يبألوا ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين (وقال) سهل أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم (وقيل) من سمي باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بالف إسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بألف إسم مذموم (قال) السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة (وقال) بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهُوانها عندهم (وعندي) ان الزهد في الزهد غير هذا وإنما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد لأن الزهد اختار الزهد واراده وإرادته تستند إلى علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم في مقام ترك الارادة والنسلك من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله تعالى حينئذ أو يعلم ان مراد الله منه التلبس بشيء من الدنيا فما يدخل بالله في شيء من الدنيا لا يتص عليه زهده

فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله وبأذن منه زهدا في الزهد والزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد في الزهد وقد رأينا من العارفين من اقيم في هذا المقام (وفوق) هذا مقام آخر في الزهد وهو لمن يرد الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعبدت عليه موهوبة ويكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينما تاسيا بالانبياء والصالحين ويرى أن أخذها في مقام الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شوا الاقوياء من الانبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناولها باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم (وهذا) مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا لله (قولهم في الصبر) قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان تصبر في الصبر أى لاتطالع فيه الفرج (قال) الله تعالى الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (وقيل) لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سائسه في الظاهر والباطن لا يتم ذلك له الا إذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرها الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحد مصدرها وبالصبر يتحامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح وبين ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب كل اجير أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب (وقال) الله تعالى لنبيه واصبر وماصبرك

إلا بالله اضاف الصبر الى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به * قيل وقف رجل على الشبلي فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلي وقال ويحك أى شىء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كاد أن تتلف روحه (وعندى) فى معنى الصبر عن الله وجهه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجهه وذلك ان الصبر عن الله يكون فى أخص مقدمات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء واجلالا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبانا ويتعيب فى مفاوز استكائه وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلى وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذه الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستماع نور الجمال وكان النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح فى هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك (وقال) أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر فى الله فرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع وأما الصبار فذاك الذى صبره فى الله ولله وبالله هذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لامن جهة الرسم والخلقة وأشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة (وكان) الشبلي يتمثل بهذين البيتين

ان صوت الحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستعاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبيرا

(قال) جعفر الصادق رحمه الله أمر الله تعالى انبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى

للسرور ^{صلى الله عليه وسلم} حيث جعل صبره بالله لانه سمه فقال وما صبرك إلا بالله (وسئل) السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه ببارته فقيل له لما لا تدفعه قال استحيى من الله تعالى ان اتكلم فى حال ثم أخالف ما اتكلم فيه (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن أبي عبد الرحمن قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجعيد رحمه الله يقول ان الله تعالى أكرم المؤمنين بالايمان وأكرم الايمان بالعقل وأكرم العقل بالصبر فالايمان

زين المؤمن والعقل زين الايمان والصبر زين العقل وأنشد عن ابراهيم الخواص
رحمه الله

صبرت على بعض الأذى خوف كله ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو لم أجرعها إذا لاشمزت
ألارب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتذل عزت
إذا مامددت الكف أتمس الغنى إلى غير من قال أسألوني فشلت
سأصبر جهدى ان في الصبر عزة وأرضى بدنياى وان هى قلت
قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ما ألعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاضه
مما انتزع منه الصبر إلا كان ما عاضه خيرا مما انتزعه منه وأنشد لسمنون

تجرعت من حاله نعمى وابؤسا زمانا إذا أجرى عز إليه احتسى
فكم غمرة قد جرعتنى كؤوسها فجرعتها من بحر صبرى اكؤوسا
تدرعت صبرى والتحفت صروفه وقلت لنفسى الصبرا وهاهنا كى اسى
خطوب لوان الشم زاحن خطبها لساخت ولم تدرى لها الكف مامسا

(قولهم فى الفقر) قال ابن الجلاء الفقر ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك
حتى تؤثر (وقال) الكتاني إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى لانهما
حالات لا يتم أحدهما إلا بالأخر (وقال) النورى نعمت الفقراء السكون عند العدم
والبذل عند الوجود وقال غيره والاضطراب عند الوجود وقال الدراج فتشت
كنف استاذى أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتجريت فلما جاء قلت له انى
وجدت فى كنفك هذه القطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا
فقلت ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقنى الله تعالى من الدنيا
صفراء ولا بيضاء غيرها فأردت ان أوصى ان تشد فى كفى فاردتها إلى الله
(وقال) ابراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلياب الصالحين
(وسئل) سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا يحبس
(وقال) أبو على الروذبارى رحمه الله سألتى الزقاق فقال يا أباعلى لم ترك الفقراء أخذ
البلغة فى وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون بالمعطى عن العطايا قال نعم ولكن

وقع لي شيء آخر فقلت هات أفدني ما وقع لك قال لانهم قوم لا ينفعمهم الوجود
 إذ لله فاقتهم ولا تصرفهم الفاقة إذ لله وجودهم قال بعضهم الفتر وقوف الحاجة على
 القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تفقره
 الحن (وقال) يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لا يستغنى إلا بالله ورسمه عدم
 الاسباب كلها وقال أبو بكر الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا
 الفقر على سائر الاشياء فلم يجبني أحد بجواب يقنعني حتي سألت نصر بن الحامي
 فقال لي لانه أول منزل من منازل التوحيد فكنعت بذلك (وسئل) ابن الجلاء عن
 الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع ثم قال اني لم أسكت إلا الدرهم كان عندي
 فذهبت فأخرجته واستحيت من الله تعالى ان أتكلم في الفقر وعندي ذلك ثم
 جلس وتكلم (قال) أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فان كان
 ولا بد لا تجاوز رغبته كفايته (قال) فارس قلت لبعض الفقراء مرة وعليه أثر
 الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال اني أخاف ان أسألهم فيمنعونني
 فلا يفلحون وأنشد لبعضهم

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق عبده الجرعا
 فقر وصبرها ثوبان تحتها قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
 أخرى الملابس ان تلتقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
 الدهر لي ماتم ان غبت يا أملي والعيد مادمت لي مرأى ومستمعا

(قولهم في الشكر) قال بعضهم

الشكر هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم (وقال) يحيى بن معاذ الرازي لست
 بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلك ان الشكر نعمة من الله يجب
 الشكر عليها * وفي أخبار داود عليه السلام الهى كيف اشكرك وأنا لا أستطيع
 ان أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني
 ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والظهار يقال شكر وكشرك إذا كشف عن ثغره
 وظهره فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان تستعين
 بالنعم على الطاعة ولا تستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت شيخنا

رحمه الله ينشد عن بعضهم

أوليتي نعماً أبوح بشكرها وكيفتني كل الأمور بأسرها
فلا أشكر نك ما حبيت وانامت فلتشكر نك أعظمي في قبرها

(قال) رسول الله ﷺ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصبر واعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (قال) الجنيد فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان (وفي) الحديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله (وقال) بعضهم في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوي والفقر فان هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء (وحقيقة) الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعماً غير ما يضره في دينه لان الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئاً إلا وهو نعمة في حقه فاما اجلة يعرفها ويفهمها وإما آجلة بما يقضى له من المكارة فاما أن تكون درجة له أو تمحيصاً أو تكفيراً فإذا علم أن مولاه النصح له من نفسه واعلم بمصالحه وان كل مامنه نعم فقد شكر (قولهم في الخوف) قال رسول الله ﷺ رأس الحكمة مخافة الله (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال كان داود النبي عليه السلام يعود الناس يظنون ان به مرضاً وما به مرض الا خوف الله تعالى والحياء منه (قال) أبو عمر الدمشقي الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان (وقال) بعضهم ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك ما يخاف ان يعذب عليه (وقيل) الخائف الذي لا يخاف غير الله قيل أى لا يخاف لنفسه إنما يخاف اجلالاً والخوف للنفس خوف العقوبة (وقال) سهل الخوف ذكر والرجاء أنى أى منهما تتولد حقائق الايمان (قال) الله تعالى ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله (قيل) هذه الآية قطب القرآن لان مدار الأمر كله على هذا (وقيل) ان الله تعالى جمع للخائفين مفرقة على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه (وقال)

سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف (وقال) أيضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة (وقال) ذوالنون لا يستقي المحبة إلا كاس المحبة إلا من بعد ان ينضج الخوف قلبه (وقال) فضيل بن عياض إذا قيل لك تخاف الله أسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف ﴿قوله في الرجاء﴾ (قال) رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم يقول وعزتي وجلالي لأجعل من آمن بي في ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي (قيل) جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال من يلي حساب انطلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال النبي ﷺ مما ضحكك يا اعرابي فقال ان الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح (وقال) شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة (وقيل) الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال (وقيل) قرب القلب من ملاطفة الرب قال أبو علي الروذبارى الخوف والرجاء كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم فى طيرانه (قال) أبو عبد الله بن خفيف الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو (قال) مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا والخوف والرجاء للايمان كالجناحين ولا يكون خائفنا إلا وهو راج ولا راجيا إلا وهو خائف لان موجب الخوف الايمان وبالايمان رجاء وموجب الرجاء الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لاتأمن فيه مكره وارجه أشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وإتمالى قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذوقلين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وهذا لأنهما من حكم الايمان ﴿قوله في التوكل﴾ قال السرى التوكل الانخلاع من الحول والقوة (وقال) الجنيد التوكل ان تكون لله كالم تكثر فيكون الله لك كالم يزل (وقال) سهل كل المقامات لها وجه وفقا غير التوكل فانه وجه بلاقما (قال) بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال لنبيه وتوكل على الحى الذى لا يموت (وقال) ذوالنون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة (وقال) أبو بكر الرقاق التوكل رد العيش إلى يوم واحد

واسقاط هم غد (وقال) أبو بكر الواسطي أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار
 وان لا يفارق التوكل في امانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره (وقال) بعضهم
 من أراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفن فيها فيه وينس الدنيا وأهلها
 لان حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كاله (وقال) سهل أول مقامات
 التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف
 أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير (وقال) حمدون القصار التوكل هو الاعتصام
 بالله (وقال) سهل أيضا العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع
 كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل (وقال) التقوى واليقين مثل كفتي
 الميزان والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان ويقع لى أن التوكل على قدر
 العلم بالوكيل فكل من كان آتم معرفة كان آتم توكلا ومن كمل توكله غاب في رؤية
 الوكيل عن رؤية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد العلم بالعدل في القسمة وان
 الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلا وموازنة فان النظر إلى غير الله لوجود
 الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء يقدر في توكله يراه من منبع النفس فنقصان
 التوكل يظهر بظهور النفس وكاله يثبت بغية النفس وليس للاقوياء اعتداد
 بتصحيح توكلهم وانما شغلهم في تعييب النفس بتقوية مواد القلب فاذا غابت
 النفس انحسرت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من
 النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
 فيغلب وجود الحق الايمان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال
 الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدر في توكل مثل هذا
 المتوكل ما يقدر في توكل الضعفاء في التوكل من وجود الاسباب والوسائط
 لانه ير الاسباب مواتا لاحياة لها الا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة
 ﴿قوله في الرضا﴾ قال الحرث الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم وقال
 ذوالنون الرضا سرور القلب بحر القضاء (وقال) سفيان عند رابعة اللهم ارض
 عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض فسألها بعض
 الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت إذا كان سروره بالمصيبة

كسروره بالنعمة (وقال) سهل اذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطهائنة
 فطوبى لهم وحسن مآب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم
 الايمان من رضى بالله ربا (وقال) عليه السلام ان الله تعالى بحكمته
 جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط
 (وقال) الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة
 العلم آداه إلى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان
 العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة (وقال) ابن
 عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل فيرضى
 له وهو ترك السخط (وقال) أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من الدنيا فى
 قلبه مقدار قال السرى خمس من أخلاق المقرين الرضا عن الله فيما تحب النفس
 وتكره والحب له بالتحبب إليه والحياء من الله والأنس به والوحشة مما سواه
 (وقال) الفضيل الرضى لا يتمنى فوق منزلته شيئاً وقال ابن شمعون الرضا بالحق
 والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا وتحتارا والرضا عنه قاسما ومعطيا والرضا
 له إلهما وربا (سئل) أبو سعيد هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا قال
 نعم يجوز أن يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن
 الله وقيل للحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما أن أباذر يقول الفقير أحب
 إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة قال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول
 من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختار الله له
 وقال على رضى الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن
 جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال (وقال) يحيى يرجع الأمر
 كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى بما عمل وتخلص فيما
 تعمل (وقال) بعضهم الرضى من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها
 (وقيل) ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا قال إذا أقام نفسه على
 أربعة أصول فيما يعامل به يقول إن أعطيتى قبلت وإن منعتنى رضيت وإن
 تركتتى عبت وإن دعوتنى أجت وقال الشبلى رحمه الله بين يدي الجنيد لا حول

ولا قوة إلا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء وهذا إنما قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على أصل الرضا وذلك أن الرضا يحصل لانسراح القلب وانفساحه وانسراح القلب من نور اليقين قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وطاب حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والتضجر لأن اتساع القدرة يتضمن حلالة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عن المحب الصادق لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل وكل ما يفعل المحبوب محبوب

﴿ الباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها ﴾

(حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أنا أبو عبد الله الفريرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال حدثنا سليمان ابن حرب قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلالة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحببه إلا الله ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار (وأخبرنا) شيخنا أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا أبو عمر بن حيوة قال حدثنى أبو عبيد بن مؤمل عن أبيه قال حدثنى بشر بن محمد قال حدثنا عبد الملك ابن وهب عن ابراهيم بن عبله عن العرباض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وسمى وبصرى وأهلى ومالى ومن الماء البارد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب هو أن يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قديكون فى حال قائما بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل أن يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم لا إلى الاستعصاء بالجبلة فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الايمان

ويحب الأهل والولد بحكم الطبع وللمحبة وجوه وبواعث المحبة في الإنسان متنوعة *
 فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله ﷺ وقد
 ذكر الأهل والمال والماء الباردة عناء استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون
 حب الله تعالى غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكلية حتى يكون حب الله تعالى أغلب
 في الطبع أيضا والجيلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا صافيا لخواص تنغمر به
 وبنوره نار الطبع والجيلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح
 وخواصه إلى موطن القرب (قال) الواسطي في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) كما أنه
 بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة إلى الذات دون الذوات والصفات (وقال)
 بعضهم الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فإذا
 الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامثال الأمر وربما كان حبا
 من معدن العلم بالألاء والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من
 المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد
 فيه مدخل (وأما) الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي
 فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاه وإياه وهذا الحب يكون
 من الأحوال لأنه محض موهبة ليس لكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبي
 ﷺ أحب إلي من الماء البارد لأنه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات (وهذا)
 الحب روح والحب الذي يظهر عن مطالعة الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا
 الروح ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله تعالى عنهم بقوله (أذلة على المؤمنين) لأن الحب
 يدل لمحبوبه ولحبيب محبو به وينشد

لعين تفدى ألف عين وتتنى ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخالص هو أصل الأحوال السنية وموجبها وهو في الأحوال كالتوبة
 في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا
 والتوكل على ما شرهناه أولا ومن صحت محبته هذه تحق بسائر الأحوال من الفناء
 والبقاء والصحو والحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجسمان لأنها
 مشتتة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو

طريق خاص من طريق المحبة يكمل فيه ويجتمع لروح الحب الخالص مع قالب الحب العام الذي تشتمل عليه التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن التقلب في أطوار المقامات والترقي من شىء منها إلى شىء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن قوله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) أثبت كون الانابة سببا للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صرح بالاكتفاء غير معلل بالكسب فقال تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) فمن أخذ في طريق المحبوبين بطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بأتم وصفها والمقامات لا تقيدده ولا تحبسها وهو يقيددها ويحبسها بترقية منها وانتزاعه صفوها وخالصها لأنه حيث أشرفت عليه أنوار الحب الخالص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية فالزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود في النفس ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخالص لانت نفسه وذهب جمودها فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كلية (قال) الروذبارى مالم تخرج من كليتك لا تدخل في حرد المحبة وقال أبو يزيد من قتلته محبته فديته رؤيته ومن قتلته عشته فديته منادته (أخبرنا) بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علوية يقول قال أبو يزيد ذلك فإذا التقلب في أطوار المحبين وطى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن همهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهى مواطن من يتعثر في أذيال بقاياها (قال) بعض الكبار لأبراهيم الخواص إلي ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسعى في عمران بطنك أين أنت من الثناء في التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت بصفها متفلتة من دائرة الزهد يردها الزاهد إلى الدائرة بزهده والمتوكل إذا تحركت نفسه يردها بتوكله والرضى

يردها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تفتقر إلى سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو اداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن أخذ في طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب روح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزججه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضا كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وإن رغب لأنه بالحق لا بنفسه وإن روى منه الالتفات إلى الأسباب فهو متوكل وإن وجد منه الكراهة فهو راض لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد إليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوف بها صار عين الداء دواءه وصادر الاعلال شفاؤه وناب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا أو صار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا (قالت رابعة) محب الله لا يسكن أئينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه (وقال) أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شيء (وقال) أبو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة له والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس (وقال) يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الثاويدين وأعجبا كيف يصبر الانسان عن حبيبه (وقال بعضهم) من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تمعى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع

لو كان حيك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا كان الحب للأحوال كالتوبة للمقامات فن ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القلب والأحوال اعراض قوامها بجوهر الروح (وقال) سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي ﷺ قال المرء مع من أحب فهو مع الله تعالي (وقال) أبو يعقوب السوسى

لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة (سئل) الجنيد عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب (قيل) هذا على معنى قوله تعالى (فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا) وذلك أن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها فاذا انتهت إلى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأصلة مكمل وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعظما على المحب الخالص من موانع قاذحة في صدق الحب ونظرا إلى قصوره بعد استنفاد جهده فيعود المحب بفوائدها كتناسب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا تحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الذي عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله ﷺ تخلقوا بأخلاق الله لأنه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية أن يزكى نفوس أحبائه بحسن توفيقه وتأيدده وإذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بمجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والأخلاق ويكون ذلك عنده رتبة في الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه إلى ما وراء ذلك ليكون عطايا الله غير متناهية وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذي يسكن نيران شوقه ويبعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقري وظهرت صفات نفسه الحائلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصراني في اللاهوت والناسوت (وإشارات) الشيوخ في الاستغراق والفناء كلما طائفة إلى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخالصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا وامنت اللوث الوجودي من بقاء صفات النفس وإذا صحت المحبة ترتبت عليها الأحوال وتبعها (سئل) الشبلي عن المحبة فقال كاس (٢٣- عوارف المعارف)

لها وهج إذا استقر في الحواس وسكن في النورس تلاشت (وقيل) للمحبة ظاهر
 وباطن ظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء
 ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه (فمن الأحوال السنية في المحبة الشوق) ولا يكون
 المحب إلا مشتاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لانهايته فإمن حال يبلغها المحب إلا ويعلم
 أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم

حزني كحسبك لا لذا أمد ينهي إليه ولا لذا أمد

(ثم) هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين
 قال أحمد بن أبي الحواري دخلت على أبي سليمان الدراني فرأيت يبكي فقلت ما يبكيك
 رحمك الله قال ويحك يا أحمد إذا جن هذا الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت
 دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول بعيني من تلذذ بكلامي
 واستراح إلى مناجاتي وإني مطلع عليهم في خلواتهم اسمع أنينهم وأرى بكاءهم يا جبريل
 ناد فيهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم أهل خبركم بخبران حبيبا يعذب أحبابه بالنار
 كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى في حلفت إذا وردوا
 القيامة على أن أسفر لهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي (وهذه) أحوال قوم من
 المحبين أقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة إذا استقرت
 التوبة ظهر الزهد وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق (قال) الواسطي في قوله تعالى
 (وعجلت إليك رب لترضى) قال شوقا واستهانة بمن وراءه قال هم الاء على أثرى من
 شوقه إلى مكاملة الله ورمي بالألواح لما فاتته من وقته (قال) أبو عثمان الشوق ثمرة المحبة
 فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه (وقال) أيضا في قوله تعالى (فإن أجل الله لآت) تقربة
 للمشتاقين معناه إنى أعلم أن شوقكم إلى ذاب وأنا أجأت للقائكم أجلا وعر قريب
 يكون وصولكم إلي من تشتاقون إليه (وقال) ذو النون الشوق أعلى الدرجات
 وأعلى المقامات فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء للقائه والنظر
 إليه (وعندي) أن الشوق الكائن في المحبين إلى رتب يتوقعونها في الدنيا غير
 الشوق الذي يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده بعباياها مجدونها
 علما ويطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرور

مقام الشوق استبطاء الموت وربما الأصحاء من المحبين يتلذذون بالحياة لله تعالى كما قال الجليل لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فمن كانت حياته لله منحة الكريم لذة المناجاة والمحبة فتمتلىء عينه من النقد ثم يكشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق إلي ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال إنما يكون الشوق لغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشواق ولهذا سئل الانطاكي عن الشوق فقال إنما يشواق إلى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وإنكار الشوق على الاطلاق لا أرى لها وجهاً لأن رتب العطايا والمنح من انصبة القرب إذ كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة إلى ما وجد ولكن يكون مشتاقاً إلي ما لم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والأمر هكذا (ووجه آخر) إن الانسان لا بد له من أمور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور مثير لنار الشوق ولا نغنى بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبين فالشوق إذا كائن لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة مشتاقاً إلى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقاً إلي زوائد ومبار من الحبيب وأفضاله وهذا هو الذي أراه وأختاره (وقال فارس) قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقاً أضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون إلى أشهدكم أني إليهم أشوق (وقال) أبو يزيد لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لأستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (سئل) ابن عطاء عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد اقرب (سئل) بعضهم هل الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منها فللمشتاق إلامن غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصر اباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار (ومنها الانس) وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود

الهيبة (وسئل) ذوالنون عن الانس فقال هو انبساط المحب إلي المحبوب قيل معناه
قول الخليل اني كيف تحبني الموتى وقول موسى ارنى انظر إليك وأنشد لرويم
شغلت قلبي بما لديك فلا ينفك طول الحياة عن فكر
آلستني منك بالوداد فقد أوحشتني من جميع ذا البشر
ذكرك لي مؤنس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر
وحيثما كنت ياهدي هممي فانت مني بموضع النظر

(وروى) ان مطرف بن الشيخير كتب إلي عمر بن عبدالعزيز ليكن انك بالله
وانقطاعك إليه فان لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا
من الناس في كثرتهم وأوحش مايكون الناس أنس ما يكونون وأنس مايكون الناس
أوحش ما يكونون قال الواسطي لا يصل إلى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان
كلها (وقال) أبوالحسين الوراق لا يكون الانس بالله إلا ومعه التعظيم لان كل من
استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلا الله تعالى فانك لا تتزايد به انسا لا زدت
منه هيبة وتعظيما (قالت) رابعة كل مطيع مستأنس وأنشدت

ولقد جعلتك في النؤاد محدثي وابحث جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليلس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى

(وقال مالك بن دينار) من لم يانس بمحاذة الله عن محاذة الخلق فقد قل علمه
وعنى قلبه وضيع عمره * قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله تعالى معي
ولا يستوحش من أنس بربه (وقال الخراز) الانس محاذة الارواح مع المحبوب
في مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال جدد لهم
الود في كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم في كنفه بمحاذة السكون إليه حتى أنت
قلوبهم وحنن ارواحهم شوقا وكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق إليهم
عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله فذهبت مناهم وانقطعت آمالهم عنده لمابان
منه لهم ولوان الحق تعالى أمر جميع الأنبياء يسألون لهم ما سألوه بعض ما أعد لهم
من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ
همهم عليه واجتماع أهوائهم فيه فصار يحسدكم من عبيده العموم ان رفع عن

قلوبهم جميع الموموم (وأنشد في معناه)

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ ذاك النفس أهواي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الوردى مذصرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك ياديني ودينائي
(وقد) يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب
القربات وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال
الانس الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه
بصدق لزهده وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس
وحقيقته عندى كنس الوجود بنقل لائح العظمة وانتشار الروح في ميادين الفتوح
وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفي الهيبة اجتماع الروح
ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذى وصفناه من انس الذات وهيبة الذات يكون
في مقام البقاء بعد العبور على عمر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود
الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال
وذلك مقام التلوين وما ذكرناه بعد الفناء في مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات
ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع
يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بايماء الروح (ومنها) القرب قال الله تعالى
لنبيه عليه الصلاة والسلام واسجد واقرب وقد ورد أقرب ما يكون العبد من
ربه في سجوده فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي
بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب
(قال) بعضهم اني لأجد الحضور فأقول يا الله أويارب فاجد ذلك على أقل من
الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى
جليسه وإنما هي اشارات وملاحظات ومنافات وملاطفات وهذا الذى وصفه
مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن
غابت نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق تتخلص الروح
من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد إلى محله ومقامه فيقول يا الله

ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة إلى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح تستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال وهذا أتم وأقرب من الأول لانهوفي حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس إلى محل الافتقار وحظ القرب لايزال يتوفر نصيب الروح باقامة رسم العبودية من النفس (وقال الجنيد) ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب مايرى من قرب قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك (وقال أبويعقوب السوسي) مادام العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن رؤية القرب بالقرب فاذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقدقال قائلهم

قدتحققتمك في السر * فناجك لساني فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعم * ظيم عن لحظ عياني فلقدصيرك الوجد * من الاحشاء دائي
قال ذوالنون ماازداد أحد من اللهقربة إلا ازداد هيبية (وقال سهل) أدني مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراباذي باتباع السنة تنال المعرفة وبإداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة * ومنها الحياء والحياء على الوصف العام والوصف الخاص فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله ﷺ في قوله استحيوا من الله حق الحياء قالوا انالستحيى يارسول الله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وماوعى والبطن وماحوي وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقداستحيا من الله حق الحياء وهذا الحياء من المقامات وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه انه قال اني لاغتسل في البيت المظلم فأنطوى حياء من الله (أخبرنا أبو زرعة) عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت أحمد السقطى بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال لي سرى إحفظ عنى ما أقول لك إن الحياء والانس يطوفان بالقلب فاذا وجدا فيه الزهد والورع حطا والارحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في المنى والنهاية في العطاء وأنشد شيخ الاسلام

أشواقه فإذا بدا أطرقت من اجلاله لاخيفة بل هيبة وصيانة لجماله الموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه إذا بدا واروم طيف خياله قال بعض الحكماء من تكلم في الحياء ولايستحي من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج (وقال ذوالنون) الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ماسبق منك إلى ربك (وقال ابن عطاء) والعلم الأكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه (وقال أبو سليمان) ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما يقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحييا من حسناته أكثر مما استحييا العاصون من سيئاتهم (وقال بعضهم) الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله إليهم * ومنها الاتصال (قال النوري) الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال أن لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه (وقال سهل بن عبد الله حر كوا بالبلاء فتمحركوا ولو سكنوا اتصلوا) (وقال يحيى بن معاذ الرازي) العمال أربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه عن الحق شيء (وقال أبو سعيد القرشي) الواصل الذي يصله الله فلا يخشى عليه القطع أبدا والمتصل الذي بجهد يتصل وكلما دنا انقطع وكان هذا الذي ذكره حال المرید والمراد لكون أحدهما مباد بالكشوف وكون الآخر مردود إلى الاجتهاد (وقال أبو يزيد) الواصلون في ثلاثة أحرف همهم لله وشغلهم في الله ورجوعهم إلى الله وقال السيارى الوصول مقام جليل وذلك ان الله تعالى إذا أحب عبدا أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعيد (وقال الجنيد) الواصل هو الحاصل عند ربه (وقال رويم) أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق أبدا (وقال) ذو النوى ما رجع من رجوع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد فرجع عنه واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليه الشيوخ وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم

من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترقى لمقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة معنيا في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سر يان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قلبه وهذا من أعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة انه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تقطع أبدا الآباد في صحر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى * ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله تعالى (والله يقبض ويبسط) وقد تكلم فيهما الشيوخ وأشاروا بإشارات هي علامات القبض والبسط ولم أجد كشافا عن حقيقتهم إلا أنهم اكتفوا بالإشارة والإشارة تقع الأهل وأحببت ان أشبع الكلام فيهما لعله يتشوق إلي ذلك طالب ويحب بسط القول فيه والله أعلم (واعلم) أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في أوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وإنما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وإنما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزازا نفساني ونشاط طبيعي يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها وما دامت صفة الامارة فيها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى

من رتبة الايمان إلى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه
أخرى (قال) الواسطي يقبضك عمالك ويبسط فيما له (وقال) النوري يقبضك
بإياك ويبسطك لآياه واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور
البسط لظهور صفة القلب وغلبته والنفس مادامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة
غالبة والقبض والبسط فاعتبار ذلك منها وصاحب القلب تحت حجاب نوراني
لوجود قلبه كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظاهري لوجود نفسه فإذا ارتقى من
القلب وخرج من حجابيه لا يقيدده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف
القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط مادام متخلصا من الوجود النوراني
الذي هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فإذا عاد إلى
الوجود من الفناء والبقاء يعود إلى الوجود النوراني الذي هو القلب فيعود
القبض والبسط إليه عند ذلك ومهما تخلص إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط
قال فارس أولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع
في الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الأفرط في
البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى (يرد على القلب فيميتلى القلب منه روحا
وفرحا واستبشارا) فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فإذا وصل
أثر الوارد إلى النفس طغت بطبعها وأفرطت في البسط حتى تشكل البسط نشاطا
فتقابل بالقبض عقوبة وكل القبض إذا فتش لا يكون إلا من حركة النفس وظهورها
بصفتها ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى ما وجد
صاحب القلب القبض وما دام روحه وأنسه ورعاية الاعتدال الذي يسد باب
القبض متلقى من قوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)
فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه
القبض سيما إذا لطف بالمفرح بالوارد بالايواء إلى الله وإذا لم يلتج بالايواء إلى الله
تعالى (تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما آتي) الممنوع
منه فمن ذلك القبض في بعض الأحيان وهذا من أطف الذنوب الموجبة للقبض
وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء

لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأنا والهيبة لأنهما من ضرورة الإيمان فلا ينعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الإيمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعرف سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط لآعلى قليل الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال ولا علم المقام (ومن) أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وإنما علم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا تنقدح من جوهرها ناد توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه فتكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجري القبض والبسط في نفسه المطمئنة وما لقلبه قبض ولا بسط لأن القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط (ومنها الفناء والبقاء) قد قيل الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه وقد قال طاهر بن عبد الله لا أبالي امرأة رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع الخائفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عماله ويبقى بما لله تعالى (وقيل) الباقي أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن الخائفات باقيا في الموافقات (وعندي) أن هذا الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح وليس من الفناء والبقاء في شيء ومن الإشارة إلى الفناء ما روى عن عبد الله بن عمر أنه سلم عليه انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقال له كنا نترأى الله في ذلك المكان (وقيل) الفناء وهو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل (وقال الخراز) الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق (وقال) الجنيد الفناء استعجام السكل عن أوصافك واشتغال السكل منك بكليته وقال إبراهيم ابن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوجدانية وصحة العبودية وما كان

غير هذا فهو من المغاليط والزندقة (وسئل) الخراز ما علامة الفاني قال علامة
من ادعى الفناء ذهب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى (وقال أبو سعيد
الخراز) أهل الفناء في الفناء صحتهم أن يصحبه علم البقاء وأهل البقاء في البقاء
صحتهم أن يصحبه علم الفناء * واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة
فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح
فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا
يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف الحمودة
وهذا يقتضيه تركية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه
الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر
الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد
وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يري لنفسه ولا
لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت أن
بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب
حتى يتجرد له فعل الحق فيه ويقبض الله تعالى له من يطعمه ويستقيه كيف شاء
وأحب ولهذا لعمري فناء لأنه فني عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى
بقائه فعل غير الله والفناء الباطن أن يكشف تارة الصفات وتارة بمشاهدة آثار
عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس
وليس من ضرورة الفناء أن يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض
الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن
عبدالله البصري وقلت له هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوسواس من
الشرك الخفي وكان عندي أن ذلك من الشرك الخفي فقال لي هذا يكون في
مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفي أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن
يسار أنه كان في الصلاة فوقعت اسطوانة في الجامع فازعج لهدتها أهل السوق
فدخلوا المسجد فرأوه في الصلاة ولم يمسه بالاسطوانة ووقعها فهذا هو الاستغراق

والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاءه حتى لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبه
ولا يغيب عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون
في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء
بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن
الحق في كليات أموره راجع إلى الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى
اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظر للفعل ولا منتظرا
للاذن هو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق
والفاني محبوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء
الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب
فصار مع قلبه لا مع قلبه

﴿الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال

في اصطلاح الصوفية﴾

(أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان اجازة قال أنا أبو الفضل
محمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا
أبو مسلم الكشمرى قال حدثنا مسور بن عيسى قال حدثنا القاسم بن يحيى قال
حدثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال ان من معادن التقوى
تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما يهد الرجل
في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم فشايخ الصوفية احكموا أساس التقوى
وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا
من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم
ومعجائب الأسرار وترسخ قدمهم في العلم (قال) أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام
الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم الفهم السمع والمشاهدة
لقوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)
(وقال أبو بكر) الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب
الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد

من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزان والخزون تحت كل حرف وآية من الفهم ومعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة (وقد ورد في الخبر) عن رسول الله ﷺ فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة أنه قال ان من العلم كهيئة المسكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا أبو بكر بن خلف قال حدثنا أبو عبد الرحمن قال سمعت النصر اباذى يقول سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشي يقول هي أسرار الله تعالى بيديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص (وقال) أبو سعيد الخزاز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية وهي من العلم المجهول فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية اشارة إلى انهم بالله ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه ﷺ بي ينطق وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر (آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علما) فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تهيمها من بعضهم لبعض واشارة منهم أحوال يمجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة (قيل) أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولوا العلم وقوله تعالى (آمنا بالله) جمع ثم فرق بقوله (وما أنزل إلينا) والجمع أصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل (وقال الجنيد) القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد إلى شيء من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله إلى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولا بد

منهما جميعا (قال) المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها
 بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم في عين الجمع وأشاروا الى صرف التوحيد
 وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب وما
 دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة (وقال) الواسطي إذا نظرت إلي
 نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت فان بلا
 جمع ولا تفرقة (وقيل) جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة
 انه إذا أثبت لنفسه كسباً ونظر إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء بالحق
 فهو في الجمع ومجموع الاشارات ينبيء ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن
 أفرد المكون جمع ومن نظر إلى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد
 فاذا أثبت طاعته نظر الى كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو
 جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات
 جمع الجمع (سئل) بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال أفنى
 موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان الحكم والمحكم
 هو وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا بياه سمع ومعنى
 هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع
 ثم أنشد القائل متمثلاً

وبداله من بعد ما ندمل الهوى برق تألق موهنا لمعانه
 يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمتع أركانه
 فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق نظرا إليه ورده أشجانه
 فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

(ومنها) قولهم التجلي والاستتار (قال) الجنيد انما هو تأديب وتهذيب
 وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهديب للخواص وهو التجلي
 والتذويب للأولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلي راجع
 الى ظهور صفات النفس (ومنها) الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس
 بحال قوة صفات القلب (ومنها) التجلي ثم التجلي قد يكون بطريق الأفعال

وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فلائهم به يرجعون الى مصالح النفوس وأما لغيرهم فلائنه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقه في جمع الجمع وروزهم لله الواحد القهار (قال بعضهم) علامة تجلي الحق للأسرار هو أن لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر أو فهم فهو صاحب استدلال لا ناظر اجلال (وقال بعضهم) التجلي رفع حجة البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب (ومنها التجريد والتفريد) الاشارة منهم في التجريد والتفريد ان العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا الى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفى الاغيار والتفريد بنفى نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه (ومنها الوجد والتواجد والوجود) فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرحة يحدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربني وجدى فأقعدي عن رؤية الوجد من في الوجد موجود

والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

(ومنها الغلبة) الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كمتلاحق البرق وتوازه يغيب عن التمييز فالوجد ينطفئ سريعا والغلبة تبقى للأسرار حرارا منيعا (ومنها) المسامرة وهي تفرد الأرواح بخفي مناجاتها ولطيف مناجاتها في سر السر بلطيف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب (ومنها) السكر والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال (قال) محمد بن خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب (وقال)

الواسطى مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الخيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر
ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج فعلى هذا من بقى عليه أثر من سريان الحال
فيه فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شىء منه إلى مستقره فهو صاح فالسكر لأرباب
القلوب والصحو للكاشفين بمحقق الغيوب (ومنها) الحو والاثبات الحو بازالة
أوصاف النفوس والاثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كؤوس أو الحو محو رسوم
الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه وما منه والاثبات اثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود
به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه * قال
ابن عطاء يحو أوصافهم ويثبت أسرارهم (ومنها) علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشف
والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث المصالح بورود رائد الوصال
قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي أودعه الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم إليه اليقين كان علما بلاشبهة وحق
اليقين هو حقيقة ما أشار إليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق
العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب
فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أقيمت
لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق
اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فلا سم
والرسم للعوام وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين للخوارج والأولياء وحق اليقين
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة حق اليقين اختصاصها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ومنها
الوقت) والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف
يمضي الوقت بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا يكسبه فيتصرف فيه
فيكون بحكمه يقال فلان يحكم الوقت يعنى مأخوذا عما منه بما للحق (ومنها الغيبة
والشهود) فالشهود هو الحضور وقتما بنت المراقبة ووقتما بوصف المشاهدة فإدام
العبد موصوفا بالشهود والرماية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج
من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة عن الأشياء بالحق فيكون على هذا

المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء (ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق
 ايمان والشرب علم والرى حال فالذوق لأرباب البوادر والشرب لأرباب الطوابع
 واللوائح واللوامع والرى لأرباب الأحوال وذلك ان الأحوال هي التي تستقر فما لم
 يستقر فليس بحال وإنما هي لوامع وطوابع وقيل الحال لا تستقر لأنها تحول فاذا
 استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة لأرباب
 التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر فالمشاهدة
 والمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أي حق اليقين
 (ومنها الطوارق والبوادى والباداة والواقع والقادح والطوابع واللوامع واللوائح)
 وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ويمكن بساط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعا
 إلى معنى واحد يثمر بالعبارة فلا فائدة فيه والمقصود ان هذه الأسماء كلها مبادي
 الحال ومقدماته وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها (ومنها التلوين
 والتمكين) فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص إلى
 الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات
 تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات وأما أرباب التمكين فخرجوا عن
 مشائم الأحوال وخرجوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات
 فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما
 خلصوا إلى مواطن الترب من أنصبة تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ
 يكون في نفوسهم لأنهم في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في
 النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس لبقاء رسم
 الانسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين أن
 لا يكون للعبد تغير فانه بشر وإنما المعنى فيه ان ما كوشف من الحقيقة لا يتواري عنه
 أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور
 صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان
 وتلوينه في زوائد الاحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للمنتهى والوقت
 (٢٤ - عوارف المعارف)

للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه إشارة منهم إلى ان المبتدىء يطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين

الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهني قال أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف القبري قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا يحيى بن سعيد الانصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي انه سمع علقمة ابن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هوجر إليه * النية أول العمل وبحسبها يكون العمل وأهم المرید في ابتداء امره في طريق القوم ان يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيمهم ويخالس طائفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته (وقد ورد) المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه وقد قال الله تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فالمرید ينبغي أن يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فانه ان وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل وان ادركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فاجره على الله وكل من كانت بدايته احكم كانت نهايته اتم (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خاف عن أبي عبدالرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الخلدي قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد المرید في أول سلوكه هذا الطريق يحتاج إلى أحكام النية وأحكام النية تنزيهاها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ

عاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى (وكتب) سالم بن عبد الله إلي عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك (وكتب) لبعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يعامله حسن النية قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به المرید المبتديء التبري من الحركات المذمومة ثم النقل إلى الحركات الحمودة ثم التفرد لأمر الله تعالى ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاتة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله تعالى بعد هذه المعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جميع فيه ما في البداية والنهاية ومتى تمسك المرید بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا تحقق صدقه واخلصه شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الافات التي دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلوات الله وسلامته عليه أنه قال لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم (قال) أحمد بن خضرويه من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليزم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلوات الله وسلامته عليه الصدق يهدي إلى البر ولا بد للمرید من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم إلى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وأنفح شيء للمرید معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له في الدنيا حاجة من طلب النضول والزيادات أو عليه من الهوى بقية (قال) زيد ابن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح لاتهم الله بمعصية وتسمى ولاتهم الله بمعصية فإذا احكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبتها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودساؤها وتليساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى (قال ذو النون) لله تعالى في أرضه سيف ما وضع

على شيء الاقطع وهو الصدق ونقل في معنى الصدق ان تابدا من بنى إسرائيل
 واودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا إلي ماء في الخلاء اتنظف به ثم صعد على
 موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء ان الزم عبدي قال
 فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رفيقا فليل لا بليس إلا أغويته فقال ليس لي
 سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وينبغي) للمريد ان تكون له
 في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل
 إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لان هذه كلها ارفاق ادخلها على النفس كانت
 لله لا تستعصى النفس وتجب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والاخلاص وإذا
 دخل في شيء من رفق النفس لا لله بغير نية صالحة صار ذلك وبالاعليه وقد ورد
 في الخبر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك
 الاذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أنث من الجيفة
 (وقيل) كان أنس يقول طيبوا كفى بمسك فن تابنا يص الحفي ويقبل بدي
 وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك إلى الله بنيتهم للمريد ينبغي أن
 يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أو تتكلم
 بكلمة إلا لله تعالى وقد رأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوي عند كل لقمة
 ويقول بلسانه أيضاً آكل هذه اللقمة لله تعالى ولا ينفع القول إذا لم تكن النية
 في القلب لأن النية عمل القلب وإنما اللسان ترجمان فما لم تشتمل عليها عزيمة القلب
 لله لا تكون نية (ونادى) رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال هات المدري
 أراد الميل ليفرق شعره فقالت له امرأته أجيء بالمدري والمرأة فسكت ثم قال
 نعم فقال له من سمعه سكت وتوقفت عن المرأة ثم قلت نعم فقال إني قلت لها
 هات المدري بنية فاما قالت والمرأة لم يكن لي في المرأة نية فتوقفت حتى هيا الله
 تعالى لي نية فقلت نعم وكل مبتدئ لا يحكم أساس بدايته بمهاجرة الآلاف
 والأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته وقد قيل من قلة الصدق
 كثيرة الخطاء وانفع ماله لزوم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس فان باطنه
 يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة وكل من لا يعلم كمال زهده في الدنيا وتمسكه بمحقق

التقوى لا يعرفه أبدا فان عدم معرفته لا يفتح عليه خيرا وبواطن أهل الابتداء كالشمع تقبل كل نقش وربما استنصر المبتدي بمجرد النظر إلى الناس ويستنصر بفضول النظر أيضا وفضول المشى فيقف الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت يمينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك اضر عليه من فعله ولا يستحق فضول المشى فان كل شيء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضييع الأصول (قال سفيان) إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فكل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تذاقت عزائم قلبه وانحلت شيئا بعد شيء (قال سهل بن عبدالله) من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطارا وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ولا ينبغى للمبتدئ أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا فان معرفته لهم سم قاتل وقد ورد الدنيا مبعوضة الله فمن تمسك بحبل منها قاده إلى النار وما حبل من حبالها إلا كأبناءها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبي ويحترز المبتدئ عن مجالسة الفقراء الذين لا يقولون بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم أشر ما يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون إلى أن الأعمال شغل المتعبدين وإن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك وينبغى للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان وحسب ولا ينبغى أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا فانا اخترنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاب في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه ومار بها ويذكر إلى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة وإن اغتسل قريبا من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحمن قال رسول الله ﷺ

يا أبا هريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك وما من نبي إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة فان غسل الجمعة كفارة للذنوب ما بين الجمعتين ويستغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلي الجمعة ويجلس معتكفا في الجامع إلى أن يصلي فرض العصر وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ فانه يرى بركة ذلك في جميع الأسبوع حتي يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذي مضى فانه إذا كان الأسبوع سلميا يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات وما يجده في يوم الجمعة من الظلمة وسامة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقي جدا أن يلبس للناس أما المرتفع من الثياب أو ثياب المتكشفين ليرى بعين الزهد ففي لبس المرتفع للناس هوي وفي لبس الخشن رياء فلا يلبس إلا الله بلغنا أن سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويغير ثم امسك وقال لبسته بنية لله فلا أغيره فالبس بنية للناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتدئ أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصغى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجود بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض المشايخ أن يديم المرید ذكرا واحدا ليجتمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيد التلاوة والصلاة أوفى ما يفيد الذكرك الواحد فاذا سئم في بعض الأحيان يصانع النفس على الذكرك مصانعة وينزل من التلاوة إلى الذكرك فانه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكرك لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوسوس وحديث النفس فانه مضر وداء عضال فيطالب نفسه أن تصير في تلاوة معنى القرآن مكان حديث

النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يمزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يمزجه بحديث النفس وإن كان أعجب لا يعلم معنى القرآن أن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشتغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فإن بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة (قال مالك) قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المرید بهذه الأصول وليستعن بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبات قدمه (قال سهل) على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدام الافتقار إلى الله أصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق في طريق القوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا يتشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعاً علمنا ذلك وتحققناه وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأذى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه (وبلغنا) أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع إلى نفسه وقال مالي وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تعنيني وهل هذا إلا لاستيلاء نفسي وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصور يقول سمعت أبا عمرو الأنطاطي يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاتته من الله أكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدئ أن يحكمها والمجتهدى عالم بها عامل بحقائقها فالمبتدئ صادق والمجتهدى صديق قال أبو سعيد القرشي الصادق الذي ظاهره مستقيم وباطنه يعيل أحياناً إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الحلاوة في بعض الطاعة ولا يجدها في بعض وإذا اشتغل بالذكر نور الروح يحفظ النفس يحجب عن الأذكار والصدق الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالى بتلوين الأحوال لا يحجبه عن الله وعن الأذكار أكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله وأقرب

الأحوال إلى النبوة الصديقية (وقال أبو يزيد) آخر نهايات الصديقين أول درجات
الأنبياء * واعلم أن أبواب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم
خلصت عن ظلمات النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطاوعة صالحة
مع القلب مجيبة إلى كل ما تجيب إليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الأعلى
انطفأت فيهم نيران الهوى وتخمر في بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم
الآخرة كما قال رسول الله ﷺ في حق أبي بكر رضي الله عنه من أراد أن ينظر
إلى ميت يعشى على وجه الأرض فليتنظر إلى أبي بكر إشارة منه عليه الصلاة والسلام
إلى ما كوشف به من صريح العلم الذي لا يصل إليه أعوام المؤمنين إلا بعد
الموت حيث يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأرباب النهايات
ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم (قال) يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف
العارف فقال رجل معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب النهايات
هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في
خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرهم دواء
ظاهرهم محفوظ بالحكم وبواطنهم معمور بالعلم (قال ذو النون) علامة العارف ثلاثة
لا يظفيء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من
الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله فأرباب النهايات
كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا ديناً ازدادوا قرباً وكلما ازدادوا
جاهاً ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين وكلما
تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكارا صافيا يتناولون الشهوات
تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدى له شيء لأنه
مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تاسيا
بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية قال يحيى بن معاذ الدنيا عروس
تظليها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها
والعارف بالله مشغول بسيده ولا يلتفت إليها (واعلم) أن المنتهي مع كمال حاله
لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة

الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن المنتهى استغنى
 عن الزبادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات
 وهذا خطأ لا من حيث أنه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقف عن
 مقام المزيد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم
 حجة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا في المأكل
 والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقيد بنور الحال وعدم
 التخلص بالكليية إلى نور الحق ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق يذهب
 عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد كأحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة
 والصوم وأنواع البر حتى باماطة الأذي عن الطريق ولا يستكبر ولا تستنكف
 أن يعود في صور عوام المؤمنين من اظهار الارادة بكل بر وصلة فيتناول
 الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنتقاة المطوعة لأنها أسيرته ويمنعها
 الشهوات وقتا لأن في ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الهسي فانه إن جاوز
 حد الاعتدال من اعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لأن الجبلة لا بد
 من قمعها بسياسة العلم وما دامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم وهذا باب
 غامض دخل في النهايات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به
 باب المزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ
 وترك في الأعمال والحظوظ ففي الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال
 كأحد الصادقين وتارة يترك زيادة الأعمال رفقا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ
 والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها افتقادا للنفس بحسن السياسة فيكون في
 ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكليية فهو زائد تارك بالكليية ومن
 استرسل في أخذها فهو راغب بالكليية والمنتهى شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال
 واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت اليه الاقسام في النهاية فأخذها
 زاهدا في الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف
 مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكما ان الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار فكذلك
 الزاهد في الزهد الآخذ من الدنيا ما سبق اليه رؤيته فعلى الله مقيدا بالأخذ

وإذا استقرت النهاية لا يتميد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من
 اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته
 النافلة يأتي بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لأنه مختار صحيح في الاختيار في الحالين
 وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول
 الله صلواته
عليه
وسلامه وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم
 الليل كله ويصوم من الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل
 انني عزمت أن لا آكل اللحم قال فاني آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربي أن
 يطعمني كل يوم لأطعمني وذلك يدل على ان رسول الله صلواته
عليه
وسلامه كان مختارا في
 ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك الأكل اختيارا وقد دخلت الفتنة
 على قوم كلما قيل لهم ان رسول الله صلواته
عليه
وسلامه فعل كذا يقولون كان رسول الله صلواته
عليه
وسلامه
 مشرعا وهذا إذا قالوه على معنى انه لا يلزمهم التأمي به جهل محض فان الرخصة
 الوقوف على حيد قوله والعزيمة التأمي بفعله وقول رسول الله صلواته
عليه
وسلامه لا رباب
 الرخص وفعله لا رباب العزائم ثم ان المنتهى يحاكي حاله حال رسول الله عليه
 الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل ما كان يعتمد عليه رسول الله صلواته
عليه
وسلامه
 ينبغي أن يعتمد عليه فكان قيام رسول الله صلواته
عليه
وسلامه وصيامه الزائد لا يخلو اما انه
 كان ليقتدى به واما انه كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقتدى به فالمنتهى
 أيضا مقتدى به ينبغي أن يأتي بمثل ذلك والصحيح الحق ان رسول الله صلواته
عليه
وسلامه
 لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجده بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب
 الجبلية * قال الله تعالى خطابا له (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) لانه بذلك
 ازداد استمدادا من الحضرة الالهية وقرع باب الكرم والأنبي عليه الصلاة والسلام
 مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك
 ان رسول الله صلواته
عليه
وسلامه رابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا
 رابطة الجنسية ما وصلوا اليه ولا انتفعوا به وبين نفسه الظاهرة ونفوس الاتباع
 رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ان النفوس ألفت آتفا كما
 ان الارواح ألفت أولا ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والتأليف

والامتزاج واقع بين الارواح والنفوس وكان رسول الله ﷺ يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس الاتباع فما احتاج اليه نفسه من ذلك ناله وما فضل من ذلك وصل إلي نفوس الامة وهكذا المنتهى مع الاصحاب والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل في الشهوات واللذات إلا بدلالة تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحة الجلوة للغير لا بد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون جلوته في حماية خلوته ومن يترأى له ان أوقاته كلها خلوة وأنه لا يحجبه شيء وان أوقاته بالله والله ولا يرى نقصانا لأن الله ما فطنه لحقيقة المزيد فهو صحيح في حاله غير انه تحت قصور لانه مانبه لسياسة الجبله وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه فقد يسمعا الانسان ويبني عليها والأولى أن يفكر إلى الله تعالى في أى كلمة يسمعا حتى يسمعه الله من ذلك الصواب (نقل) عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال إذا اجتمعت المنفردات واستوت الأحوال والأما كن وسقطت رؤية التمييز ومثل هذا القول يوهم أن لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه ان القائل أراد بذلك معنى خاصا يعنى ان حظ المعرفة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ المرید يتغير ويحتاج إلى التمييز وليس في هذا الكلام وأمثاله ما ينافي ما ذكرناه (قيل) لمحمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ألا وهي الاستقامة وكل من كان أنم معرفة كان أنم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التمام والعبد في الابتداء مأخوذ في الأعمال محجوب بها عن الأحوال وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا تحجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم (سئل الجنيد) عن النهاية فقال هي الرجوع إلى البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه انه كان في ابتداء أمره في جهل ثم وصل إلى المعرفة ثم رد إلى التحير

والجهل وهو كالظفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى (لكيلا يعلم
 بعد علم شيئاً) وقال بعضهم أعرف الخلق بالله أشدهم تحميراً فيه ويجوز أن يكون معنى
 ذلك ما ذكرناه انه يباديء الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال
 والأحوال وهذا يكون المنتهى المراد المأخوذ في طريق المحبوبين تنجذب روحه
 إلى الحضرة الالهية وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع
 القلب فيكون بكنيته قائماً بالله ساجداً بين يدي الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم سجد لك سوادى وخيالى وقال الله تعالى (والله يسجد من في السموات والأرض
 طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) والظلال والقوالب تسجد بسجود
 الأرواح وعند ذلك تسرى روح المحبة في جميع أجزائهم وابعاضهم فيتلذذون
 ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة ووداً فيحبهم الله تعالى ويحبهم
 إلى خلقه نعمة منه عليهم وفضلاً على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو الزنجيب
 السهروردي رحمه الله قال أنا أبو طالب الزيني قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا
 أبو الهيثم الكشميهني قال أنا عبد الله الفربري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال
 حدثني اسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار
 عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم ان الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل ان الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه
 فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء ان الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه
 أهل السماء ويوضع له القبول في الارض وبالله العون والعصمة والتوفيق

تم بحمد الله المعيد المبدي كتاب عوارف المعارف

للامام السهروردي والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه

أجمعين

﴿ فهرست كتاب عوارف المعارف ﴾

صحيفة

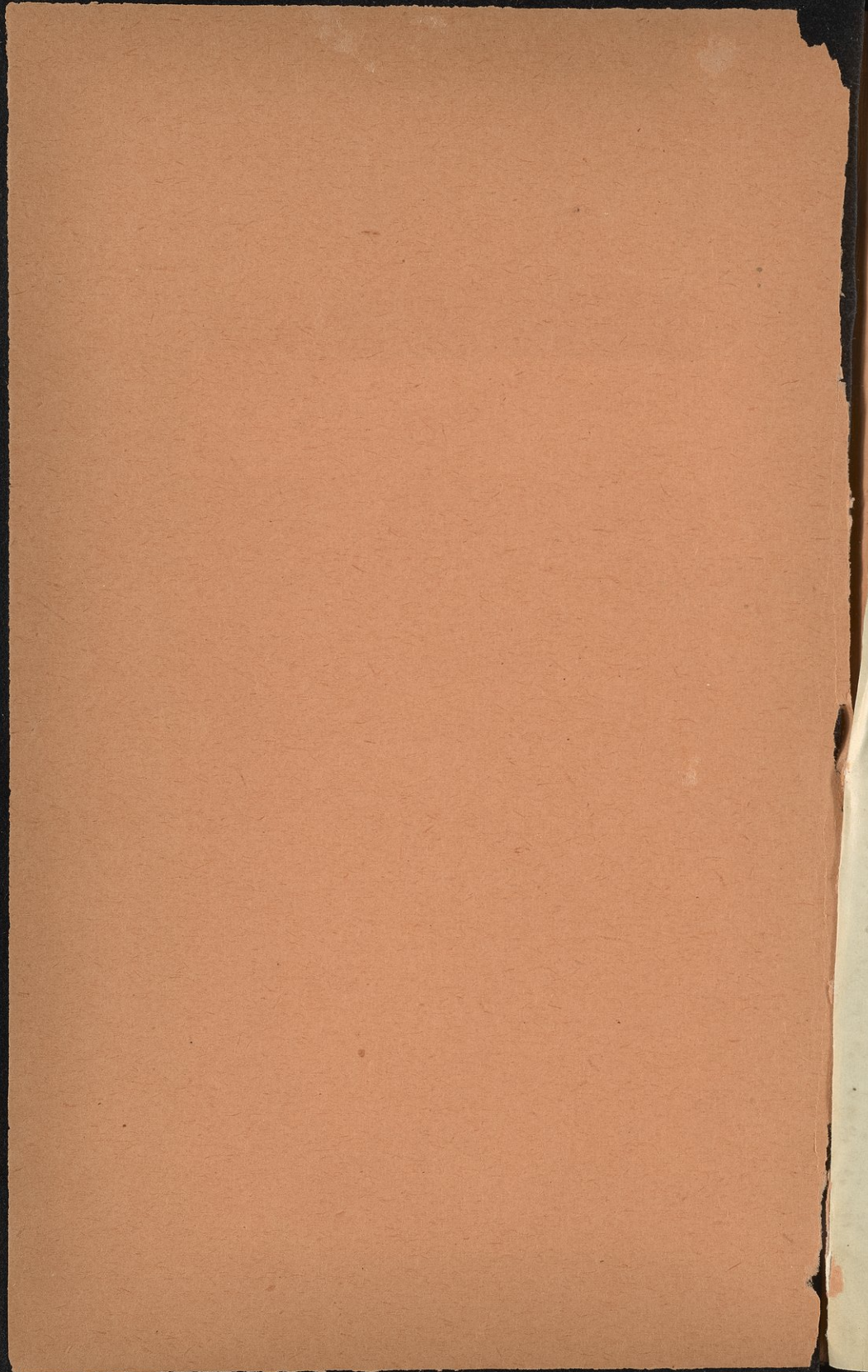
٢	مقدمة الكتاب
٧	الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية
١٣	الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع
٢٢	الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أعوذج منها
٣٥	الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم
٤٠	الباب الخامس في ماهية التصوف
٤٥	الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم
٤٩	الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه به
٥٣	الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله
٥٦	الباب التاسع في ذكر من انتمى إلي الصوفية وليس منهم
٦٠	الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة
٦٦	الباب الحادي عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به
٦٩	الباب الثاني عشر في شرح خرقة المشايخ الصوفية
٧٥	الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط
٧٨	الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة
٨١	الباب الخامس عشر في خصائص أهل الربط والصوفية الخ
٨٦	الباب السادس عشر في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم الخ
٩٤	الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه الصوفي في سفره الخ
٩٩	الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط الخ
١٠٥	الباب التاسع عشر في حال الصوفي المتسبب
١٠٩	الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح
١١٦	الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجرد والمتأهل الخ
١٢٤	الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وإشارا

- ١٣٤ الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وإنكارا
 ١٣٧ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستعناء
 ١٤٢ الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأديبا واعتناء
 ١٤٧ الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية الخ
 ١٥٢ الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية
 ١٥٨ الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية
 ١٦٣ الباب التاسع والعشرون في أخلاق الصوفية وشرح الخلق
 ١٧٠ الباب الثلاثون في تمصيل أخلاق الصوفية
 ١٩٦ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الادب ومكانه من التصوف
 ١٩٩ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لاهل القرب
 ٢٠٣ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
 ٢٠٦ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأساراه
 ٢٠٩ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية الخ
 ٢١٢ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
 ٢١٦ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
 ٢٢٤ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها
 ٢٣٠ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره
 ٢٣٢ الباب الاربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار
 ٢٣٤ الباب الحادى والاربعون في آداب الصوم ومهامه
 ٢٣٨ الباب الثانى والاربعون في ذكر الطعام وما فيه الخ
 ٢٤١ الباب الثالث والاربعون في آداب الاكل
 ٢٤٥ الباب الرابع والاربعون في ذكر أدبهم في اللباس الخ
 ٢٥٠ الباب الخامس والاربعون في ذكر فضل قيام الليل
 ٢٥٣ الباب السادس والاربعون في ذكر الاسباب المعينة الخ

- ٢٥٦ الباب السابع والاربعون في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل
 ٢٦١ الباب الثامن والاربعون في تقسيم قيام الليل
 ٢٦٣ الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب والعمل فيه
 ٢٧١ الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الاوقات
 ٢٨٠ الباب الحادى والخمسون في آداب المرید مع الشيخ
 ٢٨٩ الباب الثانى والخمسون في آداب الشيخ مع المرید وما يعتمده الخ
 ٢٩٤ الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصحبة وما فيها الخ
 ٣٠٠ الباب الرابع والخمسون في أدب حقوق الصحبة والاخوة الخ
 ٣٠٣ الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة
 ٣٠٧ الباب السادس والخمسون في معرفة الانسان نفسه الخ
 ٣١٩ الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها
 ٣٢٦ الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما
 ٣٣٠ الباب التاسع والخمسون في الاشارات إلى المقامات الخ
 ٣٣٨ الباب الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات الخ
 ٣٤٩ الباب الحادى والستون في ذكر الاحوال وشرحها
 ٣٦٤ الباب الثانى والستون في شرح كلمات مشيرة الخ
 ٣٧٠ الباب الثالث والستون في ذكر شىء من البدايات الخ

﴿ بيان ﴾

- ﴿ عن بعض الكتب التي بالمكتبة العلامة ﴾
السكائنة بشارع الصنادقية بمحوار الأزهر الشريف بمصر
- ﴿ رياض الصالحين ﴾ من كلام سيد المرسلين للعالم العارف
بالله محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي
- ﴿ مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ﴾ للامام العالم العلامة
نجر الملة والدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله تعالي
- ﴿ فتح الرحيم الرحمن ﴾ شرح لامية الاستاذ بن الوردي المسمى
نصيحة الاخوان (تأليف) الفاضل السيد الشريف مسعود بن حسن
ابن أبي بكر القناوي الشافعي نفعنا الله به
- ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ للعلامة الامام الكبير المحقق الشهير أفضى
القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حميد البصري الماوردي
- ﴿ طبقات الشاذلية الكبرى ﴾ للفقير إلى مولاه الحسن بن الحاج
محمد الكوهن القاسمي الشاذلي الفتحى المغربي غفر الله له
- ﴿ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ﴾ لحجة الاسلام
(الامام أبي حامد الغزالي) المتوفى سنة خمس وخمسمائة هجرية
- ﴿ كتاب الاذكياء ﴾ للشيخ الامام العامل الزاهد الفاضل
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي رضي الله عنه
- ﴿ نوادر القليوبي ﴾ للاستاذ العالم الشيخ أحمد شهاب الدين
﴿ حلبة الكميت ﴾ في الأدب والنوار والفكاهات المتعلقة
بالخرجات للشيخ شمس الدين محمد بن الحسن النواجي
- ﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ تأليف القاضي أبي علي الحسن التنوخي
المتوفى سنة ٣٨٤ هـ
- ﴿ الناسخ والمنسوخ ﴾ في القرآن الكريم للامام الأجل الحجة
أبي جعفر محمد بن احمد بن اسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري
المصنف عرف (بأبي جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٣٨ هـ



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
	FEB 24 1998		
C28 (747) M100			

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038804387

893.7991

Su36

893.7991

Su36

Suhrawardi

Kitāb 'awārif al-ma'ārif.

JUN 29 1948

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58848932

893.7991 Su36

Kitab Awarif al-maar

893.7991
Su36